

كلمات في موضوع اللقاء (أُحْمِي وَطَنِي) ♥

— **الديباجة:** إخواني الحضور، إخواني المبادرين، سعدتُ بعوتكم للإسهام في هذه الفعالية الجموعية التي اقترحتموها: رؤساء المنظمات والجمعيات الوطنية والتّقابات المهنيّة بعنوان (أُحْمِي وَطَنِي). هي مبادرة نُزكّيها لما لها من أثر إيجابيٍّ ومردود تفاعليٍّ بَيْنِيَّ وفي هذا الظرف الذي نعيشه في واقعه العامّ والخاصّ. ويتعلّق واقعه العامّ بسيرورة نهوض المجتمع المدني/ الجمعيات في تشكيل قوّة اقتراح لمساعدة الدّولة في التّنميّة، وتحملّ جزء من رهان التّغيير. هي سيرورة ارتبطت بتحوّلات سياسيّة عميقة شهدها العالم في ما يُطلق عليه دولة الحقّ والقانون/ الدّيمقراطيّة/ حقوق الإنسان/ المواطنة... وهي مفاهيم تشير إلى حركيّة اجتماعيّة وتحوّلات عرفها العالم منذ انهيار القطبيّة الثنائيّة، وزوال دولة الرّعاية، وفشّل أنموذج الدّولة الوطنيّة في البلاد المتخلّفة؛ ومنها البلاد العربيّة في تحقيق حلم التّنميّة الوطنيّة. ويتعلّق واقعه الخاصّ بما تعرفه بلادنا من ظروف صعبة تحتاج إلى تعاضد بخصوص مجموعة رهانات وتحديات إقليميّة، وما يتبع ذلك من ضرورة نُشدان الأمن الفكري اتّقاء للغزو الثقافيّ؛ وما يحمله خطاب العنف والكرهيّة لمزعجات الوحدة الوطنيّة، ودولة التّغيير، في ظلّ استمرار وقوف المؤسّسات، والبحث عن إيجاد آليات الوقوف في وجه النّوازل، وما عرفناه خلال الجائحة والحرائق .

♥ أعدت الكلمة لصالح رؤساء المنظمات والجمعيات الوطنية والتّقابات المهنيّة لمبادرة (أُحْمِي وَطَنِي). في المكتبة الوطنية بتاريخ 25 سبتمبر 2021م.

أيًا الأفاضل المبادرون؛ إنَّ ما تقومون به فعلٌ نبيل؛ بجمل المبادرات، فأنتم أحياء بأمثال مقترحاتكم التي تحملون فيها هموم شباب اليوم، شباب يعمل على جبر الخواطر، شباب يريد بناء علاقات المجتمع بدولته من واقع الرأهن والتنمية المستدئمة والديمقراطية التشاركية والتعددية السياسية. وضمن هذا الإطار نلمس تحقيق الكثير من شروط المواطنة/ الشراكة العاملة على خلق بنات قاعدة المجتمع المدني/ الجمعيات في سلوك قيام مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع بشكل منفصل متكامل، والتميز بين آليات عمل الدولة كمؤسسة، وآليات عمل الاقتصاد كشركة، وقيام فكرة المواطنة في مفهوم الحقوق المدنية والسياسية. وكلّ هذا هي شروط أساس لمزاولة الجمعيات مهامها في جوّ التكامل بين البنات القاعدية للدولة، وفق تبلور الطابع التضامني، وهذا جيد. وأما ما تقوم به بعض الجمعيات ذات الطابع الماديّ وخارج تلك التنظيمات غير الحكومية ONG المبتزة بغطاء المجتمع المدني، فهو لا يخدم الصالح العامّ.

أيها الجمع الكريم، لست هنا في مقام الإفتاء في مسألة القوانين التأسيسية للجمعيات مهما كان نوع توجهاتها، أو التقابلات، بقدر ما أريد تأكيد مسألة ماذا تقدّم هذه الجمعيات من اقتراح وتعزيد القرار السياسي، وما هي آليات التجنيد الوطني أو المرافقة الموضوعية للمجتمع في أطر تقتضيها مصلحة البلد في إطار الحفاظ على الأمن العامّ في المقام الأول، وفي المقام الثاني دور مساندة الفعاليات الثقافية/ الاجتماعية العلمية/ السياسية... وما تستلزمه من حرفة التبليغ، بعد التسويغ، وهذا مطلوب منكم كجمعيات عليكم وعيه من خلال الفضاء الوطني الذي نريده أن يعرف التواؤم بين هذه الجمعيات

والقوى الاجتماعية ذات التوجهات السياسية التي تستعمل مصطلح: المجتمع المدني/ التنظيمات الأخرى... وما يجب أن يُبنى من علاقات بينية وسيطة بين منتجي الأفكار وصانعي القرار، وكذلك ما يبرز من خلال الأنشطة التي مارسها الجمعيات في حمل الانشغالات اليومية بطريقة صريحة ومباشرة وهذا ما يخلق الروابط التي تُرسخ دور الجمعيات في اقتراح أفكار، وتعمل على إزالة الحواجز البيروقراطية، وما يتبعها من تسلط الأوليغاركي الذي يؤدي إلى شعور المواطن بحالة الاغتراب.

2- ما هو المطلوب من الجمعيات: ما دامت الجمعيات تؤدي دور الوسيط

بين الفرد+ الجماعة+ الدولة، فيبدو لي، هي مطالبة بالعمل على شقين :

2/1- الشق السياسي: ومطلوب منها ما يلي :

2/1/1- العمل على ترسيخ تكوين الدولة الأمة على غرار ما هو قائم في

المجتمعات الغربية المتقدمة. وواقعنا يُجبرنا على العمل في هذا المنظور نظراً لدورها: الفرد - الجماعة - الدولة.

2/1/2- دعم مفهوم الدولة والمجتمع المدني/ الجمعيات في مرافقة

التغيرات في البنية الاقتصادية، وما يتبعها من تأسيس الجمعيات المهنية/ النقابات/ المنشآت/ الشركات/ المؤسسات الثقافية/ وسائل التواصل.

2/1/3- خلق طرائق التواصل بين النخبة الوطنية وإدارتها في ممارسة غير

رقابية، ولكنها ممارسة مسؤولة مرافقة لسيرورة التغيير الاجتماعي العام وقاية لحدوث الاختلالات المؤدية لفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم .

2/1/4- تشكيل المجالس المحليّة والولائيّة ذات الاستقلاليّة التّنمويّة مراعاة لخصوصيات محليّة؛ تسعى لخدمة الأفراد والمجموعات وترعى مصالحهم .

2/1/5- تقيّد جميع أنشطة الجمعيات الوطنيّة بالثوابت الوطنيّة وبالمرجعيات التاريخيّة والوطنيّة، وبذلك المعاهدات والاتفاقيات التي صادقت عليها الدّولة الجزائريّة عبر مؤسّساتها .

2/1/6- خلق أطر تفاعليّة لدور الجمعيات في اقتراح الأفكار، وفي رقابة التّطبيق ضماناً لشفافيّة المساءلات، وهو ما يُعزّز التّنظام الديمقراطيّ التّزيه للدّولة، وهذه المهمة نابعة من دور الجمعيات كونها الوسيط بين الشّعب والتّنظام. وهذه عمليّة تضمن إصلاح مواطن الضّعف في الدّولة.

2/2- الشّق الاجتماعيّ: وهو واسع جداً، ويمكن أن يقع التّركيز على خصوصياتنا ووضعنا الذي يملك الطّاقات الشّابة وهي أنتم، ومن شأنكم خلق فضاءات للتّواصل البّناء بين مكونات المجتمع الواحد حتى تعمل بطريقة مُنظمة؛ تُجعل تأثيرها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي ناجعاً. ومن هنا نرى أنّ أسس الجمعيات الوطنيّة تحتاج إلى تفعيل وتحيين وفق بنيات قاعدية لخصوصيات الجمعيات: خيريّة/ أخلاقيّة/ دينيّة/ ثقافيّة/ رياضيّة... يضعها المشرّع بما يعمل على الحفاظ على مكونات بناء مجتمع واع متضامن .

2/2/1- تعميق معاني الولاء والوفاء في نفوس جيلنا، وغرس روح المواطنة الصّالحة ليستمرّ عطاء هذا الغرس الذي صنّعه السّواعد الفتيّة لأبناء هذا الوطن وشهادته وقياداته، ويبقى الوطن في عزّه ومجده بهمة أبنائه وباستمرار بناء اللّبنات على فكرة (إنّ أحسنّ اللاحق إنّ الفضلَ للسّابق).

2/2/2- نشر الوعي بقضايا المجتمع، بالسعي لتنميته، بترسيخ قيم المواطنة والتماسك بين أفراد المجتمع الواحد، بالمساهمة الفعّالة في تحقيق العدالة الاجتماعية، بإشراك المواطن في تحديد مشاكل المجتمع وإيجاد الحلول المناسبة لها .

2/2/3- العمل على تحقيق التنمية الشاملة عن طريق تكامل عمله مع الدولة والقطاع الخاص، بحيث تعمل القطاعات الثلاث من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما ينعكس بالإيجاب على مواطني البلد، وأيضاً يقع على عاتق الجمعيات مسؤولية إعادة الإطارات التي غادرت البلد لوجهات أجنبية .

2/2/4- السعي لخلق حلقة التواصل الفعّال بين أفراد المجتمع، وإشراكه في تنظيم فعاليات ثقافية وتشجيعه على ممارسة أنشطة مختلفة؛ تسهم في إبراز مواهبه وطاقاته البشرية وتقديمها في شكل مُتفرد متكامل.

2/2/5- إسهام الجمعيات في المجتمع إسهاماً تطوعياً من خلال الأعمال الخيرية والتطوعية التي تُنظّمها في نشأة علاقات إنسانية بين أفراد المجتمع الواحد، وفي اكتساب دعم وتأييد المجتمعات المدنية الأخرى للإنجازات المُقدّمة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

2/2/6- تفعيل دور الجمعيات في إعادة الروابط العائلية بين أفراد المجتمع الواحد، وفي الوقوف في صفّ واحد أمام التوازل والإحْن والمحنّ وفي مختلف الحاجات الإنسانية التي تستدعي لم الشمل، وإنهاء كلّ النزاعات والتكافل الجمعي .

إخواني، من المهم أن تكون المنظمات والجمعيات الوطنية تلعب دور التحسيس والتفعيل وحملها لمفاتيح قوة الاقتراح المؤثرة في بناء الثقة في المجتمع: حاكم ومحكوم، وتكون وسيطاً موضوعياً لتوليد الأفكار والمشاريع الجديدة في خدمة الصالح العام. وإن الجمعيات لا تكسب قدرتها على التأثير في محيطها الوطني إلا من خلال ما تحمله من أفكار التغيير نحو الأفضل، ومن خلال تلك الأدوار التي تقدم فيها الخدمات النافعات للمجتمع، وأفضل خدمة هي إسعاف المجتمع، وملاحقته بالجديد من أفكار ومشاريع، سواء في مجال التشريع أو المرافقة أو الاقتراح، أو على صعيد تمكين النساء والشباب من نيل مناصب التسيير في المواقع المحسوسة. ويبدو لي يا شبابنا الحاضر معنا، ويا أصحاب المبادرة لا بد من اختيار مفاتيح تعزيز القدرة التفاوضية في تحويل أفكاركم الى قوة اقتراحية، وهو ما يتطلب منكم إيلاء أهمية خاصة لربط نشاطاتكم التطوعية بالخبرات البحثية والقانونية وبناء تحالفات بين أنواع مختلفة من الجمعيات والمنظمات للجمع ما بين الخبرات الميدانية والمعارف النظرية والمهارات المتخصصة، وضرورة وجودكم في أزمة الوباء وحرائق الغابات بما لكم من قوة المساعدة، فهل أنتم عازمون؟ ألا يمكنكم خوض مسيرة التحرك في إطار المرافقة العامة للبلد في زرع شجرة العودة للاخضرار؟ وهل ترفعون التحدي للتصدي في محاربة المظاهر السلبية بالتنسيق مع سُلط الإشراف ضمن إطار قانوني أقرته الدولة بالتقصي؟ أو ليس في مقدوركم رفع الإشاعات المغرضة التي تحملها بعض وسائل التواصل الاجتماعي؟ وهل تملكون أفكاراً استباقياً قبل استفحاله لتفكيك البلبلات والأزمات؟ إن الأمل معقود عليكم أيها المبادرون، وأعلم أنكم

تستطيعون، وأنتم لها، فبادروا وخطّطوا وتابعوا، وكونوا في الصفوف الأولى فأنتم تقدرون بما لكم من أفكار تعمل على الخروج من الأزمات؛ صعوداً نحو بناء التّاطحات، وليس الأمر من المعجزات الغالبات .

وأختم أيّها المبادرون لأقول: علينا وعليكم تحقيقَ شعار المبادرة (أحمي وطني) ونضع بلدنا في عيوننا ومهما قدّمنا فلن نفيّه حقّه بما قدّمه لي ولكم ولو وضعناه في عيوننا إلى يوم القيامة ما كفانا. أحمي وطني من أجل الجزائر الجديدة وهي شعار الدّولة الحديثة التي تمُدنا بأيديها نحو التّغيير الإيجابي دولة المجتمع المدني بما له من جمعيات التّحسين وحسن التّدبير. أحمي وطني يجعل محاذير التدمير لا تناله من أصحاب التّخدير. أحمي وطني وليس لي وطن آخر، فلا محلّ لي في الاغتراب. أحمي وطني بما أقدّمه من استراتيجيات التّنميّة على الآماد الثّلاث. أحمي وطني بالقيام بالحملات التّطوعيّة لبعث العمل والأمل، وإعادة الأمور إلى وضعها المتألق والأفضل، وأزرع الثّقة وأنا أتنفّس ما يعيشه المواطن من قرح وفرح. أحمي وطني وأنا في حضن وطني الذي لا يُجير عليّ مهما فعلتُ، فهو يسعني ويسع الجميع، فالوطن أكبر منّا وهو الذي يُظنّنا، ونحن لا يكون لنا مقام واحترام دونه، ومن لا وطن له فهو من الأموات الأحياء. أحمي وطني في مسعى حملات رفع مستوى الوعيّ الثّقافيّ المضيف وليس المنيف. أحمي وطني بحبّي له، ويكبر حبّي له أكثر على قول الشّاعر:

أحبّك أكثر... تكبّر وتكبّر.. فمهما يكن من جفاك.. ستبقى بعيني ولحمي ملاك.. وتبقى كما شاء لي حبّنا أن أراك.. نسيّمك عنبر.. وأرضك سُكّر..

وإني أحبّك أكثر.. يداك خمائلُ.. ولكنني لا أغتني.. ككلّ البلابل... لأني
أحبّك أكثر.

اليوم العالمي للترجمة[♥]

- **الديباجة:** جرى عُرفُ المجلسِ الأعلى للغة العربية أن يحتفيَ بالترجمة/ ملتقيات ذات العلاقة في اليوم العالمي للتنوع الثقافي الذي سنته الأمم المتحدة وهو 21 مايو من كل سنة، وهذه السنة 2021م يضيف إلى أيامه القارة يوم 30 سبتمبر اليوم العالمي للترجمة، وهي مناسبة عالمية لإظهار تعاضد المترجمين في جميع أنحاء العالم لتعزيز مهنة الترجمة في مختلف الدول. إنها مناسبة عالمية لبريد اللغات في عصر العولمة، ونرى التواصل يتم عبر إيجاد الكلمات والمسكوكات المناسبة للغات البشرية التي تحتكم إلى تعددية لغوية تصل الآن إلى ما يقرب 6000 لغة، هي آية من آيات الحكمة التي أوجدها الله في الاختلاف والتنوع اللساني ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَلَوِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الروم 22. وهذا اليوم صادقت عليه الأمم في الرابع والعشرين (24) من مايو 2017م لتقدير دور الترجمة الاحترافية في الربط بين الأمم عن طريق منشورات وسائل التواصل الاجتماعي الهادفة لنشر المعلومات، وتثقيف العامة كل حسب لغاته، وكل يتواصل بلغته من أجل تبادل المعلومات التي تحملها لغة/ ثقافة لغة، ولا توجد في لغة/ ثقافة لغة أخرى. وهكذا تتجلى أهمية فعل الترجمة بين اللغات كونها تُفضي إلى تقارب الثقافات والشعوب، وفي نشر علومها المختلفة على نطاق أوسع بدلاً من حصر فائدتها في المجتمع المحلي. إن الترجمة تسمح بحوار الثقافات على اختلاف لغاتها وأعرافها ومعتقداتها وثقافتها

♥- أعدت المحاضرة للملتقى الوطني حول (اليوم العالمي للترجمة) بتاريخ: 30 سبتمبر 2021م.

بدلاً من الانكفاء محلياً في عصرٍ أصبحت فيه العولمة والتداخل والثقاف هي السمة الأكبر.

إنّ فعل الترجمة كما جاء في بيان اليوم العالمي للترجمة لسنة 2017م مهمّ جداً يُقصد باليوم العالمي للترجمة فرصة للإشادة بعمل المتخصّصين في اللغة الذين يلعبون دوراً مهماً في التقريب بين الدّول والشعوب والثّقافات وتسهيل الحوار والتّفاهم والتّعاون، والإسهام في التّنميّة وتعزيز السّلام والأمن العالميين. إنّ نقل العمل الأدبيّ/ العلميّ، بما في ذلك العمل الفنّي من لغة إلى لغة أخرى، والترجمة المهنيّة، بما في ذلك الترجمة المناسبة والتّفسير والمصطلحات، أمرٌ لا غنى عنه للحفاظ على الوضوح والمناخ الإيجابيّ والإنتاجيّة في الخطاب العامّ الدّوليّ والتّواصل بين الأشخاص. وانطلاقاً من هذه الأهميّة؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة كما نصّت عليه نصوص الإنشاء؛ فإنّه يعمل على ازدهار اللغة العربيّة، ويعمل على تعميم العربيّة في العلوم، والترجمة لهذه الغاية. وعندما نعود إلى نصوص الألكسو / ALECSO فإننا نجد أنّه عقّدت ندوةً في ذات الموضوع تحت مسمّى (الخطّة القوميّة للترجمة) في مؤتمر الجزائر 9 - 11 مايو 1983. وفيها تمّ توجيه المراكز والإدارات التابعة لوزارة الثقافة آنذاك نحو إغناء المكتبة العربيّة بالترجمات الأدبيّة والثّقافيّة والعلميّة من مختلف اللغات، والعمل على وضع الكثير من المعاجم المتخصّصة التي تُساعد المترجمين على نقل المعارف من مختلف الثّقافات إلى لغتنا العربيّة. وإثرها ظهرت مؤسّسات عربيّة تعمل في هذا المجال على غرار (المركز العربي للترجمة والتّأليف والنّشر) في سورية (المنظمة العربيّة للترجمة) في لبنان، و(بيت الحكمة) في تونس، ومنظّمات المجتمع المدني

الأخرى التي تهتمّ بالترجمة في مختلف الدّول العربيّة والإسلاميّة... وتعدّدت المؤسسات العربيّة الرّسميّة والخاصّة التي تهتمّ بالترجمة، وانبرى عدد كبير من المترجمين للتصدّي لهذا العمل، وهم يعملون أفراداً تحت إشراف هذه المؤسسات، وكان لهم الكثير من الإنتاج، وهي جهود طيّبة تحتاج إلى منهجيّة وتنسيق وخطّة مدروسة؛ تسمح بالتقدّم والرّقي بهذه المهنة وتمنع تكرار ترجمة الكتاب ذاته من قبل أيّة جهة/ مترجم، وتحفظ للمترجمين حقوقهم، وتُنظّم جهودهم.

1- أهمية الترجمة: إنّ التّرجمة فعلٌ نبيلٌ تقوم على أفكار المترجمين الذين يسعون لإزالة الحواجز اللغويّة للتقارب وتبادل المنافع عبر أنماط مختلفة من التّرجمات؛ وصولاً إلى التّرجمة التّأصيليّة/ التّأثيليّة التي تستهدف نقل الكلمات والمعنى دون شعور أنّها عمليّة التّرجمة؛ بحيث تحصل فيها ضوابط المجال التّداوليّ المنقول إليه لغوياً/ معرفياً/ عقدياً. ويتطلّب ذلك فهماً عميقاً ليس فقط للغة المصدر واللغة الهدف، وإنّما الفهم العميق للثقافات المختلفة وراء اللغات. وهكذا تكمن أهمية التّرجمة في دورها الفارق والمهمّ في حوار الحضارات الذي يهدف إلى تقوية التّواصل في فهم الحضارة في إطار من التّعاون المبني على الاحترام المتبادل والأمانة والدّقة، باعتبارها جزءاً من منظومة إيديولوجيّة تقوم فيها بدور الوسيط المعرفي. وفي الحقيقة تشرف عليها السّلطة السياسيّة، وتقوم على أسس ومعايير تحددها المؤسسات العلميّة بشروط النّشر والقبول في السّوق العلميّة، بالإضافة إلى العناصر التي تحددها سياسة الدّولة. وتكون التّرجمة بمثابة الوسيط الذي يمنحنا القدرة على تحسين فهمنا لقضايا التّنميّة ولثقافات الشّعوب؛ وذلك بأفكار تتسم

بقدرتها على تجاوز الحدود الثقافية والجغرافية. ومن خلال هذا؛ فإننا نُقدّر فعلَ المترجمين؛ فهم ليسوا وسطاء بين الأنظمة اللغوية المختلفة، بل وسطاء بين الثقافات أيضاً، وهم سفراء بلادهم، وحملة ثقافة وعلم ثمين، ولا ننسى دورهم الإيجابي في نقل المعرفة التي أثرت مكتبات الشعوب التي أضحت مفتوحة على مختلف اللغات والثقافات، وبفضلهم زالت الحواجز، وعمّ السلام، وأعطيت الكلمة للحوار بدل السلاح.

2. مضايقات الترجمة المعاصرة: مع عصر السرعة، وازدياد تطوّر الذكاء الصناعي، بدأت تظهر مضايقات في الترجمة الشخصية، بل تضمّر أمام التطوّر الهائل في محرّكات الترجمة الآلية وبرمجياتها وتزويدها بنصوص هائلة. وقبل ثلاث (3) سنوات أعلنت (Google / گوگل) إطلاق نظام الترجمة الآلية العصبية (GNMT) مؤكّدة أنّه لن يمكن تمييز الترجمات الآلية بهذه التقنية عن ترجمات البشر، وتزايد الاعتقاد بأن المهنة العريقة / الشخصية في طريقها إلى الاندثار على أيدي الآلات الحديثة. ومع ما يمكن أن يُقال من أنّ الآلات لا يمكن أن تترجم الأفكار والشعور، فهي تنقل الكلمات، ولكن هناك بعض السيطرة على الترجمة لما لها من قلة الأخطاء، والسرعة في الترجمة الفورية ولهذا يُشيد المختصّون بالتطوّرات في الترجمة الآلية بفضل استعمال نظام تعلّم آلي يتأسّس على شبكات خلايا عصبية، وهي التكنولوجيا الذكيّة الأحدث حالياً في الوصول إلى تمكين اكتشاف ذكيّ للروابط بين اللغات، وليس ذلك بعيداً؛ حيث الرقمنة ومجتمع المعرفة كفيلاً بسدّ الكثير من الثغرات في هذا المجال، وتبقى الترجمة الشخصية تعيش القهقري. ولهذا على المؤسسات

الترجمة الاستثمار في مجال الترجمة الآلية، وهي الكفيلة بملاحقة منتوج الثقافات بل هي من متطلبات السرعة وعصر العولمة، وقلة التكلفة.

3- منجزات ترجمية للمجلس الأعلى للغة العربية: هي منجزات بدأت حديثاً، وفيها ترجمة بعض الأعمال العلمية، إلى جانب مجموعة من مشروع (اللغات الوظيفية) ويمكن الإشارة إلى هذه الترجمات:

سنة الترجمة	المترجم	المؤلف	اللغة المصدر	عنوان الكتاب العربي / الأصل	الرقم
2005	أ. محمد بجاتن	أوغست كور August Cour هنري ماسي Henry massy	فرنسية	دراسات حول اللغة العربية في الجزائر (مقالات مترجمة من المجلة الإفريقية / Revue africaine) ملاحظات حول تدريس العربية في كل من: الجزائر قسنطينة وهران Notes sur les chaires de langue arabe d'Alger، Constantine et Oran. الدراسات اللغوية في اللغة العربية Les études arabe en Algérie	01
2006	أ. نذير طيار	ثيري بروتون Thiery Breton	فرنسية	البعد اللامرئي / La Dimension Invisible	02

2006	أ. مولود طيب	بيير روسي Pierre Rousset	فرنسيّة	وطن إزيس / تاريخ العرب الصحيح La citÃ© d'isis - Histoire vraie des .Arabes	03
2006	أ. طاهر بوساحية	فيليس أنطو Philips Anton ريشار سيلبرغلين Richard Silbergitt جيمس شنايدر James Schneider	إنكليزيّة	الثورة التكنولوجيّة العالميّة The Global Technology Revolution	04
2010	أ. العربي عقون	غابريال كامبس Gabriel Camps	فرنسيّة	ماسينيسا Massinissa	05
2010	أ. أبو بكر خالد سعد الله	نوبرت فيرديي N. Verdier جون بيير لوميني J.P Luminet مارك لاشيزري M. Lachiez- rey	إنكليزيّة	اللانهاية في الرياضيات والفيزياء واللانهاية L'infinie en mathématiques et la physique et l'infinie	06
2013	أ. جمال الدين قوعيش	أوليفي غوي Olivier roy	فرنسيّة	العقل العلمي الجديد لـ باشلار Le Nouvel esprit de Scientifique Bachelard	07

اليوم العالمي للترجمة

2014	أ. عمار علاوة	دومينيون فالريان Dominion valérien	فرنسيّة	بجاية ميناء مغاربيّ Bougie Port Magrébin	08
2020	أ. حبيب الله منصوري	محمد أكلي حدادو	فرنسيّة	المدخل في الأدب الأمازيغي Introduction à la littérature amazighe	09
2020	أ. داود زورليخة	مصطفى خياطي	فرنسيّة	إسعاف الطوارئ Les gestes d'urgence	10
2021	أ. ساسي هاجر	مجموعة من البحثة	فرنسيّة	معلومات هامّة حول الإصابات الرّياضيّة Informations importantes sur les blessures sportives	11
2019	أ. مصطفى خياطي	مصطفى خياطي	فرنسيّة	التغذية في الطبّ التّبويّ	12
أعمال ملتقى وطنيّ سنة 2011				أهميّة الترجمة وشروط إحيائها	
من دفاتر المجلس 2011				ترجمة معاني القرآن الكريم	
يوم دراسيّ 2017				كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغيّة	
ملتقى وطنيّ 2017				اللغة العربيّة والترجمة	

4_ خطة وطنية في مشروع الترجمة للمجلس الأعلى للغة العربية: لقد

بنينا هذه الخطة على بُعد زمنيٍّ مدته خمسة وعشرون (25) سنة: المدى السريع خمس (5) سنوات+ المدّة المتوسطة ثمان (8) سنوات+ المدة الطويلة اثنتا عشرة (12) سنة= 25 سنة. من 2021م إلى 2046م. وفي هذه الأمد تعرف خريطة اللغات ثلاث (3) نقلات: أولها ستكون في 2026 مع تغيير موقع العربية في خريطة اللغات الأعمية (الإنكليزية+ الفرنسية+ الإسبانية+ الروسية+ الصينية) وستعرف نافذة المجلس في الأمم المتحدة وفي منظماتها الدولية موقعاً جديداً. وثانيها في سنة 2034م فإنّ العربية ستنال مواقع عالمية في مختلف الشعوب، وبخاصة الإسلامية منها، وسوف تدخل نطاق Lingua Franca في المعاملات التجارية وفي السياحة وفي وسائل النقل. وثالثها ستكون سنة 2045م وفيها يحصل انقراض الكثير من اللغات، بمرض يُقال له (كوليرا اللغات) ولا يُبقي إلاّ على اللغات العلميّة والتي يكثر استعمالها، ولها بُعد مكانيّ، وتحتكم إلى مواصفات الجودة، وإلى العامل الهوياتي المربوط بالدين. وأمام هذه الخرائط المستقبلية؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر أعدّ استراتيجية الترجمة وفق هذه التنبؤات العلميّة المستقبلية، وعليه أن يراعي التكييفات التي تحصل.

5_ محددات استراتيجية الترجمة: بناء على أنّ المدى المستعجل

والمتوسط يدخلان في الثلاث عشرة (13) سنة 2021 - 2034، فإنّ الثقله الأولى ستعرف فيها العربية خريطة جديدة، حيث يواصل المجلس مشاريعه في الترجمة كما يلي:

1/5- اعتماد سياسة القوة الناعمة المبنية على قاعدة ثقافية حسب الطلب وحسب مشاريع الدولة في برامجها الخماسية التي تضع فيها اللغة العربية موقع اللغة الجامعة، وكان عليها أن تنال مواقع الاستعمال العام. وعلى المجلس إعداد أدلة متعدّدة تراعي حسن الاستعمال للعربية. ولهذا يمكن للمجلس أن يلعب دوراً إيجابياً باعتماد المعيار الدستوري كقوة ناعمة وقوة اقتراح في استراتيجيات الدولة للحكومات المتعاقبة من خلال الأولويات التي تعتمد في السوق اللغوية الوطنية والعربية والدولية، والتخطيط لسياسة تربوية مستقبلية للقوة اللغوية الناعمة (لغة العولة).

2/5- مواصلة إصدار مجلة (معالم للترجمة) وهي لسان حال المجلس في هذا المجال بما سوف يحصل فيها من تطوير لدخول خانة ب/ B في منظومة ASJP، وما يتيح نظام CERIST وما يتعلّق بأنظمة دولية على غرار الشبكات التي تُضخّ فيها مجلات المجلس الثلاث، مثل نظام Scopus.

3/5- عقد اتفاقيات شراكة وتعاون مع أقسام الترجمة في الجامعات الوطنية بغية تبادل المعلومات، ونشر الأبحاث، والسعي إلى تطوير منظومة الترجمة التي نفتقد مؤسسة متخصصة. ولا بدّ من شراكات مع المؤسسات ومع المختصّين في الدّاخل والخارج لتأخذ المشاريع الترجيمية صفة التّأهيل العلميّ العالميّ.

4/5- عقد اتفاقيات شراكة مع مؤسّسات الترجمة التي تنضوي تحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / ALECSO لما لها من صفة التمثيل

العلمي العربي، والجزائر جزء مهم من ممولي هذه المنظمات وعلينا الاستفادة من مشاريعها وأفكارها.

5/5- استمرار العمل في توسيع مشروع اللغات الوظيفية؛ باعتباره رافداً من روافد نشر العربية محلياً وتعميمها لدى غير أهلها بالنسبة لغير الناطقين بها.

6/5- اعتماد مواصلة أعمال الترجمات الشخصية: وفيها مواصلة أعمال ذات العلاقة بالطب والهندسة والعلوم من أجل تعميم استعمال العربية في ميدان التقنية.

7/5- الرهان على الترجمة الآلية: يعني الاستثمار في كل ما له علاقة بالترجمة الفورية؛ على غرار حديث بعض الناس؛ بحيث يضع المترجم سماعة يستمع من خلالها للمتحدث، وفي نفس الوقت يُترجم إلى اللغة/ اللغات الأخرى، حيث يعدّ هذا النوع أصعب أنواع الترجمة على الإطلاق، ويتبع ذلك ترجمة تحريرية وهي ترجمة نصّ مكتوب إلى نصّ مكتوب بلغة أخرى. وعليه نبني رهاننا على البرمجيات التي تأتي بها أجهزة الحواسيب والهواتف الذكية ولويحات الإي باد من تطبيق ترجمة گوگل/ Google Translate + تطبيق ترجمة مايكروسوفت/ Microsoft Translator + تطبيق الترجمة الناطقة iTTranslate Voice + تطبيق الترجمة ومحادثة Speak & Translate... وغير ذلك من التطبيقات السهلة التي نجعلها قاعدة في البداية ثم نعيش المستجد عن طريق تطويرها.

8/5- تقسيم لغات المصدر إلى قسمين رئيسيين هما:

- **القسم الأول:** يتعلّق بالمدّة المستعجلة والمتوسّطة تكون فيه الترجمة من اللغات الأهميّة الخمس فقط: الإنكليزيّة + الفرنسيّة + الإسبانيّة + الروسيّة + الصينيّة؛ بحيث يكون للعربيّة موقع علمي، وفي ذات الوقت تكون نداءً لنوافذ اللغات السّت. ونحن في هذا القسم بحاجة إلى رُكام ترجمي من لغات العلم لتطوير آليات العربيّة لملاحقة المستجدات، واستدراك التّقص. ويهمّنا في هذه المرحلة التّركيم المعرفي المطلوب الذي يجعل للعربيّة موقعاً بين لغات العلم.

- **القسم الثاني:** تظهر فيه الترجمة من اللغات الشّرقية: الفارسيّة + العربيّة + التركيّة + الهنديّة، بحكم العلاقات الأروميّة مع هذه اللغات، وما للعربيّة من موقع علمي وثقافي خلال الماضي والحاضر. وهذه المرحلة ستكون مع المدى الطّويل، ويحصل فيها الأخذ والعطاء ليحصل للعربيّة المحتوى الرّقمي المطلوب؛ لأنّه ليس العبرة بالترجمة فقط من لغات العلم، بل الترجمة من العربيّة إلى اللغات الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى ستكون هذه المرحلة استعداداً لعودة العربيّة للتصدّر كلغة عولمة مع بداية 2045 لتكون مجاورة للإنكليزيّة.

6- تخطيط سياسة ترجميّة مرحليّة جديدة بقوام المدى الطّويل مدّته اثنتي عشرة (12) سنة، ويكون مع آفاق 2050. وهذا المدّة تنطلق في 2035 وتنتهي 2045 وتقوم على ثلاث معالم: معلمة الترجمة الشّخصيّة/ لجان يتمّ العمل باختيار الكتب التي بحاجة إلى ترجمتها، وتكون كتباً أدبيّة/ تاريخيّة/ شعريّة تعمل على خدمة العربيّة المعاصرة، ولها مكانتها الحاليّة في منظومة التّدرّيس/

الصناعة/ المهنة/ الفنون/ التواصل اليومي. معلمة الترجمة الآلية عمادها اختيار الكتب العلمية؛ باعتماد أنظمة التواصل عن بُعد وبتقنية ورقة Excel ويكون عبر لجان متفرعة في الجامعات ومراكز البحث باعتماد التواصل عن طريق الزووم/ Zoom. معلمة الترجمة الآلية باعتماد مناطق الترجمة، وتخضع بعد ذلك لمراجع لغوي، ولا يحتاج الأمر إلى لجان.

6- تخطيط مشروع ترجمي اختياري حسب الأهمية للكتب: وهنا يقدم المجلس خطة ترجمة مبنية على الآماد الثلاث هي:

1/6- المدى المستعجل: وفيها يتم اختيار الكتب المهمة جداً، وتكون عمدة تطوير العربية في بناها الخارجية، وهي من العلوم التطبيقية التي تحتاجها العربية في المدى السريع على غرار:

الرقم	عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	اللغة المصدر	الملاحظات
1	Noise: A Flaw in Human Judgment ألضوضاء: خلل في الحكم (البشري)	Daniel Kahneman et Olivier Sibony دانيال كانمان و أوليفي سيبوني	الإنكليزية	
2	Örneklelerle Kolay Ekonomi (اقتصاد مبسط)	Mahfi Eğılmez (عفي ييلماز)	التركية	
3	Manual de tratamientos psicológicos: Adultos (دليل العلاج النفسي: الكبار)	Eduardo Fonseca Pedrero إدواردو فونشيكا بيدريرو	الإسبانية	
4	La traduction medicale à l'heure de la pandémie , الترجمة الطبية في زمن الوباء	Mathieu guidere ماتيو كيدار	الفرنسية	

2/6_ المدى المتوسّط: هي كتب مهمّة تعتمد على العربية في بنائها التحويلية
 أمام لغات العلم، ليحصل لها قيمة أمام مثيلاتها الأعمية، على غرار:

الملاحظات	اللغة المصدر	صاحب الكتاب	عنوان الكتاب	الرقم
	الإنكليزية	Mark Sperling مارك سبيرلينغ	Sperling Pediatric) (Endocrinology (طبّ الغدد الصماء لدى الأطفال)	
	الصينية	魏徠著 وي لاي تشو	人工智能的故事 (قصة الذكاء الاصطناعي)	
	الروسية	Мойзес Веласкес- Манофф (مويسيس فيلاسكيز مانوف)	Эпидемия стерильности (وباء التعقيم)	
	الفرنسية	Pascal Boniface پاسكال بونيفاس	Géopolitique de l'intelligence artificielle : Comment la révolution numérique va bouleverser nos sociétés (الجغرافيا السياسيّة للذكاء الاصطناعي: كيف ستُعطل الثورة الرقميّة مجتمعاتنا)	

3/6_ المدى الطويل: ويكون للكتب الاستشرافيّة في مجال السّباق اللغويّ، وفي مجال الاستشعار عن بعد، وكيف يمكن للعربيّة أن تقود العولمة في الجيل القادم، على غرار:

الرمّ	عنوان الكتاب	صاحب الكتاب	اللغة المصدر	الملاحظات
	Galileo's Error : a new science of consciousness خطأ غاليليو: أسس لعلم جديد للوعي	Philip Goff فيليب عوف	الإنكليزيّة	
	Daha Adil Bir Dünya Mümkün عالم أكثر عدلاً أمر ممكن	Recep Tayyip Erdoğan رجب طيب أردوغان	التركيّة	
	中国历史地图集 الأطلس التاريخي للصين	譚启祥 تان جاسيان	الصينيّة	

ومن خلال هذه الاستراتيجية التي تبدأ آفاقها في الظهور على خريطة لغويّة قادمة مع سنة 2026م؛ حيث يكون للعربيّة موقع متقدّم في اللغات الأهميّة، وتعرف جملة مشاريع ينتهي العمل فيها على غرار: المعجم التاريخي للغة العربيّة لاتحاد الجامعات اللغويّة+ خطّة المجلس الأعلى للغة العربيّة في اللغات الوظيفيّة، مختلف منتج لجان ازدهار اللغة العربيّة، ويضاف إليها ترجمة الكتب شبه الطّبيّة+ خطّة مصر لترجمة 1000 عنوان+ مشروع ترجمة الكتب العلمية للمركز العربي للترجمة والتأليف والنشر والتوزيع بسوريّة+ مشروع المنظّمة العربيّة للترجمة في لبنان+ مشاريع كبيرة في معظم الجامعات العربيّة، وبخاصّة مجمع اللغة العربيّة الأردني+ مشاريع اتحاد الجامعات

العربية في الترجمة + مشاريع الجامعات العربية + مشاريع الأفراد؛ وهي كثيرة... وقفت عند بعضها لأقول: إنَّ العربية ستعرف نقلة نوعية جديدة سنة 2026م من خلال استكمال هذه المشاريع؛ وهي مكانز كبيرة تُغنيها عن الترجمات.

- الخاتمة: هو مشروع المجلس الأعلى في الترجمة، ولضمان نجاحه نروم أن تحصل عمليات التكامل مع مختلف الشركاء الاجتماعيين، وبخاصة المجلس الوطني الاقتصادي والبيئي الذي نأمل أن يعضدنا في هذه الاستراتيجية ليكون للعربية موقع مائز محلي في المقام الأول؛ بتلك المرافقات التي تحصل على مستوى مخططات الحكومات، وما يمكن أن يحصل من دعم ماديّ تجاه هذه العملية، وما تقدّمه اللجان على مستوى المجلس في نيل العربية موقعها بين لغات العلم لمواكبة رهان العولمة. ولهذا لا بدّ من تشجيع فعل الترجمة لتنسجم مع متطلبات العصر؛ لأنّ بنية الدولة في مجال الاهتمام باللغة الوطنية هي الآلية الرافعة لكلّ تطوّر وتقدّم في المجتمع، كما أنّ تحقيق التنمية لا يحصل دون الاهتمام باللغة الوطنية والإغداق عليها، وهذا ما يكسبنا اللحاق؛ حيث لم يثبت أنّ أمة لحقت مستجدات الحضارة دون الاعتماد على لغتها. كما أنّ ترجمة نظريات المعرفة والعلوم الدقيقة والفلسفة ومناهج التفكير تحتاج إلى رعاية رمزية ومادية لنيل القفزة المعرفية في الفكر وفي الترجمة، وتحتاج إلى التماهي مع اللغات الرأقيات دولياً. ومن هنا؛ فإنّ تعميم عملية الترجمة المؤسساتية الجماعية، تحتاج إلى إقامة مؤسسات أخرى داعمة للترجمة، وإلى تعزيز مبادئ التعاون والتآلف والتكامل في تفكيرنا وعملنا وإلى الاهتمام بألية البحث في تطوير اللغة والمصطلح العلميّ عن طريق التعاون

البناء بين علماء اللغة والمتخصّصين والفنّيّين والمترجمين، وعلماء البحوث العلميّة والفكريّة في مختلف الحضارات، وإقامة التّدوات المشتركة لتبادل الخبرات على الصّعيد العربيّ والعالميّ من خلال هيآت مرجعيّة مخصّصة. والأمل معقود على تحقيق نسبة كبيرة من هذا المشروع إذا تعاضد المائل والفكر، وساندهما القرار.

من الآلام إلى الآمال^٧

الأفاضل الكرام مسؤولين وحضوراً في الولاية الأولى التاريخية، ولاية البارود والزناد، أحييكم وأنقل لكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية وأحيي فيكم نُبْل الدعوة لحضور فعاليات أيام تبسة الثقافية في طبعتها الثانية عشرة والتي تأتي في إطار الاحتفاء بالذكرى السبعين (70) لليوم الوطني للهجرة. هذا اليوم الكبير الذي يعود إلى ذات الثلاثاء من 17 أكتوبر 1961 قرب نهر السين الذي كان ينتظر التهام جثث الجزائريين البريئين الذين خرجوا في تظاهرات سلمية مطالبين بالاستقلال. بكرّوا صبيحة ذلك الثلاثاء الأسود منددين بحظر التجوال الخاص بالجزائريين وقبولوا بأشرس ما تملكه القوات الفرنسية من قمع المظاهرات. ويومها استقبل بطن السين أكلاً وفيراً من الجزائريين، وذنبهم أنهم قالوا: لا للتعسف، لا للقمع، لا للاستثناء، فليسقط حظر التجوال. نعم للاستقلال تحيا جبهة التحرير الوطني. وكان الجزاء ثقيلاً: أحياء تدوسهم الدبابات جرحى يوضعون في القمامات، أبرياء يُرمون في نهر السين، وتشهد عليهم تلك اللوحة من هنا كانت تُرمي الشرطة الجزائريين في نهر السين في 17 أكتوبر 1961. وحشية ما لها وصف. هذه أفعال فرنسا: (Liberté Fraternité Egalité)، فهل نعتبر! ومع ذلك يكبر الأمل بأن المستقبل أفضل وأن الاستقلال قادم، وذلك الذي حصل. وكلنا لا ننسى مع ما طويناه من مكتوب، ولكن ما مزقناه. هو الأمل يكبر يكبر صانعي المجد، كل

^٧- أعدت الكلمة لفعاليات (أيام تبسة الأدبية) الطبعة الثانية عشرة، بشعار (من الآلام إلى الآمال). دار الثقافة محمد الشوكي تبسة في 17 أكتوبر 2021م.

في موقعه، ومنهم الشعراء والأدباء الشّهداء والمجاهدين على غرار: مفدي زكريا+ محمّد العيد آل خليفة+ الرّبيع بوشامة+ الجليلي الفارسي+ السّعيد الزّاهري+ السّعيد اليجري+ الطّاهر زوقاري+ الطّيب العقبي+ العربي التّبسي+ محمّد الشّبوكي+ البشير الإبراهيمي... وتبسّة دفعت الغالي في تلك المسيرة التّضالية بقائمة الكبار ويقول مفدي زكريا:

وتذكر تاگست يومَ انطلقنا يُزجى ركاب الدُّور أغستنس
فتهوى شواطئها الحانقات صواعق تحصدهام المغير
وتقفو تبسّة آثارها تُباركها هبوات العصور
ويدفعها العربي التّبسي الشّهيد، فتحتلّ عرش التّسور
ويجري العلوم بأوصالها وحياة أصلتها في الجذور
على العربي الشّهيد صلاة مضرّجة بدماء ونور

شعّلنا الوري، وملأنا الدّنا، بشعر نردّده كالصلّاة، تسايحه من حنايا الجزائر
وقائمة أخرى من المبدعين المجاهدين أمثال: محمّد ديب+ مولود فرعون+
الطّاهر وطّار... وتطول القائمة بمبدعي الجيل الجديد الذين بهم استمرّ
الإبداع، ونراهم اليوم يحضرون هذا الاحتفاء الوطني بشعار (من الآلام إلى
الآمال) فأنعم به من شعار! وبعد يومين مولد التّي الأعظم محمّد ص الذي
غير مجرى التاريخ، وذات الفعل عملت به ثورة التحرير بتغيير مجرى
الأحداث في العالم. هي ثورة ماجدة في يوم خاصّ، وفي حدث أدبيّ مائز
يبعث في لم المبدعين لإبراز مواهبهم في الحراك الثّقافي. هي الآمال تولد من

ضيق الأزمات، اشتدّي أزمة تنفّرجي. هي الشّدّة التي عرفناها من خلال الجائحة وتمرّ مع قائمة الشّهداء، ولكن لا بدّ أن تستمرّ الحياة، ونقوم بمجريات فعل الثّقافة، وهذا اليوم يشهد البداية، وأولها قطر وسوف ينهمر.

أيّها المبدعون، بكم يكبر البلد، وبمواهبكم نخطو خطوات الأمل وبإصراركم تبثون روح المثابرة، وبمواهبكم يرتقي الوطن، وبإصراركم تصلون إلى مرحلة الإبداع، وأفضل شيء أن تُطلقوا عنان خيالكم لروح القوّة والعظمة بكلّ حماس وتألق. وهكذا يكون المبدع الإيجابي الذي لا يستسلم للمضايقات. والعبرة في هذا استلهام فكرة (آرنست همنغواي) في روايته الرّائعة (العجوز والبحر) التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي أسر بتوقيع أنطوني كوين: «قد يتحطّم الإنسان... لكنّه لا يُهزم». ونلاحظ الأمل والإيجابيّة في (توماس ألفا أديسون) مخترع المصباح الكهربائي الذي أنار الحياة، وهو أحد أعظم المخترعين في تاريخ البشرية، فقد حقّق ما يقارب 1100 اختراع. وقد صنّعت الظروف الصّعبة والفقر، ولكنّه انتصر رغم المعاناة، وهذا (عباس محمود العقّاد) من عمالقة الفكر والأدب والثّقافة في العالم العربي، درس بعصاميته التي جعلته يقرأ ستين ألف (60.000) كتاب في مختلف صنوف المعرفة، كان لا ينام من الليل إلّا سويعات قليلة، ومعظم وقته يُشغله بالقراءة والمطالعة والكتابة، فقد ألف أكثر من 120 كتاباً، وهو عملاق الأدب العربي، وهذا (سويشيرو هوندا) الياباني الذي عاش الفقر في عظامه، ولكنّ إصراره على الإبداع جعله يُبدع مكابح السيّارات، ويُخلّص العالم من الحوادث، مع براءات اختراع تفوق 470 ابتكاراً، ومصنع سيارات باسمه. وهذه (J K Rowling / جي كي رولينغ) صاحبة قصص ((Harry

Potter / هاري پوتر) لم تكن كاتبة معروفة، حيث كان الكتاب هو أوّل محاولاتها الأدبيّة، وعندما كتبه كانت حالتها الاجتماعيّة مفلستة تماماً، وتعيش على الضّمان الاجتماعي، وعندما حاولت نشر الكتاب للمرّة الأولى تمّ رفضه من اثني عشر (12) ناشراً، وعندما وافق أحد الناشرين على طبعه أصبحت واحدة من أشهر نساء العالم و ثروتها تتجاوز 600 مليون دولار أمريكي وعلامة (هاري پوتر) التجاريّة باتت تُقدّر قيمتها بحوالي 15 مليار دولار. وهكذا يمكن للإنسان أن يكتشف ذاته ويحقق طموحاته، وإن كان في البدء يعيش ظروفاً صعبة أو غير مناسبة. وإنّ الإيجابيين لا تقف أمامهم الأحجار بل يجمعونها ويصعدوا عليها إلى العلا. وأجملُ عملٍ أن تبني جسراً من الأمل على نهر من اليأس، وما ضاقت من جهة؛ إلاّ وفرجت من جهة بالأمل الذي يتلوه العمل.

أيها المبدعون أستلثّ أمامكم المقال والمقام، وأجدني في حضرة الفاتحين الأدباء؛ وهم يعيشون زحام المبادرات، وسأحيا عليها في تبسة العزيمة التي تزرع الأمل من خلال مديريّة الثقافة والفنون، فما أجمل من لقاء بصُحبة مُحركي المواهب، ومُمارسي الشّعور، وطالبي السعادة في ربيع يصنعه الخيال وهنا ننسى المآسي عندما نتنفس الشّعور؛ لأنّ رماد العمر يعيش على الأمل فزيدونا شعراً زيدونا، شعر شعر شعراً... ودعونا نخرج من الانتظار؛ إلى رحلة الفرح التي يُحقّقها الصّبر المختار، ألا ترون أنّ لذة النّجاح، لا تكون إلاّ بدمعة الكفاح. أيها الأصحاب، لا توجعوننا باليأس فهو موطن الرّاحلين، ولا تكونوا من المثبطين، فثمّة أملٌ لنجاح العاملين ولا تقفوا على ناصية السّواد؛ فإنّ النّهار بادٍ، وما قيمة الحياة إذا لا تُستعاد.

إخواني الحضور، إنَّ هذا الخطاب موجّه إلى كلّ ساعٍ مؤمن بالتّغيير الإيجابي الذي يتحقّق عبر ممرّ المضايقات، وإنَّ الإبداع الحقيقي لا يأتي إلّا من خلع ضرس أسهل من صعوبة تدبيح بيت شعر، ولهذا أقول: عليكم أيّها المبدعون أن تُواصلوا المسار، وتلبسوا الإبداع المنار، ففي تبسة تنمو الكفاءات الفنار، وهنا تولد البسمات، وفي عُتق الحسنة يُستحسن عقد الجميلات. فلا جفّ حبركم، ولا فضّ فوكم، ولا عدما عشرتكم، فالأدب عندكم لا يُباع ولا يُشترى، بل يَقَطَر في قلب كلّ من تربّى على الفطرة وهو طابعكم. طابعٌ يحتاج إلى الصّنعة الجماليّة التي وهبتموها، ولكّنه لا يثمر إلّا بالجهد والمثابرة ألم يقلّ المتنبّي:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقَرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

أيّها المبدعون، يبدو لي بأنّ هذا الاحتفاء الثقافي لم يكن لولا وجودكم فأنتم عاملٌ أساسٌ، فحضور المسؤولين وجهٌ صادقٌ للاهتمام بالكفاءات والمواهب، وكلُّ من يمارس العطاء الثقافي، وهو تقدير للكفاءات أنتم ممثلوها، ونريد وجهاً جديداً في برامج ثقافيّة لما بعد الجائحة، وعبر البحوث التخصّصية، والترشّح لمسابقات ومنافسات لاحقة، ولزاماً عليكم الانخراط في التّجمّعات المرتبطة باهتماماتهم الأدبيّة، فعالم اليوم يزخر بالمؤسّسات التخصّصية، والتّجمّعات التوعويّة، التي تشكّل بطبيعة الحال ساحاتٍ تلتقي فيها المواهب والقدرات، ضمن مسار الدّولة العامل على تشجيع المبادرات. ولا تنسوا أهل الفضل في هذه المنطقة، فمن العربي التّبسي، إلى مالك بن نبي، إلى محمّد الشّبوكي، وكلّ الذين قضوا، والذين لا يزالون في سجال الأدب والفنّ على غرار الشعراء المبشّرين بالشّعر من بئر العاتر، عرش أولاد

سيدي عبيد، وكلّ العاملين على الارتقاء من (عادل سلطاني) و(مختار حنيني) والقائمة كبيرة... وكلّ الفنّانين الذين تركوا بصمات وهم رموس ولكنهم أحياء بيننا، ولا نستذكّركم وقت المصالح ثمّ يغيبون، ونرجو ألا ينطبق علينا قول عنتره:

ينادونني في السّلم يا ابن زبيبة وعند اصطدام الخيل يا ابن الأطايب

وهكذا إخواني تتواصل المسيرة الثقافيّة؛ سلفاً لخلف، فأنعم به من توريث العهد! توريث الإبداع في الكتابة والقراءة، ويعود الصّالون الوطني مع (خير جليس) و(تحدّي القراءة العربي) و(المليون شاعر) و(كتارا) و(درع الضّاد) و(أفضل الكتابات) و(جائزة اللغة العربيّة)... وإنّها لمبادرة جيّدة أن يقع هذا الافتتاح الرّسمي بمرافقتكم بخُطى واثقة راسخة، وقد تكون بسيطة ولكنّها مضمونة. تلكم هي الثقافة الوطنيّة التي نستشفها ونشمّها من خلالكم في الإسهام في المواسم الثقافيّة، وفي عكاظيات الشّعْر وبيت الشّعْر الجزائريّ.

الأماجد العظام، إنّ هذا الحدث جلل في يوم تاريخيّ كبير؛ سجّلته الجاليّة الجزائريّة، ونرى مديرية الثقافة والفنون في تبسة تغتنم الحدث بتوقيع هذا المنجز الثقافي الواعد، يلتقي فيه مبدعو الأفكار مع أصحاب القرار، في تظاهرة المواهب والإبداع، مع أهل الفنّ والاختراع، ولا شيء أخطر من خطورة فكرة، عندما تكون لديك فكرة، فأنت قادر على الإبداع هذا الأخير يحتاج إلى اكتساب الموهبة، وإلى إفساح مجال في زاوية ما من عقلك. وكما نحتاج إلى مواهب، لا بدّ من موهبات عظيمة يشاركن في مصادر الإبداع

والعديد من الموهبات بصمتهن يُخلدُهنّ التاريخ عندما يفصحن عن أغنى الأفكار، ويتركن أنفس الإبداع.

أختم وأقول: كلّ الشكر والتقدير للموظفين المتميزين العاملين على خدمة الوطن، ويا حبذا أن تقع الرعاية السامية في كلّ محفل ثقافي مثل هذه الرعاية التي نحييها اليوم، رعاية السيدة وزيرة الثقافة والفنون وبإشراف فعليّ للسيد والي الولاية، فهم الأمن الثقافي الذي ننشده في التشجيع والدعم فكلّما كثر العلماء والمبدعون والمسّرون الأكفاء لا محالة تتبعها نهضة قويّة في الصنّاعة والاختراعات، ويتبعها الجانب الروحي الذي يعدل بين الطّاقة الإبداعية ومكنون الأخلاق. ونعرف ما لدور الأدب في بناء الحضارات وللغات التي أسندت للشعراء والمبدعين فلا أدب بلا لغة، ولا ثقافة دون إبداع. وتبقى اللغة جامعةً بينهما، فلا يمكن إنشاء أيّ نوع أدبيّ إلا باستخدام جيّد وسليم للغة، فالأدب بلا لغة هو رصّ لكلمات لا جزالة فيها ولا أفكار والثقافة كذلك، فمن الصّعب على من لا يعرف القراءة والكتابة أن يتحقّف. وكلّما لدّ الأدب كان أكثر جودةً، وكانت لغته أعلى رقيًا، وكلّما أثرى معارف قارئه بالجديد، كلّما اتّسع المضيق وسمت الروح أكثر فأكثر لينفتح العقل على استيعاب الجمال، وتذوق المعنى، ونيل المقام في صيد المرام.

أيّها المبدعون كونوا أو لا تكونوا، ونريدكم أن تكونوا، نريدكم لأن تخرجوا ممّا بين السّطور إلى ما وراء السّطور، وتعمّقوا في حيوات البشر ودوافعهم إلى ملهات شخوص الحكاية؛ ليرتفع الأدب وتعمّز الثقافة لأنّ الأدب مثل المعلّم يعمل على أن يصل المتعلّم إلى حسن استخدام العقل في التفكير والخروج برؤيته الخاصّة. فأنتم لها بأدبكم الذي يوصلكم لمناطق لم

تحلموا يوماً الوصول إليها. وأعلمُ أنكم تستطيعون، فهلاً جربتم. وبوركت
خطواتكم وما تنقوشنه في جدران الثقافة، ومزیداً من العطاء. فجسدوا الفكر
الثقافي أيها المثقفون العاملون على التثقيف وكونوا خيرَ خلفٍ لخيرِ
سلفٍ، فأنتم تستطيعون، والعهدة عليكم بما تُبدعون. وهنا أسكتُ عن
الكلام المباح، والسلام عليكم يا ملاح.

أسئلة صحافية

السؤال الأول: تعميم استعمال اللغة العربية هل تعتبر المرحلة الثانية من عملية التعريب التي بدأت سابقاً؟

ج= إن مصطلح (تعميم) ليس بديلاً عن (تعريب) وفي الحقيقة لا تمس الكلمة الثانية البلاد العربية؛ فهم عربٌ باللسان، ونحن منهم، ولكن مسألة (التعميم) هي النشر والاستعمال للسان الهوية. فكيف يقع تعريب المعرب؟ وهي مغالطة علينا تصحيحها، ومن هنا نتحدث عن (التعميم) وهو المسار الذي تتخذه لغة الهوية في نشرها عبر كل البلاد/ البلدان المعنية. وأما (التعريب) يمس البلاد الأجنبية التي تُريد أن تنال فيها العربية موقعاً ما أو انتشارها في مصالح معينة. إذن؛ إن المسألة لا تأخذ المسار التدرجي بتطوير الكلمة من تعريب إلى تعميم. وأما المرحلة الثانية من عملية التعريب يعني هناك مرحلة أولى ولست أدري المقصود منها. وما فهمته هو أن هناك مرحلة عاش التعريب مجده ثم توقف، والآن هناك استمرارية لتلك المرحلة التي فيها القرار جديد، قد أكون أصبت المراد. وما يجب أن نعلمه بأن المرحلة التي فيها القرار السياسي كان باسم (تعميم استعمال اللغة العربية) وفيها مسار عملية التعميم مع الثمانينيات، ثم توقف المسار باسم (تجميد قانون تعميم استعمال العربية) مع دخول الجزائر في العشرية الحمراء. وفي 1998م رُفع التجميد بقرار سياسي وتأسس المجلس الأعلى للغة العربية لهذا الغرض. ومن نهاية

نشرت في موقع منبر الجزائر. جريدة إلكترونية. بتاريخ 24 أكتوبر 2021م.

سنة 1999م حصلت تغييرات سياسية جعلت مسألة التعميم تعيش القهقري ولا نعدم أن مقامات علمية حصلت بعد ذلك التاريخ.

السؤال الثاني: في رأيك هل سيتمّ تعميم استعمال اللغة العربية في كلّ القطاعات؟

ج= يفترض أن التعميم يمسّ كلّ القطاعات، ويحدث فيها الغمر اللغويّ (الحمام اللغويّ) وهو الاستعمال العامّ للغة الهويّة في مختلف المجالات، ويبدأ هذا من قطاعات أساس، وهي: التعليم بكلّ مراحلها، ثمّ الإدارة في كلّ مرافقها، ثمّ الإعلام بكلّ قنواته، ثمّ قطاعات السيادة التي ترمز إلى الإنيّة والوجود والانتماء وصفات التميّز. ولا يمكن أن يحدث تعميم استعمال العربية في قطاع ما وقطاع آخر لا يسير في نفس المضمار، وهنا يحدث ما يسمّى بالنخبويّة والقطيعة والاستثناء. فلا يوجد بلد عمّ لغته في قطاع واستثنى قطاعاً، عدا الدّول العربيّة، وحتى الدّول العربيّة نجد سورية+ اليمن+ ليبيا+ السّودان عمّمت العربيّة في معظم القطاعات. ودول عربيّة أخرى عمّمت العربيّة كلغة تواصل يوميّ بشكلٍ عادٍ، ما عدا الاختصاص في توظيف المصطلحات العلميّة مثلاً، أو في قطاع الدّيپلوماسيّة نظراً للعلاقات اللغويّة مع الاتّفاقيات والمصالح المشتركة التي تقتضي استعمال الأجنبيّات في حدود ضيقة جداً. وهنا يقع الاستثناء باعتبار أن الدّيپلوماسيّة لها مصالحها مع كلّ البلاد الأجنبيّة التي لها لغاته أيضاً ولكن أن تكون العربيّة مثلاً للغة البلد الأجنبي، ولا نجعل اللغة الأجنبيّة الوسيط اللغويّ في التّواصل عبرها، بل أن تكون التّرجمة المباشرة دون وسيط، وأن

تحظى اللغة الوطنية بمكانة في الاتفاقيات. والباقي هي من الأمور الشكلية التي لها مقامات في غير هذا الاستجواب.

ويبقى الحديث عن التكوين باللغات الأجنبية ضروري للاستفادة ونقل العلوم والتفتح على آخر المستجدات، فالشخص الذي يتعلم لغة أجنبية يعطي ويقدم للغة قيمة مضافة، وهذا مطلوب، وتقوم به كل الشعوب، لا التماهي مع لغات الغير والدوبان فيه ويصبح قيمة للغة الأخرى. ويعني كل هذا الانفتاح على تعددية لغوية مضافة، لا على تعددية لغوية متوحشة تأخذ بألباب متعلميها ويصبحون قيمة زائدة في لغات الآخرين. وهنا المفارقة التي يجب عزلها في بلادنا، وهي كيف تتماهى مع اللغات الأجنبية لتفيدنا لا لنخدمها ونصبح تبعاً لها، وننظر لها بمنظار التخلف للغاتنا، ونعبدتها في الترجمات التي تصبح هي المرجع، ولا نذهب إلى المصدر، ونكون بذلك قد حكمنا على أنفسنا بالتبعية اللغوية التي لا تخرجنا إلى مآلات التقدم؛ لأنه لم يثبت أن أمة في العالم تقدمت باللغة الأجنبية، وهذا ما يجب أن ننتبه إليه ونخطط له في لاحق من مشاريعنا ونلفت نظر المعنيين أن كل تأخير في تعميم استعمال العربية تعطيل لمسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. فالمواطن يحس نفسه غريباً في بلده عندما تكلمه بلغة لا يفهمها؛ وبخاصة لغة عدو الأمس التي يحس فيها القهر اللغوي الاستدماري. بالفعل يحس أنه ليس في صحنه/ بلده. ونفس الشيء في الخطاب الرسمي على مستوى المؤسسات الاقتصادية، يرى العامل القطيعة بين المدير (الرأس المدبر) الذي يكلمه بلغة أجنبية غريبة عنه، وبين العامل الذي يفترض أنه يسهم في تدبير أمر المصنع. ولكن عامل اللغة يكون حاجزاً في التواصل إذا لم تكن بينهما اللغة الوطنية

المشتركة، فيصبح العامل لا يُدبّر أمر المصنع كما يجب؛ باعتبار أنّ العلاقة اللغوية بين (الرّاعي والرّعيّة) فيها فجوات وخدوش لغويّة، وأنّ الكلام لا يصل مضبوطاً، وهذا يسبّب سوء فهم، ولا يتحمّل العامل مسؤوليّة الدّفاع عن المصالح الاقتصاديّة للمؤسّسة التي يشتغل فيها. ومن هنا من الأهميّة الاقتصاديّة أن يحصل الخطاب باللغة المشتركة التي يفهمها الجميع.

السؤال الثالث: بالنسبة للقطاعات العلميّة كقطاع الصّحة مثلاً التي أغلب

مراجعها أجنبيّة، في رأيك هل سيتمّ تعميم استعمال اللغة العربيّة فيه؟

ج= كلّ البلدان في العالم تُدرّس الطّب بلغاتها، بل إنّ تدريس الطّب باللغة المشتركة لأية أمة أسهل بكثير من العلوم الأخرى، باعتباره يتماهى مع الجوانب الاجتماعيّة للمواطن، والطّب ليس مادة علميّة خاضعة للضّبط العلميّ، بل مسألة مصطلحات، وليست له لغة معيّنة، فهو مثل الموسيقى والرياضيات، يقبل كلّ اللغات. وتبقى كتابة الوصفات تخضع للمنظومة الخطيّة لأية لغة فهي بسيطة جداً، وقاموسها ضيق جداً، وأنّ الصّيدلي يُشفر اسم الدّواء لأنّه عالميّ، والمريض أو الممرّض نفس الشّيء. فالدّواء (Paracétamol) مثلاً واحد في كلّ اللغات، والخلاف في الكتابة فقط، وفي تلك الملاحظات التي يكتبها الطّبيب أو الصّيدلي تشفيراً للاستعمال ليس إلّا وهي عمليّة سهلة تقبلها كلّ اللغات. الاسم+ اللقب+ العمر+ الوظيفة+ حبة قبل التّوم+ كأس في الصّباح... وليست من ماء البحر الذي لا يُشرب.

وهنا نحتاج فقط إلى المبادرات، وليبادر طبيب ما وسوف يقع أتباعه وتسير الأمور إلى تعميم استعمال اللغة المشتركة، مع ما يتلوها من مستلزمات إداريّة

على غرار الطّب يتبعه الطّقم الطّبي والصّيدي ومصلحة التعويضات. وفي حديثنا عن أمر التّطبيب يجب أن نعلم بأنّ حديث الطّبيب مثلاً إلى مريضه بلغة يفهما يدخل ذلك في نصف الشّفاء وحديث الطّبيب في المحاضرة إلى طلابه باللغة المشتركة يزيد من نسبة التّجّاح بقوّة. وقد أبانت الدّراسات التي أجريناها على مستوى بعض الجامعات الوطنيّة في مسألة هدر الطّلاب، أو طلب إعادة التّوجيه كان عامل اللغة أساساً في هذا الهدر المعضلة. وإنّه لا يُعقل أن يدرس التّلميذ كلّ مراحلها بالعربيّة، ولما يعبّ الجامعة يُصادف بلغة أجنبيّة يدرس بها كلّ وحداته. وهنا لستُ ضدّ هذه المسألة بقدر ما أريد لفت الانتباه إلى مسألة تخطيط السّياسة التّربويّة التي تعدّ التّلميذ في لغة أجنبيّة من المرحلة المتوسّطة والتي يحتاجها في الجامعة، وعندما يحصل هذا لا يحسّ التّلميذ بنقلة جديدة لغويّة وهو يتلقّى بعض الوحدات باللغة الأجنبيّة في الجامعة. ويعني هنا أنّ المرحلة الجامعيّة تكون الوحدات الأساس باللغة العربيّة، ثمّ هناك وحدات باللغة القطب (الأجنبيّات) واعتماد لغة المصدر في التّرجمة، والإفادة منها في آخر ما وصلت إليه في المجال المطلوب والتركيز على المصطلحات العلميّة. وليعلم القارئ أنّ المنظّمة العربيّة للصّحة أنجزت معاجم وقواميس وأدلة جدّ راقية باللغة العربيّة؛ وهي لا تتعدّد عن علميّة الإنكليزيّة، ولكن نحن لا نتابع هذه المسائل والمنشورات بحكم الأحكام المسبقة على أنّ العربيّة فقيرة في هذا المجال، وإلّا كيف كانت لغة تدريس الطّب في فرنسا إلى غاية 1624م. ونجد إقرارهم بذلك في صورة ابن سينا الطّبيب العربي المشهور في رواق السّوربون. ويجرّنا الكلام إلى التّزيهين من علماء الغرب المعاصرين أمثال (Jack Lang) في كتابه (La Langue Arabe)

Ce que notre (Trésor de France، والباحث Provost) (Jean) في كتابه (Arabes) (langue leur doit Nos Ancêtres les) وغيرهما كثير ممن يقرّون بما قدّمته العربيّة للغات الأوروبيّة من خلال وجودها في شبه جزيرة إيبيريا (الفردوس المفقود) هذا المكان الذي عمّرت فيه العربيّة ثمانية قرون ومسحت فيها اللغة القشتاليّة بالتّمام وأحدثت حركة علميّة في غرناطة وإشبيلية ومجريط وقرطبة، وكان بفضل أركان العلم الذي تحلّت به العربيّة لغة الحضارة الإنسانيّة. ويقول الشّاعر واصفاً ذلك الازدهار:

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةً منهنّ جسر الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والفيحاء ثالثهما والعلم أصبح كلّ شيء هو رابعها

والعلم كان بلسان عربيّ مبین في الأندلس، وبقيت آثار العربيّة لآن في قاموس (Los Arabismos)، ولولا علوم العربيّة التي كانت القاعدة لما وصلت تلك اللغات الأوروبيّة إلى مرحلة التطوير والإبداع، ومن ذلك المقام حصّلت الطّفرة العلميّة لانطلاق ثورة البخار في أوروبا التي لها ألق التّوهج في نقلة (البكرة) التي أوصلت العالم إلى الحضارة، وإلى صناعة الكهرباء والطيران ونقل مجاري المياه، وكلّ ذلك يتمّ في مجرى الحركة التي تعرف التّطور اليومي.

وأما الحديث عن مسألة المراجع بالعربيّة؛ بالفعل قليلة أو شحيحة في مجالات العلوم، ولكن كيف يتمّ التّغلب عليها إذا لم يقع تدريس الطّب ومختلف العلوم بالعربيّة، لا يمكن أن يحصل الإبداع في المراجع أو في المصطلحات ونحن لم نضع اللغة العربيّة على المحكّ، وكيف نحكم على

ضعف اللغة وهي لم توضع في تدريس هذه المواد العلمية، وكأني بها ينطبق عليها قول الشاعر:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال إياك إياك أن تغرق في الماء

وإنّ التدريس بذات اللغة في كلّ المجالات هو الذي يخلق المصادر ثمّ المراجع، مع ضرورة الاستعانة بالمصادر الخارجيّة ومن مختلف اللغات والمشارب والقنوات العلميّة، وهنا المشكلة التي يجب التخطيط لها بعميّة كلّ الشركاء، حيث القرار السياسي قائم، والثبّة حسنة، وعلينا فقط التّفعيل داخل هذه المعطيات، والسّير مرحلياً لتعميم استعمال العربيّة في العلوم. والعهدة في المسألة أنّنا نستدرك ما فات، وكان علينا ذلك بحكمة كلّ الفواعل في هذه المرحلة التي تحتاج إلى تحريك الهمم لإنزال العربيّة محلّها العالي في الاستعمال والتدريس والاعتزاز. ويجب أن نعي بأنّ اللغة وضع واستعمال فبالاستعمال تترقى، وبالإهمال تموت، وأنّ اللغة الحيّة تحتاج إلى توظيف وممارسة كي تحيا في قلوب أهلها وتستمرّ بها الحياة والاستعمال هو الأساس.

وأما مرحلة التّعليم العالي والبحث العلمي التي يجب أن تُساير الحدث وفي نفس الوقت كان عليها أن تتفتح على اللغات الأجنبيّة للإفادة منها في مواد دامغة تتطلّب اللغات الأجنبيّة التي تتحكّم فيها لغات الأقطاب، كان على المخطّطين ألا يستغنوا عن هذه اللغات حتى تستوي العربيّة بشكل جيّد في إطار التّهيئة اللغويّة والتّطوير العلمي والتكنولوجي الذي يُقدّم لها عبر وحدات البحث ومخابر اللغات، ولا بدّ من الأخذ بمبدأ التّفعية العلميّة حيث ما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله. ومن هنا، يجب تجاوز مرحلة الخوف

ونعلم أنّ لكلّ بداية عثرات، ولكن علينا أن نُبادر؛ لأننا مجبرون على ذلك من أجل التّمنية المستديمة التي لا تُعطيها لنا اللغات الأجنبيّة فلم التّعطيل؟ ويبدو لي هنا رجالٌ رشيدون سوف يُبادرون على مستوى إنتاج الأفكار ولا شكّ يليها صنّع القرار.

السؤال الرابع: ما هي المعوقات التي تعترض تعميم اللغة العربيّة؟

ج= يمكن ذكر بعض المعوقات التي بصّرت بها من خلال الأبحاث والدراسات التي أجريتها وأحصرتها في الآتي:

- 1- الجانب النفسي في أنّ العربيّة لا توصلنا إلى الهدف.
- 2- غياب أو فقر في المصطلح العلمي العربيّ.
- 3- تجارب التعريب فاشلة في الكثير من الدّول العربيّة.
- 4- اللغة العربيّة لما تتحكّم في مجال التّقانات المعاصرة.
- 5- مستويات العربيّة متفاوت بين: الفصيح والشّعبي والوسط.
- 6- العربيّة لا تزال في الماضي والتّاريخيّة، ولا تُسائر الحداثة.
- 7- تصنيفات المعرّبين في الجوائز العالميّة عدّم.
- 8- قلة استثمار العربيّة في الدّكاء الصّناعي.
- 9- غياب شبه تامّ للعربيّة في التّرجمة العالميّة.
- 10- ضعف المستوى اللغويّ لدى أهل العربيّة، وتراجع في مستوى التّحصيل العلميّ.

11- عدم وضوح الرؤية لمستقبل العربية في المجال العلمي...

هي حقيقة في بعضها، وواهيّة عند البَحثة الحصيفين والتزيهين والذين يعرفون موقع العربية علمياً، وما لها من قيمة عند غير أهلها يُدركون أنّ هذه المعينات بعضها من صنع المستفيدين من اللغات الأجنبية، وبعضها من جهل علوم العربية، وبعضها حقيق وتاريخي قديم زالت عوارضه. وبعضها من عدم مُسايرة الأحداث، وبقيت في ذهنه تراكمات الأقوال التي لا محلّ لها في اليقنيات. وما يجب وعيه ونقله للأجيال أنّ العربية منذ 2012م لها موقع جدّ متقدّم في اللغات الأُمّية وفي لغات العالم في كلّ قاراته. العربية تعرف تطوراً كبيراً يومياً على مستوى مكانزها وتراثها وعلومها وبعض مشاريعها الكبيرة وسوف تعرف خريطة لغات جديدة تُصبح لغة العولمة بمعىّة الإنكليزية حسب الدّراسات المستقبلية للغات العلم. والواقع إنّ غياب الاعتزاز بالعربية جعلنا نشكّ في قدرتها، بل نطعن فيها؛ ونحن لها جاهلون. ولكن ما يجب فهمه هو الوعي اللغويّ الذي يُعالج كلّ الأمور بسهولة وبالقوّة الثّاعمة التي يقوم بها المجلس الأعلى للغة العربية في مساره ومنجزاته وعمله الصّحيح، ودون ضجيج وبمسار مضمون لا خطأ فيه، مع قبول المراجعات وللتكيفات التي تدخل في باب الإضافات، وهي خطة نعدّها ناجحة لأنّه ينظر إلى اللغة من حيث مادتها التي تقدّم في عمل حقيقيّ، فالعمل أولاً والتّهيئة ثانية، ثمّ المطالبة ثالثة. وبذا نرى المجلس أنّه قد قدّم الكثير من الحلول للمسائل العالقة حتى في مجال اللسانيات والمصطلحات والترجمات والدّكاء الصّناعي وفي وضع المنصّات الرّقمية العالية، وفي لغة المحادثة الطّبيّة وغيرها من مجالات العلوم الحديثة. أقول: يمكن أن تُعالج كلّ هذه الفجوات

برفع التّحدّي، والعمل الذي يحصل عن طريق التّخطيط اللغويّ عبر الأمد الثلاث لتحقيق عربيّة معاصرة شاملة علميّة تُسهم في التّنميّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة المستديمة لجعل مستعملي العربيّة يعيشون في مجتمع المعرفة ودخول عالم اقتصاد المعرفة من باب البيئّة التّظيفة التي تتطلّب المنافسة الإنتاجيّة بما تبدعه بلغتك. ولا يكون ذلك إلا في الاستثمار في التّربيّة والتعليم وتعميمها في الإدارة والإعلام. فلا بدّ لنا من رفع التّحدّي ونذكر ما لمقام العربيّة كلغة علميّة عروبيّة في ستين (60) دولة لغة رسميّة، ولها النّافذة الخامسة في الأمم المتّحدة وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) وتُستعمل في كلّ القارات، ولا توجد جامعة في العالم إلا وفيها قسم العربيّة أو اللغات الشّرقية، وتُدّرّس حالياً في ستّة وستين (66) جامعة في الصّين واللغة الأجنبيّة الثّانية في كوريا الجنوبيّة التي تتحدّى الغرب باقتصادها الكبير عبر الكارتلات العملاقة في الصّناعات الكبرى. وهنا لا أتحدّث عن العربيّة في موقعها العلمي الكبير، بقدر ما أريد التّركيز على رفع المضايقات التّقنيّة وهي الأساس. ويجب أن نعلم بأنّ كلّ اللغات تُعاني مضايقات: الإنكليزيّة يشتكي أهلها من بداية تلاشي التّحو الذي لا يعمل على ضبطها، وتعرف فروقاً بينها وبين إنكليزيات العالم والترجمة إليها قليلة. الفرنسيّة تنتحر في بلادها، لم تعدّ تلك اللغة الإشعاع الإشعاع في قرن الأنوار XVII عصر (Râblés و Racines) والآن شعاع الفرنكفونيّة بدأ ينطفئ، وأضحى الفرنسيون يطلبون التّدرّيس بالإنكليزيّة ويهجروها أهلها سنويّاً ملتحقين بلغة (Langua Franca)، ونفس الشّيء لكثير من اللغات التي تفتقر إلى المراجع باللغة الأمّ... إذن مسألة بعض المعينات التي توجد في العربيّة مسألة

عادية والتقيصة في عدم معالجتها، أو الحكم عليها بأنها ليست لغة علم ونحن نعلم أنه لا يوجد العلم في لغة واحدة وعلينا الإقرار بهذا، ولكن علينا أن نعمل ونبادر، والمبادرة وهو طريق العلم، ودرب حل ورفع كل المضايقات.

تعال نبادر: والكلام موجّه للتخبة الوطنية والعربية؛ لأنّ العربية لغة مشتركة، علينا حمل أمانتها وتحسين وضعها العلمي، وإثباتها تكون بنا أو لا تكون، تكون بما نبادر به من أفكار؛ فأفاق البحث العلمي في حوسبة المعجم الإلكتروني يسير بخطى سريعة وجيدة، وهناك جملة حقائق يعيشها المعجم العربي، وعلينا فهمها أولاً، ثمّ البحث عن حلول نوعيّة ثانياً. ولا بدّ من البحث الدقيق في قضايا شائكة لرفع كلّ المضايقات اللغوية؛ حيث لا يزال نعيش مضايقات توصيف العربية، فالماضي الذي بقينا فيه جعلنا نعيش التكرار؛ نظراً لقلّة إنجاز الأعمال الجديدة الضخمة التي تُلبّي مخزون المعاجم الحديثة. وهذا يقودنا كذلك للقول بأنّ المؤسسات الجمعية تعمل ببطء في هذا المجال، وأعمالها تسير الهوينى، ونحن بحاجة إلى مشاريع كبرى في البرمجيات لوضع الصّرف الحاسوبي، والتحو الحاسوبي، والدلالة الحاسوبية، والمعجمية الحاسوبية للمواءمة بين المنظومات البرمجية وطبيعة اللغة العربية. ولا بدّ من منهجية جديدة لبثّ دمّ الشباب في هذه المجامع / الأكاديميات الهرمة التي يجب أن تبدع كثيراً كما تكون مرافقة ومرشدة للشباب الباحث، ولحاملي المشاريع على غرار (Startup) الذين يبدعون في تقنيات ما تبدعه الآلة التي يقع فيها تخزين المادة العلمية في خوادم كبيرة (DATA CENTER)، التي تحتاجها العربية في تخزين المخطوطات والموسوعات والمشاريع الكبرى التي تتطلب الأجهزة

الجبارة للحفظ والقراءة والاسترجاع في سرعة ضوئية. وهناك جانب مهم وهو نقص الإغداق المادي على المبدعين بالعربية الذي يحل الكثير من المضايقات التقانية، وما يتبعها من تشجيعات وجوائز في مجال الصناعة الخدمائية لتطوير العربية وفق لوازم العصر.

علينا أن نبادر باختراع الأفكار، ونفرغ ما لدينا من معارف، ونعطي كل ما نملك من طاقة لهذه اللغة، ومن الضروري أن ننطلق، وأعلم أن أصعب شيء هو الانطلاق، ولكن من الضروري تحقيق الحركة العلمية وهي بركة تحقيق الوجود، ونؤمن بأن كل حركة علمية تأتي بالقيمة المضيئة. ومن الضروري العمل الجماعي المتعدد الاختصاصات والانطلاق من لغة أجنبية متقدمة، وأن الأخذ من اللغة الأجنبية تنكشف به خصائص العربية وتظهر الثقائص وما يجب سدّه، وهناك تأتي الإضافة لا التسخ المطبق، والأصالة هي الإضافة. ومن الضروري التماهي مع المبادرات بمبدأ التقويم، والتقييم وربح الوقت. وإن نجاح المبادرة/ المشروع لا يؤخذ من نسبته الكاملة أول مرة، وإنما من نسبه المتدرجة في كل مرة، والتجارب السابقة الناجحة تنمو وتتدرج للعلا، وكل تجربة ناجحة تزداد تطويراً. ويجب أن نعلم بأن التقانات المعاصرة قطار مار؛ يتوقف مدة في المحطة، فالراكب يعيش مع الآخرين والرافض يبقى وحيداً، ولهذا أن نسير مع المعاصرة، وإلا سننقرض دون إطالة. كما يجب العلم أنه لا توجد لغة متقدمة ولغة متخلفة في جيناتها وإنما يوجد بحثة يعملون على الإبداع في ذات اللغة وتصبح متقدمة ويوجد نائمون يعملون على تعليق اللغة وتعطيلها. ويجب أن نعلم بأن العلم يتوزع على مجموعة من اللغات، وكلما وقع الاهتمام باللغة أصبحت لغة علمية

وأضحت مسaire لمتغيرات العصر، وإن لم يقع تصبغ في حُكم العدم. وعندما تتوفر الإرادة تفلّ الحديد؛ أي عندما تأتي الإرادة تتوفر القدرة/ (Quand on veut on peut).

ومن خلال هذه الكلمة الصحافية أنادي العاملين على تطوير اللغة العربية للخروج من التنظير ونُشْدان التطبيق، ومن التواكل إلى التوكّل وضرورة العمل والتضحية وصولاً إلى الإبداع، وكلّ ذلك يأتي عن طريق التطوع اللغوي، ولا ننتظر القرار السياسي، وهو موجود ولكن ضمانه في مسألة يراها مضمونة المصير في المستقبل، والأساس فيه هو التهيئة اللغوية والأرضية العلمية للغة، دون الحديث عن خصوصيات الهوية وهي العمدة. إذن، تعالِ نعطِ أقصى ما لدينا، نعطِ الأفكار لنموتَ فارغين قبل أن نرحل. تعالِ نتركِ البصمات لتحقيق الأهداف المنوطة بخدمة العربية اللغة الجامعة ويزكرنا اللاحقون بقولهم: رَحَلَ السَّابِقُونَ؛ وهذه آثارهم/ إنَّ أَحْسَنَ اللاحق؛ فإنَّ الفضلَ للسَّابِقِ. فيا أيها الباحثون أعلمُ أنّ هناك مُضايقاتٍ تقنية تلحق العربية، ولكنها ليست من المُلصقات التابعات في ذات العربية، بل يمكن رفعها وبسهولة، وُترفع المُضايقات بالبحوث الدكيّة، وُترتفع العربية بمشاريعكم الكبرى التي تنتظركم في مجال التّقانة والحوسبة، فهي استكمال لعلمية العربية، ونذكر منها: ملء الخانات الفارغة في (Windows) + إضافة الكلمات والمصطلحات التي ليست في القواميس الموضوعية أول مرة + تخصيص معاجم إلكترونية في لغة الطب والهندسة والاستشعار عن بُعد وفي التانوتكنولوجي + الإبداع في اللغة الوظيفية + تطوير المعاجم الترجيحية حسب المجالات + تحويل الأرقام إلى حروف + وضع تطبيقات تكتب عن طريق

السّماع بصفر خطأ+ تشكيل مواضع اللبس+ جمع المتلازمات+ إضافة
مُدونات مُصطلحات للمعاجم القديمة+ إضافة لغة الإعلام المعاصرة+
تطبيقات لغويّة في حسن الاستعمال اللغويّ الوظيفيّ+ تطبيقات في تدريس
العربيّة بالفيديوهات+ الرّصيد الوظيفيّ للغة التّلميذ+ معاجم محمولة في
الوسائل التّكيّة المعاصرة في: لغة البنوك/ الإدارة/ السّوق/ الطّاكسي...
وغيرها كثير فهي في انتظاركم، فهلا تُبادرون وتستثمرون!

استثمار اللسانيات الحاسوبية في صناعة المعاجم الإلكترونية[♥]

- الدبباجة: يواصل المجلس الأعلى مسيرته التقنيّة في مجال الرقمنة ويتخذ الذكاء الصنّاعي عمدة في البحوث الحديثة؛ باعتبار علم اللسانيات أمّ العلوم في الوقت الحاضر، ومجالها يترى ويتمدد، وسوف يقع التركيز في هذا الملتقى على اللسانيات الحاسوبية لما لها من آفاق التطوير والإبداع في مجال المعاجم الإلكترونية التي يقع فيها التنافس بين اللغات. وهل العربية تكون طرفاً في هذا التنافس؟ وما هي العدة العلمية التي تعتمد عليها؟ وما هي النظرية اللسانية التي تتمهج داخلها؟ ... وإنّ هدف اللسانيات الحاسوبية السعي إلى استغلال التقنيات التي يُقدّمها الحاسب لمعالجة اللغة الطّبيعيّة؛ استجابة لتطوّرات العصر السّاعية لوضع نُظُم خوارزمية صوريّة، وبرمجتها في هندسة لغوية تعتمد البيانات والمبادئ الصّوريّة المتحكّمة في نظام تشغيل اللغة في دماغ الإنسان، وجعل الآلة تبحث في مجال البحث اللغويّ مثل تفكير دماغ البشر، من بحث في اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وإلى بحث في كيفية إنتاجها ومعالجتها. ومن هنا؛ فإنّ العلاقة بين الحاسوب واللغة إذاً علاقة تبادليّة وذلك أنّ دراسة اللغة من منظور قياسيّ هندسيّ تكشف القناع عن أسس علوم اللغة والقدرات اللغوية، وكيفية قيام الدّهن البشريّ بعمليات تحليل اللغة واكتساب الخبرات واسترجاع المعلومات، وفي الوقت نفسه، تُسهم

♥ - كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في افتتاح الملتقى في رحاب المجلس، بتاريخ 25 أكتوبر 2021م.

اللغة في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي الذي يسعى إلى محاكاة وظائف
الذهن اللغوية والقدرات البشرية.

- المقدمة: إن اللسانيات الحاسوبية فرعٌ تطبيقيٌ حديثٌ، يستغل ما تُوفّره
التكنولوجيا المتطورة من أجل بلورة برامج وأنظمة لمعالجة اللغات الطبيعية
معالجة آلية. وتسعى إلى الدراسة العلمية للغات الطبيعية باعتماد أنظمة
وبرامج متقدمة ومتطورة، واللغة العربية من بين تلك اللغات، وبهذا
الاعتبار فإنها تعمل على تحويل كل ما يتصل باللغة من صرف ونحو
وأساليب وغيرهما إلى صورة رقمية فرضتها الثقافة الصورية الحديثة
وجعلها مفهومةً من قبل العامل في هذا المجال العلميّ الصوريّ الحديث الذي
يعمل على صياغة نماذج صورية تُحاكي اشتغال الملكة اللغوية لدى الفرد.
وبعبارة قريبة؛ فإن اللسانيات الحاسوبية تُستخدم فيها الحواسيبُ في تحويل
النصوص والمعلومات إلى لغات الحاسب الرقمية؛ لتحليلها وترجمتها وتطوير
نماذجها، وتقديم نظريات في بناء اللغة تُمكن وضع برامج حاسوبية؛ تُساعد
على فهم اللغة الطبيعية. وهذا ما يقوم به اللسانيون في تحرير البيانات
والنصوص، وتأسيس المعاجم اللغوية الرقمية، وفهرسة النصوص المختلفة
سعيًا إلى أتمتة / Automatisation التعرف على الحروف بذكاء OCR؛ أي
التعرف الصوتي، وتحويل الأصوات إلى نصوص، وتحويل النصوص إلى
أصوات ونطقها. وقد دعمت هذه الإمكانيات العلوم اللغوية بتحليل كميات
هائلة من نماذج الوحدات اللغوية في اللغات المختلفة لاكتشاف بنية اللغة
وأوجه تشابه الأنماط اللغوية واحتمالات وجود رابطة بين لغة وأخرى

إضافة لإمكاناتها التطبيقية كما في علاج مشاكل التخاطب والسمع. ويعني هذا جعل الجهاز الحاسب يتعرف على أشكال الوحدات اللغوية الأساسية والوحدات اللغوية المركبة، وتحويلها إلى لغة رقمية يمكن تحريرها وتعديلها. وبعبارة أقرب يعني كل ذلك التعامل مع الحاسوب كعقل بشري مشابه لعمل عقل الإنسان القادر على تأدية المهام التي يؤديه البشر بشكل سريع ودون أخطاء.

1- الآلة لغة الإنسان في المستقبل: وهكذا نرى اللسانيات الحاسوبية

تعمل لتحل الآلة محل الإنسان في التعامل مع اللغة، وجعل الآلة تفكر حتى في مواضع اللبس والإبهام، وتقديم المطلوب وفق تفكير الإنسان. وهذا يقتضي تزويد هذا الجهاز بمحلات صرفية ونحوية ومصطلحات وترجمات وحسابات ومختلف اشتقاقات الكلمات التي تحويها المدونات المطلوبة. علماً أنّ الحاسوب آلة ذكية تُضاهي في قدرتها وظائف الإنسان وقدراته الذهنية في نمط اشتغال العقل الإنساني، وتقيسه من خلال لغة صورية خوارزمية أشبه ما تكون باللغة الصناعية، كما أصبح الحاسوب أيضاً مجالاً تطبيقياً لاختبار الفرضيات حول الطريقة التي يشتغل بموجبها العقل الإنساني، إضافة إلى تفوقه على ذكاء الإنسان في السرعة. وفي هذا المجال بدأ الاستثمار في الصناعة اللغوية في حاسوب يكتب دون كاتب، ويرتب ويصحح ويدقق ويُملي عليك وصفات الأكل والنوم والرياضة من خلال الرصد الشخصي الذي تُجريه قواعد البيانات على الحالات المطلوبة للشخص العادي والتعرف عليه من خلال معرفة قضاياها الرأهنة والقياس عليها في القضايا المستقبلية، وتسعى مختلف الشرائح أن تكون المرافق والمراقب والطبيب

والخزانة والبنك والمستخلص... بله الحديث عن منجزات محققة يقلّ فيها الخطأ في مجال الطيران والمحركات الكبرى وفي بناء DATA CENTR وما يتبع ذلك من مخرجات الجبر والرياضيات والهندسة والمصطلحات. وهذا ما تُظهره الدّراسات التنافسيّة في علم الرّوبوتيك في عصر الانفجار المعرفيّ والانشطار الثقافيّ الخاطف؛ حتى أصبحنا لا نستغني عن المحمول لأنّه مكنز المعلومات، ولا نستغني عن الآلات الدّكيّة في البيت أو في العمل أو في التّنقّلات، فهي الدليل، ووجودها سيرٌ للأمام، وفقدانها عودةٌ للعصر الحجريّ.

وأمام كلّ هذا نرى التّنافس يشتدّ أمام الشّركات العملاقة في الاستثمار في مجال اللسانيات الحاسوبيّة، حتى أصبحت بعضها دولة داخل دولة، كارتل بالمعنى الحقيقي، وإنّ من يتابع تطوّر الشّركات العالميّة اليوم، يلحظ ارتفاع ميزانياتها إلى مستوى الدّول؛ وهي تستثمر في هذه المنتجات الصّغيرة لخدمة رفاهيّة الفرد على غرار Google / آبل، Appel / آبل، وAlfa Bit ألفا بيت و Samsung / سامسونج، ونجد هذه الشّركات العملاقة برأسمالٍ مال يتجاوز ميزانيات بعض البلاد. ومن صناعاتها النّانويّة نجد اليابان وسويسرا وسنغافورة والهند تدرّ عليها التّطبيقات مليارات الدّولارات، وهي بلاد لا تملك الموارد الطّبيعيّة، ومع ذلك فهي تعيش رفاهيّة كبيرة، وأنّ اقتصادها قويٌّ بما لها من أرصدة بشريّة في امتلاك العقول، وصناعة الأفكار والإبداع وديدنهم أنّهم استثمروا في الإنسان الذي يخلق الثروة الاقتصاديّة المستديمة.

2- أهميّة المعجم اللغوي: يعتبر المعجم من أهمّ روافد اللغة والمعرفة ويمثّل ذاكرة الأمة، وقد اعتنى اللغويون العرب بالمعجم من حيث المحتوى

والهيكل منذ القرن الثاني الهجري، فازدهرت الصنّاعة المعجميّة العربيّة وتعدّدت مدارسها، وبلغت رقيّاً مؤسّساً لا يقلّ عن البحث اللسانيّ/ المعاجميّ الذي قام به الصّينيّون. وفي هذا العصر حصلت طفرات نوعيّة على ساحة الحاسوبيات، فتطوّرت البحوث وأصبحت صناعة تنافسيّة تُنتج المعاجم الرّقميّة/ الافتراضيّة بدل الورقيّة. ومن خلال هذا لم يحصل مسايرة الحدث بما يتوافق ومعطيات العربيّة في ذاتها، وما يجمعها باللغات الطّبيعيّة في مناطق تصلح لكلّ اللغات، وهذا ما قصّرت فيه البحوث المعاصرة؛ حيث نحاصر الآن تقنياً في زاوية ضيّقة، وذلك ما يدفعنا لمزيد الجهود في سبيل إعداد معاجم آليّة، فقد دانت الأساليب والدّوافع للاستثمار في تقنيات الحاسوب في مجال اللغويات، ولا بديل لنا ولا خيار، كما لا بديل نوعي يحصل للعربيّة إلّا بالتعاون والتنسيق بين الجامع والمجالس العليا وباقي مؤسّسات البحث إلّا خوض هذا الميدان الذي يحتاج إلى التّجديد العامّ.

3- صناعة المعجم الإلكتروني: ليس سهلاً أن نتحدّث عن معجم إلكتروني بديل عن المعجم الورقيّ، ولكن ليس صعباً أن يكون عندما نعلم أنّ البشر هو الذي يصنع المعجزات، وأنّ المعجم يحتاج إلى تغذية رجعيّة تجتمع فيها الوصفة الحاملة للمحلّل الصّرفيّ + المحلّل النّحويّ + المدقّق اللغويّ + المحلّل التّشكيليّ + الحاسبة + المشفّرات الرّقميّة + بنوك المصطلحات + التّصوص الكبيرة + مدوّنات كبرى + معاجم قديمة وحديثة + مسكوكات + أمثال وحكّم... مع دعم التّرجمة الآليّة، وضخّ أشكال المعاجم العامّة والمختصّة. كما ينبغي للمعجم الإلكترونيّ أن يزوّد بمحرك بحث سريع؛ لأنّ البرنامج اللسانيّ المعدّ للمعالجة الآليّة لا ينبغي أن يفشل في العثور على أيّة

معلومة كيفما كان نوعها وكيفما اتفق؛ لأنَّ أيَّ خطأ في المعلومات المدخلة من شأنه أن يتسرَّب إلى باقي مفردات الجملة، أضف إلى ذلك وثوقها المعلومات ومواءمتها للمداخل المعجمية المراد معالجتها آلياً.

وكان علينا أن نواصل مسار البحث؛ لأنَّ البحث جارٍ، وهناك قواعد موضوعة، فنحتاج إلى تركيب معرفيَّ نزيد من لبنات البحوث أو تصويب بعضها. ولهذا يجب الاستثمار في البرمجيات الذكيَّة التي تعمل على إنتاج مثل هذه المعاجم، واستغلال تقنيات المعلومات في الأعمال التطبيقية لصناعة معاجم مصطلحية باعتماد برامج معينة توضع في أتمتة حاسوبية يستعيدها وقت الحاجة وعند الطلب. وهنا لا بدَّ من حلول نوعية في صناعة خوارزمية صورية لرسم الحرف العربيِّ بمراعاة الحجم والاتجاه الذي يرغب فيه المستخدم. وتوحيد لوحة المفاتيح بين مختلف الدول العربية؛ من أجل تيسير عملية نقل البيانات، ونشرها وتبادلها بين المستخدمين. والرَّهان على برامج البحث العلميِّ التي تهدف إلى استغلال ما يوفره العتاد اللسانيَّ بغية ميكنة اللغات الطبيعيَّة، ومن ضمنها اللغة العربيَّة، وفي ذات الوقت تحتاج إلى مراعاة الخصوصيات الفقهيَّة التي لا تتوفر في اللغات الأخرى. ولا بدَّ من دخول هذا الميدان في البداية من خلال أدلَّة وظيفية بسيطة محدودة المبنى ووضع قاموس كلمات كلِّ دليل في خوارزمية تستجيب لكلِّ مركبات الكلمات والجمَل، وما يقابله من الحركات وتعدّد الضمائر، وما له علاقة بالأمر الفقهيَّة التي تعيد الكلمة إلى أصولها وجذورها ولغاتها وكيف تصرّف الناطقون بها في مراحل التأسيس من: نغم/ إدغام/ أخذ/ تأثير/ ترقية/ تطوير...

4- أهمية المعجم الإلكتروني: لا يحتاج المعجم الإلكتروني الإشادة لما

يقدمه للغة، بقدر ما نقول إنه مقوم اللغة، وقاعدة بيانات كبرى وسريعة فهو الذي يفهم المعلومات المشفرة، ويعمل على استعادتها وإتاحتها كتابياً وورقياً؛ بتقطيع صوتي وتحليل الكلمات، وتدقيق إملائي وتلخيص وترجمة واسترجاع وبخط آلي سريع... وهنا يكمن جدوى التركيز على أهمية المعجم الإلكتروني لبلوغ واجبات تطوير قواعد البيانات، وتحويل المعلومات المشفرة إلى نصوص، وإضافة تفسيرات ليتمكن الإنسان من قراءتها وفهمها وكذلك تصميم برامج بينية متطورة للبحث عن المعلومات وعرضها على الشاشة بطريقة مستساغة، واستعمال وسائط متعددة (نص، صورة، صوت فيديو، صور متحركة...). وهذا ما نفتقر إليه العربية في عصرنا الحاضر وما هو الحل؟ وكيف نصنع المعجم العربي الإلكتروني؟

5- صناعة المعجم الإلكتروني العربي: من الضروريّ بمكان الإقرار

بالتقصير في إعداد المعاجم الحاسوبية التي تُلبّي حاجيات المستخدم العربي بالرغم من إتاحتها المعاجم العربية على الأقراص المدججة والشابكة، ويمكن أن تكون قاعدة منطلق. ومن الجميل أن تكون الكثير من الأعمال التي قدّمت من قبل الباحثين والشركات محلّ تقدير وتقويم وتحيين. ومن الحكمة الإقرار بمختلف الأنظمة الحاسوبية التي وضعت الخطوات الأولى في بداية صنع معجم عربيّ إلكترونيّ. ولكن لا بدّ أن نسأل هنا ما هي العدة العلميّة لصناعة معجم عربيّ يستجيب لمواصفات التّقانة الحديثة، ويحقّق المزايا المطلوبة في ميدان الانتقال من المعجم الورقيّ إلى المعجم التّقانيّ. وإذا عرفنا

المشكلة بطل العجب، ونكون قد حقّقنا الخطوات الأولى في بناء معجم عربي إلكتروني:

1/5- ضرورة تنوع طرائق البحث عن المعلومة، واعتماد مناطق مختلفة تستجيب لخصوصيات العربية عبر بناء الجذور، باستعمال الأنظمة التي توفرها الحواسيب من مثل Hyper-text links .

2/5- البحث عن محرّك بحث جبار وواسع وسريع، يتيح العمل الجامع بين القديم والمعاصر ومختلف الوسائط، ويستجيب لاستعادة مكانز العربية من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحالي.

3/5- الرّهان على ذكاء صناعيّ OCR يفهم ويفرّق بين المعاني الأساس والمعاني الفرع، ويعمل على توليد القياسات التي تقبلها خصائص اللغة العربية.

4/5- ضرورة احتواء المعجم الإلكتروني على تطبيقات كثيرة وفي مختلف التخصّصات، واعتماد لغة المحادثة اليومية من خلال الرّصد والوصف الجديد للغة قديمة متجدّدة.

5/5- سهولة استعمال المعجم الإلكتروني، وكذلك وضع أيقونات تجعل المستعمل يقترح التّعديل، ويقبل الإضافة.

6/5- ضرورة احتواء المعجم الإلكتروني على كتابة دولية، ونطق وتحويل المكتوب إلى منطوق.

7/5- ضرورة اعتماد المعجم الإلكترونيّ على مختلف الوسائط التي تُتيح وجود الصّور والخرائط والأفلام، وعرض محتواه بطريقة إيجابيّة يكون لها التأثير على المستعمل.

ويبدو لي بأنّ التّماهي مع صناعة المعجم الإلكترونيّ أهمّ قوّة فاعلة في ربح هذه الصّناعة؛ باعتبارها ضرورة حضاريّة للعربيّة اللّغة الأهميّة لها ما لها من تكامل مع اللّغات العالميّة الكبيرة، فكيف تثبت في غمار العولمة، وتُبرهن على العيش في واقع حديث. والعُهدّة في كلّ هذا هو العمل على تطوير تطبيقات حاسوبية للغة العربيّة لتُلبّي الحاجات اللّغويّة للمستخدم العربيّ وتجعل اللّغة العربيّة مواكبةً لتطوّر المجتمع الذي هو رهين وجود معاجم إلكترونيّة عربيّة مناسبة، والتي تخضع لمقاييس عالميّة على مستوى المحتوى والهيكلة. وهنا يأتي دور الباحثين وهم أنتم في أعمال مشتركة لتوفير العدّة الفقهيّة والتّقانيّة في صناعة المعجم الإلكترونيّ.

أيّها الباحثون، علينا الانطلاق، ونُبادر دون انتظار، فالقطار ينتظر لحظة لكنّه لا يظلم ثابتاً، علينا الرّكوب في قطار التّفصيل والتّحسين لصناعة معجميّة في ذات العربيّة بتحديد المطلوب من: هيكل المعجم + المستفيد منه + الفئة العمريّة + طريقة استغلال المواقع والشّابكة + وسائله التّقانيّة... بالإضافة إلى منهجية العمل في تحديد المصادر اللّغويّة + وتصميم قاعدة البيانات + وكيفيات إدخال المعلومات... ولا بدّ أن يلتقي فقهاء اللّغة مع المعاجمين والمعلوماتيين لوضع تصميم هذا المعجم في وضع هندسة لغويّة في صيغته المُرقمنة التي تعمل على الاختيار الأفضل لمعجم إلكتروني أحسن من معجم وورقيّ، وهو ضرورة معاصرة تُعدّ فيه كلّ أدوات التّجّاح. وبهذا نكون قد

خدمنا العربيّة في صناعة معجميّة معاصرة، وكما عمّلنا على الخروج من التّنظير إلى التّفعيل، ونقلناها إلى وسائل تخزين حديثة على شرائح الكترونيّة أو على وسائط ممغنطة ذات إمكانات تخزين ضخمة، وعلى خوادم جّبارة تخزّن تريليونات من المعلومات وتستعيدها وتهندسها وفق نمطيّة ذكيّة تكون صالحة للاستعمال وما ينجرّ عن ذلك من تطوير التّرجمة الآليّة وتحسينها والمستقبل كفيل بما ليس في المتصوّر الذهني، وهذا الذي نريد أن يكون في العربيّة التي نهيتها لمستقبل واعد.

6- تعال فبادر: أن تكون العربيّة بكم أو لا تكون؛ تكون بما تُبادرون به من أفكار؛ فأفاق البحث العلميّ في حوسبة المعجم الإلكتروني يسير بحظّي سريعة وجيدة، وهناك جملة حقائق يعيشها المعجم العربيّ وعلينا فهمها أولاً ثمّ البحث عن حلول نوعيّة ثانياً. ولا بدّ من رفع كلّ المضايقات اللغويّة حيث لا نزال نعيش مضايقات توصيف المعجم العربي الحديث، فالماضي الذي بقينا فيه جعلنا نعيش التّكرار؛ نظراً لقلّة إنجاز الأعمال الجديدة الضخمة التي تُلبّي مخزون المعاجم الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة نشهد قلّة وجود المراجعين والمدققين المختصّين في فروع المواد العلميّة. وهذا يقودنا كذلك للقول بأنّ المؤسّسات الجمعيّة تعمل ببطء في هذا المجال، وأعمالها تسير الهويني، ونحن بحاجة إلى مشاريع كبرى في البرمجيات لوضع الصّرف الحاسوبي، والتّحو الحاسوبي، والدّالة الحاسوبيّة، والمعجميّة الحاسوبيّة للمواءمة بين المنظومات البرمجيّة وطبيعة اللغة العربيّة. ولا بدّ من منهجيّة جديدة لبثّ دمّ الشّباب في هذه الجامعات/ الأكاديميات الهرمة التي يجب أن تكون مرافقة ومُرشّدة، وهناك جانب مهمّ وهو نقص الإغداق الماديّ الذي

يحلّ الكثير من المضايقات التقنيّة، وما يتبعها من تشجيعات وجوائز في مجال الصنّاعة المعجميّة.

علينا أن نُبادر باختراع الأفكار، ونُفرِّغ ما لدينا من معارف، ونُعطي كلّ ما نملك من طاقة لهذه اللغة ومن الضّروري أن ننطلق، وأعلم أنّ أصعب شيء هو الانطلاق، ولكن من الضّروري تحقيق الحركة وهي بركة تحقيق الوجود، ونؤمن بأنّ كلّ حركة علميّة تأتي بالقيمة المضافة. ومن الضّروري العمل الجماعي المتعدّد الاختصاصات، والانطلاق من لغة أجنبيّة متقدّمة والأخذ من اللغة الأجنبيّة تنكشف بها خصائص العربيّة، وهناك تأتي الإضافة، لا النسخ المطبّق، والأصالة هي الإضافة. ومن الضّروري التماهي مع المبادرات بمبدأ التّقويم والتّقييم وربح الوقت. وإنّ نجاح المبادرة/ المشروع لا يؤخذ من نسبته الكاملة أوّل مرّة، وإنّما من نسبه المتدرّجة في كلّ مرّة والتجارب السّابقة النّاجحة تنمو وتدرّج للعلا، وكلّ تجربة ناجحة تزداد تطويراً. ويجب أن نعلم بأنّ التّقانات المعاصرة قطار مارّ؛ يتوقّف مدّة في المحطّة، فالركاب يعيش مع الآخرين، والرّافض يبقى وحيداً، ولهذا أن نسير مع المعاصرة، وإلا سننقرض دون إطالة. ويأتي عنوان هذه الملتقى بأنّ الاستثمار في اللسانيات الحاسوبية في صنّاعة المعاجم الإلكترونيّة عبارة عن فرض لا خيار، فرض لإعادة القراءة في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ بمنطق اللغة عمل وإبداع لا تواكل. فلا توجد لغة متقدّمة ولغة متخلّفة في جيناتها، وإنّما يوجد بحتّة يعملون على الإبداع في ذات اللغة وتصبح متقدّمة، ويوجد نائمون يعملون على تعليق اللغة وتعطيلها حين. ويجب أن نعلم بأنّ العلم يتوزّع على مجموعة من اللغات، وكلّما وقع

الاهتمام باللغة أصبحت لغة علمية، وضرورة مسايرة متغيرات العصر، وإلا تصبح في حكم العدم. وعندما تتوفر الإرادة تفلّ الحديد؛ أي عندما تأتي الإرادة تتوفر القدرة / Quand on veut on peut.

-الخاتمة: أنادي زملائي للخروج من التنظير إلى التطبيق، ومن التواكل إلى التوكّل، وضرورة العمل والتّضحية وصولاً إلى الإبداع، وكلّ ذلك يأتي عن طريق التّطوُّع اللغويّ. تعالِ نعطِ أقصى ما لدينا، نعطِ الأفكار لنموتَ فارغين قبل أن نرحل. تعالِ نتركِ البصّمات لتحقيق الأهداف، ويزكرنا اللاحقون بقولهم: رحل السّابقون وهذه آثارهم / إن أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق.

أيها الباحثون، هناك مشاريع تنتظركم في مجال الحوسبة، ونذكر منها:
 ملء الخانات الفارغة في Windows + إضافة الكلمات والمصطلحات التي ليست في القواميس الموضوعية أوّل مرّة + تخصيص معاجم إلكترونية في: لغة الحافلة / لغة المطار / لغة التّماذج الكتابية الرّاقية / نماذج لرسائل التّهنائي والتّبريكات + تخصيص معاجم ترجمة حسب المجالات + تحويل الأرقام إلى حروف + تشكيل مواضع اللبس + جمع المتلازمات + إضافة مدوّنات مصطلحات للمعاجم القديمة + إضافة لغة الإعلام المعاصرة + تطبيقات لغوية في حسن الاستعمال اللغويّ الوظيفي + تطبيقات في تدريس العربية بالفيديوهات + الرّصيد الوظيفي للغة التّلميذ + معاجم محمولة في: لغة الأبنك / الإدارة / السّوق / الطّاكسي... وغيرها كثير، فهي في انتظاركم،
 فهلا تُبادرون وتستثمرون!

سلطان القاسمي حامل همّ الأمة العربيّة ♥

- **الدِّيابة:** صاحب الفضل سموّ الأمير (سلطان القاسمي) سلطان الثقافة والحكمة والإنسانية على قول الشّيخة (جواهر بنت محمد القاسمي) باسمي وباسم الفريق الجزائريّ الذي يقمّش مادة المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، نرفع لشخصكم الكريم آيات العرفان والتقدير لما تُقدّمونه للمواطنة اللغويّة في جميع مجالاتها، ووجدناكم تحملون هموم الأمة العربيّة بمكامن الاجتهاد لتمكين التّهوض من جديد، وبما تولونه من تعاون وأفعال لنقله حضاريّة عربيّة كبرى يشهد لها الجاحد، بلة الحديث عن المنصف التّزبه الذي لا يرى فيكم إلاّ باعث نهضة عربيّة بوسم معاني العلميّة والرجولة والشّهامة وخدمة الأمة العربيّة في القضاياها المصريّة وأنتم الشّخص الذي اشترى وما باع، اشترى الحكمة من (آل القاسمي) فظهرت في حكامتكم وحوكمتكم وفي أصالتكم التي تغلّبت على التّحدّيات الكبرى؛ بتحويل الحلم إلى منجز وظهر ذلك في جملة مشاريع عربيّة كانت مُؤجّلة مُعطلّة، ومن فضلكم وُلد الخير الذي يشهد على ميلاد العهد الجديد، من حاكم الشّارقة التّليد.

سموّ الأمير، جنناكم ورأينا فيكم صدق القائد المؤسّس صاحب الخير العميم (الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان) طيّب الله ثراه، وأنتم كنتم له مخلصاً عضيداً تباركون كلّ مشاريع الأمّة، ونرى فيكم الأمل في تجسيد مشروع الأمّة العربيّة (المعجم التاريخي للغة العربيّة) مشروع القرن الذي

♥- الكلمة التي ألقيت في اجتماع مُقرّري الدّول العربيّة للمعجم التاريخي للغة العربيّة. بحضور

سمو الأمير (سلطان القاسمي). الشّارقة في 3 نوفمبر 2021م.

عرف عديدَ الاجتماعات، وخاضَ الصِّراعات، وشهد مختلف الاستماعات والانطباعات، ومع ذلك ضاع دمه في أدراج الامتناعات. وها أنتم قلتم يرى هذا المشروع الارتفاع من الانطباع، ويندفع بالابتداع وسيعرف الإشعاع عبر كلّ البقاع، بما اخترتم له من السَّباع الذين تداعواً باندفاع، ليعرف المعجم الاصطناع لا الإتباع. وكنا من الفريق الذي أعمل الفكر والابتداع، وسارت الأمور على المطلوب والمطاع، وهكذا نرى المجلدات تترى وتتداع.

سمو الأمير، ليس غريباً على شخصكم وأنتم الحاكم العالم، فيزغُ بالعالم ما لا يزع بالحاكم، فجمعتم الأمرين، كما كنتم أنموذجاً مثالياً في قوّة الفكر والعلم والعمل والإيمان بأهميّة هذا المشروع، الذي تبنيتموه وعملتكم على إخراج أجزائه الأولى. معجم نام قرناً، وبعثتموه بعثاً، وأعطيتكم له صورة الوجود بهذه المجلدات التي نسفت كلّ التّقولات بأنه لا يوجد الرّجل الرّشيد الذي تأتي على يده أفكار فعل (فيشر / Fisher) للرفع من سوية العريّة لتعيش الحراك المعاجمي، وتظهر ما قدّمته للحضارة الإنسانيّة من بدء لغة العروبيات والسّاميات والعصر الجاهلي والإسلامي والعباسي والدويلات وإلى وقتنا الحاضر، والزّمان كفيل بأن تبعثوا الأمل في شبابنا للاهتمام بمعجمه التاريخي التّليد، فبمعلكم هذا وضعتكم الدّواء على الدّاء، وحصل الأمل، ولولا الأمل لما علا البنيان، ولا اخضرّ الجنان، ولا تسامت الأغصان، ولا تمايلت الأفنان، ولا زوّجت النّسوان، ولا اشتاقت أنثى إلى الرّضعان، ولا تاقَ إنسٌ إلى الرّضوان ولا جان، وصار كلّ ما رأته العين وتراه في خبر كان، لا من نجم ولا شجر يسجدان، ولا من بشر وحشر يعبدان. فنحن محظوظون بأمرٍ مُثَقَّف داعم مُسند لفنون العريّة التي حباها

الله بكم وبأمثالكم من الذين يخلصون ويرثون الأرض ﴿ وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء 105. وإن أعمالكم ومنجزاتكم تشهد على سعيكم الحثيث في المحافظة على التراث المعماري وإحياء الموروث العلمي والثقافي والأدبي من خلال الاهتمام بالمخطوطات ونشر أمّات الكتب؛ لتكون جوهر تفعيل الحراك الثقافي على امتداد العصور. هي حكمة وعبقريّة فذة أثرت إيجاباً واقتداءً، وظهرت آثارها في العمران والثقافة والعلوم والبنية التحتية والبنية الفوقيّة، فكنتم لها صانعاً بحكمة بصيرتكم. وتواضع العلماء أرسيتم متطلّبات المستقبل الواعد بأياديكم البيضاء في مختلف المشاريع التي تجعل الأمة تعيش الازدهار المجتمعي. وأراكم مرأى المتنبّي الذي قال:

أَخِيلٌ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ نَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
ما أبعد العيبَ والتقصانَ من شرفي أنا الثريا وذانِ الشيبِ والهرمُ

أيها الحضور، علينا أن نحافظ على الشرفاء؛ فالشريف صفته الشهامة علينا اتّخاذ القدوة، للبقاء والثبات، فالتغور كثيرة، وعلينا سدّها بالعمل الإيجابي وبإنجاز المشاريع التي تُعلي من قيمتنا، وتزيدنا قوّة في الحاضر والمستقبل. وبوركت جهود المخلصين الرامية إلى تقريب العربيّة إلى الأفهام ودفع ما قد يظهر عليها من إبهام. وإنّ العربيّة بحرٌ محيط؛ ذات أفانين في دروب البيان وأساليب المعاني وتصاريف التّظّم، فهي لغة فكر وعقل وتدبّر ومن لا يحسنها فما حاز في الفقه نصيباً عن أن يكون في الأصول لبيباً، ومن الضروري أن تتوضّح فيها الغايات، وتتميّز بها المقاصد من الوسائل

وُعرف فيها الأولويات والموازنات للسّير في منوال ردّ الاعتبار. ومن الأولويات إنجاز المعجم التاريخي للغة العربيّة وهو قاعدة اللزوميات، وبدونه لا يحصل لنا المقام، ونبقى نعيش في غير الحال، وتغيب عنّا أركان المعرفة التي تقوم على كتب الصّحاح وفكر أستاذ فتّاح، وعقل عالم رجّاح، ومسيّر ناجح مفتاح، وكلّ هذا يأتي من منتجي الأفكار الذين يحتاجون إلى صاحب القرار. وها نحن في ذات الموقف الذي يحتاج إلى تعاضد أفكار المثقف والمقرّر، ونحن نعيش منعطفات تاريخيّة قاسية إجباريّة لمواصلة الطّريق الذي صنّعه أقدام السّابقين، وسنتصر برأس مالنا؛ وهو العمل والإخلاص سننجح بعظم هذا المنجز الحلم الذي أصبح حقيقة بفضل كلّ العلماء المثابرين المرابضين وراء التّبش والحفر في الماضي والحاضر لمعرفة المعنى وتثبيت الرواة وتحقيق الشّاهد، ولا بدّ من مواصلة الدّرب، وخوض الصّعاب؛ لأنّ الأمواج الهادئة لا تصنع بحارة جيّدين، والسّماء الصّافية لا تصنع طيارين ماهرين، والحياة دون صعوبات لا تصنع أشخاصاً أقوياء. وهكذا مهمّتنا في هذا المعجم التاريخي للغة العربيّة سمو الأمير، سيرتفع عالياً، وتكون العربيّة تُدوّن تاريخها، وسيكون لكم - سمو الأمير - مقام عالٍ لمعركة العربيّة في رفع المضايقات اللغويّة بحكمة ورضا وتفاؤل، وقد عهدناها فيكم. فيا أيّها الأمير إذا خانني التعبير، فلا يخونكم حسن التّفسير، فأنتم كالسّكر حتى وإن اختفى ترك طعماً حلواً، بما لكم من جبرّ خواطر هموم الأمتّة، فأنتم لها بما لكم من فكر وتوجيه نحو مزيد من حمل المشاريع. والعربيّة تبقى تناديكم، وتحتاجكم لفتوحات قادمة في الدّاخل وفي الخارج وأنتم لا تبخلون. فيا أيّها الأمير، بهذا المنجز دخلتم التاريخ من بابه الكبير واستثمرتم وقتكم الثّمين في

مشروع الأمة، فهو طريق الخلود، والعلماء لا يموتون، وأنتم منهم، وكبار
العظماء أحياء وهم رموس. ظللكم الله بالورود وسقاكم من نهر الخلود
وعطرّ حياتكم بالعنبر والعود، وصرف عنكم كلّ حاسد وحقود، إنّه لطيف
ودود، وأدخلكم وأهليكم جنّات الخلود. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار مقدّم لجريدة (صوت الأزهر)٧

بسم الله الرحمن الرحيم، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

أشكر لكم فضلكم بإدراج اسمي ضمن قائمة المستجوبين بخصوص أوضاع اللغة العربيّة وراهن الواقع العربي والإسلامي في ظلّ العولمة وتحديات المستجدات. وأجدني سعيداً لأكون ضيفاً في حوار مع جريدة (صوت الأزهر) ومن خلال هذا الحوار أحيي فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيّب رئيس مجلس إدارة المجلة. وإني لكم شاكر على هذه المبادرة التي أعمل جاهداً على الإجابة عن الأسئلة التي طُرحت عليّ. ويمتدّ الشكر إلى هذا المنبر الإعلاميّ باسم مشيخة الأزهر الشّريف أدام الله مجدها وعزّها ويمسّ الشكر من الجزائر الفاضل الصّحافي (مصطفى هندراوي) على حسن أدائه، ونتمنى له مزيداً من التّألق.

وبالتّسبب للإجابة عن المطلوب، إليكم ما بصّرت به من جواب:

1- **السؤال الأوّل:** الإنسان بلا لغة؛ إنسان بلا حضارة وثقافة، واللغة العربيّة هي أصل التّراث لمواجهة التّحديات التي تنال من اللغة سواء من وسائل التّكنولوجيا الحديثة أو من برامج التّلفزيون الهابطة، كيف نتجنّب هذه التّحديات؟

٧- إجابات رئيس المجلس عن أسئلة جريدة (صوت الأزهر) الصّادرة عن مشيخة الأزهر الشّريف بالقاهرة. أجيّب عن الأسئلة وأرسلت بتاريخ 10 نوفمبر 2021م.

1- **الجواب:** لقد ميّز الله الإنسان باللّغة، وأخرجه من مملكة الحيوان وعن طريق اللّغة تفتّحت الأفكار، وتعدّدت المفاهيم، وأنتجت ركاماً من المعلومات التي صنعت مجد الحضارة التي وضعت لبناتها منذ اكتشاف النّار، وتتوالى المخترعات، وأصبح الإنسان سيّد الطّبيعة يؤثّر فيها بمجريات أفكاره التّسخيريّة التي أصبحت ممهّدة له يعمل فيها ما يصل إليه فكره من تعميم وتحسين وجعلها تخدم الرّفاهيّة الفرديّة والجماعيّة وما يلحق ذلك من خدمات الشّأن العامّ. وبالنسبة للّغة العربيّة كانت وسيلة اتّصال، وقضاء المصالح في حدودها البسيطة، وتنامت عبر عصورها المختلفة، ومن ثمّ نزل بها القرآن الكريم الذي دعّم وجودها التّواصلية عبر القرون؛ وهي تعيش صراع البقاء، وبقيت بحفظ ذكرها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9.

ونمت هذه اللّغة ضمن مجموعة لغويّة شقيقات سُمّيت بالعروبيات، ثمّ جاء وقت السّاميات، وأصبحت أمّهنّ بامتياز. ومع ذلك انفردت عنهنّ وظهرا خالصة راقية في العصر الجاهلي، وتطوّرت أيّما تطوّر مع العصرين الإسلامي والعباسي، وعرفت مراحل أخرى تطوريّة في عصر الدّويلات حتى العصر الحاضر التي شهدت نقلات استمراريّة للعصور الماضيّة وفي صورة لغة الحياة اليوميّة. وبذلك يمتدّ عمرها الذي تثبته التّقوش لما ينيف عن واحد وعشرين (21) قرناً. وأضحت لغة تراثنا الكبير الذي يتماهي في القدم، ولم تنقرض أو تموت على غرار اللغات التي عاصرتها فأصبحت من التّاريخ فقط، وما بقيَ إلاّ اسمها. ومعجزة العربيّة في عبقريتها التي تواصل فيها الماضي والحاضر، وما يزال الفقهاء والنّحاة يعملون بقاعدة قياس الحاضر على الماضي، وهي سنّة طبيعيّة للحفاظ على هذا الموروث المشترك

وهو موروث السلف، فالأحقّ أن يُحفظ وينال الاستعمال حسب الأرضيّة المعرفية للمكان والزّمان ومستعمل اللغة، ومراعاة المستجدات الطّارئة في كلّ زمان، مثلما هو حاصل الآن في تكنولوجيا المعلومات، وما له علاقة بهندسة اللغة، وهو تطوير لخورازميات (الخوارزمي) ولجبر (جابر بن حيّان). ويتواصل التّحيين باستمراريّة متجدّدة كلّما يحدث التّفصيل الجديد لفكر الإنسان الذي هو مطوّر اللغة. فالآلات الحديثة لم تكن لتسرّع أو تحسب أو تقدّم جواباً لولا ذلك الدّكاء الذي وضع صناعة في الآلة الصّماء، وهي الآلة التي هُنّدت مئّتها الإنسان المبدع الذي يجاري حركات اللغة عبر الامتداد في الزّمان وفي المكان.

وما يمكن أن نعرضه على القراء أنّ الكثير من المزايا في ما تقدّمه الآلة أو بعض البرامج، وفي المقابل هناك ما يجب الاحتراز منه من مثل الإدمان التّواصلية الشّبكي، وما يتبع ذلك من لحظات التّسلّل إلى الصّور الخليعة أو البرامج الهابطة، ومن هنا يستدعي متّاً جميعاً ضرورة التّوجيه لأولادنا في المهاترات الشّبكيّة، وما يتبع ذلك من قضاء الوقت داخل الأعراض الانسحابيّة في مواطأة المهرب من الحياة، وما تُسببه من شلل وتلبّد ذهني بإغراءات ملثّمة باسم المسموح والمباح في كلّ شيء... وهي حجّيات بطرائق ملثّمة لا تزرع إلّا الإغراء الفارغ في التّبأ المتدحرج وبخاصّة في التّلهيج اللغوي، وكثرة الأخطاء المؤدّية إلى العمى اللغويّ.

السؤال الثاني: هناك من يقول تراثنا ضاع بسبب كثرة المدارس والجامعات الأجنبيّة في الوطن العربي وتعدّها كنديّة بريطانيّة وإنكليزيّة وانتشارها في البلاد العربيّة انتشار النّار في الهشيم مع أو ضدّ هذا القول؟

2- **الجواب:** قول حقيقي، ولكنّه يحتاج إلى الوعي اللغويّ في مجال التّرسيس للغة العربيّة المشتركة وهي الفصحى، فلا شكّ أنّ عدم الإشباع اللغوي للغة الأمّ/ لغة الأُمَّة سيؤدّي في لاحقٍ من الزّمان إلى إحداث خدوش لغوية في لغة الهوية، ويقع التّباهي والتّماهي مع اللغات الأجنبيّة التي يراها المواطن العربي أنّها لغات منتجة للعلم، وهذا ما لا يلمسه في العربيّة. ونرى الكثير من العرب يدرّسون أولادهم اللغات الأجنبيّة وأحياناً يشكّل ذلك خطراً على العربيّة، ومتى يكون ذلك؟ عندما نستبدل لغة الهوية بلغة أجنبيّة، ونُنزل الأجنبيّات مقاماً أعلى من لغات الهوية، وذلك ما يكون باباً من أبواب خلق جيلين في جيل واحد بثقافتين مختلفتين، وتلك هي المصيبة. جميل أن تكون المدارس الأجنبيّة في بلداننا، والأجمل أن تكون تحت وصاية وزارات التّربية في كلّ بلاد العرب، جميل أن تراقب المدارس الأجنبيّة في ما تقدّمه من برامج ومحتوى، والأجمل أن يقع تفتيشها من مفتشي أهل البلد وتُزار بصفة دوريّة، وتخضع للشّروط التي تُسيّر المدرسة العموميّة. وأما إذا تركنا المسألة سهلاً، فإنّ قلاقل كثيرة تعمل على خلخلة الانسجام الجمعي بخلق التّخب الوطنيّة التي تحتكم إلى اللغات الأجنبيّة، ومجموعات من البسطاء المستعملين للغة الأمّ، وهذا ما يؤدّي إلى ظهور قلاقل في المجتمع ويؤدّي ذلك إلى الحروب اللغويّة ويعيش البلد في ضعف التّنميّة؛ لأنّه لم يثبت أنّ أمة ارتقت بغير لغاتها. وكلّما وقع التّماهي في المدارس الأجنبيّة يكون ذلك تعطيل للتّنمية المستديمة. أنا مع التّفنّح اللغويّ المقيّد بقوانين الدّولة، ومع الإشباع اللغويّ للغة الجامعة في المرحلة الابتدائيّة، وبوضع الطّفل في حمّاه اللغويّ الذي لا تؤثر عليه اللغات الأجنبيّة التي يأخذ علّمها

مرحلياً مع الإعدادي والثانوي بشكل مقسط لا إفراط فيه. وأما في المرحلة الجامعية أن تكون تعددية لغوية بقاعدة فقهية (حيثما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله) أي يجب أن لا نكون أسرى لغة واحدة على أساس أنها لغة العلم، فالعلم يوجد في الكثير من اللغات، ولا نعود إلى سياسة الازدواجية المتوحشة التي تؤدّي إلى تغوّل الاجنبيات وتصبح عرفاً لغة وطنية دون دستور. وتصوّري في المرحلة الجامعية أن يكون تدريس المواد الأساس في كلّ التخصصات بالعربية، ويكون مساقان فقط يدرّسان بلغة العلم لذلك الاختصاص. فمثلاً مادة المعلومات، يقع تدريس مواد الأساس بالعربية ويقع تدريس مادتين باللغة الإنكليزية على أساس أنّه لا يُعلّى عليها في هذا الاختصاص، وهكذا في الحقوق يكون تدريس مادتين بالفرنسية فقط ويكون التركيز على المصطلحات، والإسبانية في اختصاص علوم البحار والإيطالية في الأدب الأجنبي، والصناعة الثقيلة باللغة الروسية، ولا ننسى تقدّم قطب اللوزوفونية، وعلم اللغة الصينية، والعلائق الوشيحة بين العربية وشقيقاتها من اللغات الشرقية...

3- **السؤال الثالث:** الحفاظ على اللغة العربية هو للحفاظ على الثقافة

العربية علي أساس الهوية التي تجمعنا جميعا لتربط بين أبناء العالم الاسلامي؟

3- **الجواب:** بالفعل لا يمكن الفصل بين العربية والتراث أو الهوية وفي

معناها المعاصر المواطنة اللغوية. وأية لغة تحمل ثقافة، ولكلّ ثقافة تراث تنامي عبر السنين والأحوال والمرجعيات، وهذا ينطبق على العربية التي لها همولة الفيل في ضخامة تراثها الكبير. تراث السلف الذي تنامي بدوره عن طريق ركّام الخلف، وتستمرّ الحياة في تكامل بين الأجيال في نشاط إضافي

أحياناً، وتشطبي أحياناً. كما أنّ تكاملاً بين الدين ولغة الدين حاصل بمنطق الفقهاء (ما لا يفهم به الواجب فهو واجب) وإنّ العربيّة لغة وثقافة هي هويّتنا المشتركة كعرب ومسلمين، والأحرى أن يقع الاهتمام بثقافتنا ولغتنا عن طريق الاستعمال والتعميم والتّحبيب والتّغريب ليقع الاعتزاز في الأخير، وهو لبّ بناء مطالب الأمة العربيّة التي تُنادي بتعميم لغتها المشتركة. ويجب أن نعلم بأنّه إذا أردت خلق مجتمع منسجم عليك الاستثمار في اللغة المشتركة في ثلاثة ميادين: المدرسة وما يضمّ مفهوم التدريس عبر كلّ المراحل، ثمّ تعميم اللغة المشتركة في الإعلام لخلق وحدة التّفكير والمرجعيات والاستشراف، ثمّ تعميم اللغة المشتركة في المصالح الإداريّة. وإلا سيبقى المجتمع يعيش المراجعات والتّراجعات ويقع في التّفور، وتنعدم التّميّة التي تتلوها التّبعيّة، ومن ورائها تحصل الازدواجيّة المتوحّشة.

4- **السؤال الرابع:** كثير من محاولات الاستعمار كانت تستهدف القضاء على لغة البلاد المستعمرة لجعل لغتهم تسيطر حتى ينزع هويّتهم؛ كيف تري ذلك؟

4- **الجواب:** هذا مبدأ أساس وبخاصّة الاستعمار الفرنسيّ فهو استخراب عقليّ تبعيّ، يجعل ساكنة البلد سُخرة له ويقتطع أرضهم ويذلّهم ويخلق التّعرات بمنطق (فرّق تُسد) والاستعمار الهولنديّ نفسه والاستعمار الإنكليزيّ أدهى حيث يُلكّمك بلكمات حديدية ملفوفة بالحرير وكلّها استعمار لا استعمار. والأحرى بنا إعادة النّظر في هذا المصطلح فالغربي حيث حلّ خربّ وما عمّر بناتاً، وبخاصّة التّخريب العقليّ الذي يجعلك تابعاً ثقافياً، ونسمع الآن عن مصطلح (غنيمة حرب) على الفرنسيّة

المنتشرة في بلاد شمال أفريقيا، وهذا قول التّخبة المُشبعة التي استفادت لنفسها فقط، بينما نجد الأنداد يرون أنفسهم في المنفى اللغويّ فهم في بلادهم يغتوّن بلغة دون رقاّصين. حيث نجد الحاكم المسيّر يفكّر ويسير ويأمر بلغة والعامل صاحب الأيدي والأرجل يعمل بلغة أخرى وذلك ما خلق وضعاً حرجاً في التّمنية المحليّة، وتعطلت البلاد المستعملة للغات الأجنبيّة في كلّ مناحي الحياة، لوجود فجوة بين الرّاعي والرّعيّة وهنا تضيع الهوية ويبقى المجتمع أسير الأجنبي، ولا تعرف له صورة الوجود، ويعيش التّبعيّة المطلقة وتخلق فيه عقدة العبد المطيع، ويصبح عابداً للتّير والقيّد، ويرى في المستخرب أنّه أساس في حياته، وبدونه لا يعيش، وذلك هو التّدجين السّليم لمنطق العقل الذي تربّى وراء مخبر صناعة التّوجيه والتّذليل، وتحقير الدّات وكلّ ما هو وطني رخيص، وما هو أجنبيّ نفيس.

5- السّؤال الخامس: الأزهر حافظ علي شعار الإسلام ولغة القرآن طوال تاريخه، وقام بتخريج آلاف الطّلاب الوافدين للمحافظة على اللغة العربيّة كيف تري هذا؟

5- الجواب: بالفعل إنّ الأزهر الشّريف حمل رسالة شريفة، رسالة الدّين والعربيّة، وفي الأزهر لا تموت العربيّة، بما فيه من فقهاء اللغة ونحارير العلماء. إنّ الأزهر موطن حسن استعمال العربيّة ومن لم ينتم لمشيختها ما حصل العلم. ونحن في بلاد المغارب هناك حواضر العلم التي تحترمها كثيراً فمن لم يأخذ شهادتها ما أتى بالعلم، وهي: الزّيتونة والقرويين والأزهر وحاضرة مجاية. وتلك في الأيام الخوالي، والآن تغيّر الوضع، ولكن بقيت هذه الزّوايا مُعمّرات للعقول تنير درب المسلم بشعار المسلم على غرار قول

العالم الجزائري (عبد الحميد بن باديس) الإسلام ديننا، والعربية لغتنا
والجزائر وطننا. وشعره في هذا المنوال:

شعبُ الجزائر مسلمٌ وإلى العروبة ينتسب
من قالَ حادَ عن أصله أو قالَ ماتَ فقد كذب
يا نـشءُ أنتَ رجاؤنا وبك الصّباحُ قد اقترب
وهكذا نجد بيوت تلقين الدّين عامرة بالحفاظ على لغة الدّين، والأزهر
الشّريف منارةٌ علمٍ قديمٍ وحديث، وهو مقصد العلماء من مختلف القارات
وبخاصّة من شعوب آسيا التي توفد أبناءنا لهذا البيت المعمور من أجل التفقّه
في الدّين ولغة الدّين وهي العربيّة. إنّ الأزهر منارة المغاربة وقد وجدوا
أنفسهم فيها وتخرّج كبار العلماء من هذا الحصن الإسلاميّ العتيّد. فهذا
(أرزقي الشّرفاوي) والشّيخ الخضر من الجزائر، وهذا التّدوي من الهند
وهذا الشنقيطي من موريتانيا... كبار علماء الإسلام مرّوا بالأزهر دارسين أو
مدرّسين، هي منارة وفنارة الإشعاع الدّيني ذات زمان، ولا تزال تخرّج
جهاذة كبار الأمتة الإسلاميّة، فأنعم بها من منارة! وفي رواق الأزهر ولدت
أجنحة الطّلبة من كلّ بقاع العالم، وفيه توزّع العلماء على القاعات وفيه
كانت المنارات تتنافس في من يُقدّم الأفضل.

6- السّؤال السّادس: اللغة العربيّة أكثر كفاءة في العالم والأوسع تصرّفًا
ومواكبة للعصر كلاما وكلماتها تصل إلى ملايين الكلمات فهي اثني عشر
ألف يعني اثني عشر مليون كلمة ويمكن الزيادة عليها فهي واسعة ومع
ذلك لا يدرّس بها علوم الطّب والصّيادلة؟

6- **الجواب:** هذا واقعها اللغويّ الكبير 12335212 كلمة، بعدد جذورها 16800 جذراً، وهي لغة رسميّة في جميع الدّول المنضوية تحت مظلة جامعة الدّول العربية (22) دولة، ولغة أجنبيّة رسميّة أولى في اثنتي عشرة (12) دولة، ولغة أجنبيّة رسميّة ثانية في ستّة وعشرين (26) دولة، بما مجموعها= ستين (60) دولة، أضف إلى انتشارها الكبير في القارات الخمس وبها يرفع الأذان دون انقطاع ليل نهار. وأمّا جانبها الاشتقاقي فلا لغة تعادها بتاتاً. ومع كلّ هذا؛ فإنّ لغة العولمة بعيدة عنها في محمولها اللغويّ وفي جذورها لكنّها أقوى في الوقت الحاضر، فأين الخلل؟ يبدو لي لا يمكن أن نتحدّث عن مفعولها إذا لم نضعها على محكّ الاستعمال، فنحن نرميها بالضعف ولم نجعلها محلّ تدريس العلوم، نقول فيها نقص المصطلح ولم تُجرَ مجرى الاستعمال ما هو كائن... ولهذا لا يمكن أن تعجزها مصطلحات الطّب وهي أغنى اللغات، علماً أنّ الطّب بقي في جامعة السّربون بالعربيّة ولم يخضع للتلتنة إلى غاية 1624م، وكان بالعربيّة الفصيحة يدرّس بالقوّة والفعل، فهل من المعقول تقف العربيّة عن نقل الطّب بلغة العرب، أو التّدريس أو الاستعمال، وقد نقلت الكثير من العلوم بسرعة، ثمّ أصبح ينقل منها. المشكلة في التّطبيق والعزيمة وصدق التّوايا، ولهذا بقينا نعيش الشّكوك في صلاحية تدريس الطّب بالعربيّة. وإنّ العجز فينا وفي رخاوتنا وهلاكنا وتهاوننا في لغة هي أمّنا الجامعة المانعة، وهي لغة الأمّة وقد عبّرت عن همومها بشكل مبهر.

7- **السؤال السابع:** اللغة العربية يتكلم بها نحو نصف مليار من البشر ولكن المليار ونصف من المسلمين يعتبرونها لغتهم الثقافية والدينية كيف تري ذلك؟

7- **الجواب:** تقف مبهوراً وتسمع التيجيري يتحدث بعربية فصحي وهذا إندونيسي بعربية دون خطأ، وتتعجب من تلك الشدة والعزيمة من هؤلاء المسلمين الذين يذوبون في العربية وبعضهم يتأسف على عدم تعلمها وبعضهم يقرأ القرآن ولكن لا يفهمه بالعربية. والعجب الأكبر عندما تجد العربي يعجز عن التعبير، ويلهج في كلامه، وترى العربية تنتحر على فيه... تلك هي المصيبة. وكان علينا أن نكون القدوة في حُبنا واعتزازنا واستعمالنا للعربية، ولكن كل ذلك لم يحدث، فهناك هنات وفجوات تحتاج أن نسدّها ونكون نماذج لهؤلاء المسلمين الذين يعبدون العربية ويموتون في خدمتها فبخ بخ عليهم. ونرى الاعتزاز بادياً في ثقافتهم الروحية وفي موروثهم العلمي ونجد الإشعاع اللغوي ينير درب البحث في الدالات الثلاث: الدين + الدولة + الدنيا، تلازم بين العلوم الدينية والمعلومات وعلم الفضاء، ومخابر اللغات تشع بالطلبة والباحثين باللغة العربية، بله الحديث عن إشعاع الترجمة، ومدارس تعليم العربية لغير أهلها.

8- **السؤال الثامن:** كل الشعائر الإسلامية تدعو إلى الوحدة والتعاون والتكامل، ولكن على أرض الواقع، لا نجد إلا التمزق والفرقة بين المجتمعات الإسلامية؟

8- **الجواب:** تفاءلوا خيراً تجدوه، لا نزرع التئيس، بل نزرع الأمل بالعمل، فالماضي لا يعود، وليكن عبرة كي لا نقع أو لا نعيد الخطأ. علينا العمل بفقہ الوحدة والتكامل والتعاون ونشدان الأفضل، ويبدو لي بأن بوادر الانفراج تسير إلينا ونحن نصنعها، تسير الهوينى ولا نمشي القهقري وهذا جيد ولو أنها تسير بثؤدة ولكنتي أراها مضمونة، وهي الأمل. وكان علينا كسب الآخر بتسامح ديننا، ومحبّة الآخر، ومد يد العون للمحتاج ولكل إنسان، فإن لم يكن شريكك في الدين؛ فهو شريكك في الخلق. هي نعمة الإسلام علينا استغلالها وتوريثها بأخلاق الرسول ص وبقيم الإسلام وعفوه وهذا هو الدرس الذي كان علينا وعيه وكسبه ونشره في رهان الحداثة وتحدي العولمة، وقبول الآخر، وكسب الحوار مع الأطراف التي لا تعترف بالإسلام.

9- **السؤال التاسع:** الغرب دائماً ما يتلاعب بالمصطلحات كالإرهاب الاسلامي أو يوصف بالجمود لتخويف الناس منه، كيف تردون على هذه الافتراءات ومن الذي يقف وراء الإسلاموفوبيا، وهل هناك ما يسمى بصراع الحضارات؟

9- هنا يظهر غباؤنا، فهؤلاء يدافعون عن الخطأ بذكاء، ونحن ندافع عن الصواب بغباء، أليس حرياً بنا أن نقول: إنّ الفلسطيني الذي يدافع عن أرضه المغتصبة شرف أن يكون الإرهابي الباحث عن استرداد أرضه وأنّ الحرية لا توهب، بل يُطلب موتها من أجل أن تكون. والإرهابي ذلك الذي اغتصب الأرض، وهنا لا بدّ من ردّ الفعل بمقلوب الواقع، لا بمفهوم انقلب السحر على الساحر، فأين الشيوخ التزيهون لتصحيح الوضع وتفسير هذه

المصطلحات حسب سياقها، وبجسّن الدِّفاع، وأين التَّخبة العربيّة العالمة التي تخرج من صمتها ومن بيتها وتعلن حسن الدِّفاع بسلميّة دون تصنيف أو تعنيف. تلكم هي الخصيصة التي تنقصنا في الدِّفاع عن قضايانا المصيريّة ونرى الشّتات يفرّقنا، والأهوال تعصف بنا، ونشهد اندحارا يدفع بنا إلى المغامرة في الرّهاب من الإسلام، وهو بريء. وهذا كلّه يأتي في حراك حضاريّ يكون البقاء فيه للأقوى حجّة ومنطقاً ومجوار علميّ هادئ نصل إلى استكناه قضايا فهم الإسلام فهماً علمياً. وهناك محامد نقف عليها بأنّ التزيهين من الغربيين يقرّون بسلام الإسلام وبعظمة هذا الدّين الذي لم يأخذه الجيل الجديد مأخذ السّلف الصّالح وبمقتضيات المنهج المعاصر الذي تتلاقى في كثير من المسلّمات عند الأديان الأولى. ومع كلّ ما يمكن أن يقال عن الإسلاموفوبيا فإنّ منعكسات الواقع تغيّرت في كثير من البلاد، وأنّ الإسلام يتمدّد وينتشر في أوروبا بقوة الأهالي لا بقرارات الدّول التي تمنع الحجاب.

10- السّؤال العاشر: كيف يتمّ التّسيق بين الجاليات الإسلاميّة حول العالم والتي تُقدّر بالملايين لتوحيد الجهود لإظهار صورة الإسلام الصّحيحة؟

10- الجواب: الابتعاد عن خطاب العنف، وقبول الآخر، مع ضرورة تفعيل الجمعيات في أوروبا وهي نشيطة في هذا المجال، مع عدم الخروج عن قوانين الدّولة الغربيّة بغرض قضاء المصلحة المرسلّة والتي أوصانا بها ديننا. وعلى المسلم الدّعوة فقط، والله هو الهادي. ويبدو لي بأنّ الامتداد المكاني في آسيا وأفريقيا الغربيّة ودول السّاحل وفي أوروبا الغربيّة والشرقيّة أنّ عهداً جديداً للإسلام قادم. ونستبشر بالآفاق الواعدة، وبالعدد الذي نيّف المليار

وثمان مئة مليون من المسلمين، والقادم أفضل. ويجب أن نقول الواقع بأنّ الجاليات المسلمة تقوم بواجباتها ومع ذلك تحتاج من بلاد الإسلام الدّعم القانوني عن طريق تدخّل الدّول العربية والإسلاميّة من أجل تسويات بعض الوضعيات العالقة بخصوص المسلمين العالقين. وأما خارج بلاد العرب وعند أهاليها المسلمين في آسيا على الخصوص فأنعم به من إسلام يتنور يومياً، وبالمسلمين التّشيطيين العاملين على التّعاش والمحبّة والأخذ والعطاء في حدود ما أنزل الله!

ولا بدّ أن نقول بأنّه يجب على المسلمين في الخارج أن يظهروا سماحة الإسلام، وطرح قضايا السّلم الاجتماعي بمنهج القرآن الكريم الذي أكرم الإنسان وحرّم قتله أو التّشنيع به، كما جعل من الأمر الاختلاف سنّة مثلى بكلمتين (لكم دينكم ولي ديني) وضرورة الوعي المختلف في أحكام الخلاف الفقهي أو الخلاف في التّفسير، وليست من التّناقض أو الرّدة. وعلى الشّيوخ حسن الإحكام في تأطير المسلمين بحركة الاعتماد الديني القرآني وبدلالات الأحاديث التّبوية الشّريفة الموثوقة دون التّركيز على الخلافات الجزئية. وعلى الشّيوخ كسر الأقفال التي كانت عائقاً أمام الاستماع للرّاي المخالف وضرورة الاستماع بأرضية مناسبة لكلّ حديث وهذا من متطلّبات مآلات المستقبل للعيش في بلاد غير إسلاميّة؛ باحترام الآخر (المضيف) ومحاولة كسب ودّه وربّما استمالته، والإسهام في تقديم الإسلام في مقابل الإنجيليات أو البروستنتينيات بوجه تيار السّلم والمصالحة المحافظ على إنّيّة المسلم في بلاد الغربية، والعيش معاً بسلام. ولا بدّ من العمل على تضامن مصلحيّ جديد مع الطّرف الذي يخالفنا في الدّين، وهذا من مآلات الزّمن المعاصر الذي

يستدعي التعامل بالقوة التامة، وبمسؤولية التّخبة الدّينية والثّقافية في الحفاظ على سلّم المجتمعات وتضامنها مهما تباعدت الشّقة في مجال الإيمان، ولا بدّ من استراتيجيّة مبنية على فقه المعاملات المستمدة من ديننا الحنيف.

11- **السؤال الحادي عشر:** وثيقة الأخوة الإنسانيّة جاءت لتخلّص العالم من الصّراعات والحروب وخصّصت الأمم المتّحدة يوم 4 فبراير هل سيساعد على إعادة اللحمة بين بني البشر من جديد لتتماسك، فكيف ترون سُبُل تطبيقها في كافة المجتمعات؟

11- **الجواب:** ماذا يتمنى الأعمى؟ يتمنى التّور، هناك مجموعات من القرارات الأمميّة، ومن وثائق حقوق الإنسان، ومن المعاهدات والتّفاهات وقد بقيت حبراً على ورق، فلم تنل التّطبيق، وبعض بنود المعاهدات تطبّق على شعوب دون شعوب، ولا يزال بعض التّمييز يسود. ويبدو لي بأنّ الإنسانيّة في جينياتها تسعى إلى التّكامل الإنساني، وأنّ اليوم العالمي للأمم المتّحدة 4 فبراير هو تأكيد وتنيه لهذا الأمر، وفيه يفترض أنّ النّاس يندفعون مخلصين ضد الصّراعات وما يحدث من قلاقل بين البشريّة، وكلّنا تواق إلى السّلم. ومع ذلك يجب أن نقرّ بأنّ هناك خللاً أعمياً، وهناك مؤسّسات تحتاج إلى رجة، وإلى تفعيل آلياتها الإجرائيّة بما يتوافق وبيانات التّطبيق الصّارم فالمشكلة ليست في البيانات أو في التّداءات، بل في تجسيد الاتّفاقيات. وكلّ هذا لا يمكن للعرب وللمسلمين لن يبقوا متفرّجين وهم لا يصنعون القرار ولا يستنفرون الأنفار، ولا يذودون عن الحياض، تُفرّقهم الكلمة، وهم الآن شذر مذر، فالحالُ تغير، ويشهدون على أنفسهم أنّهم يخرجون من خريطة الوجود. ولا بدّ من دعوة جديدة ومن استئناف علميّ قويم، ومن وعي

جديد للغتهم ولدينهم، والعودة إلى أصالة أجدادهم الذين عاشوا بوصفة التكامل التي أوصانا بها الإسلام ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13. وأعلم أننا إذا أردنا نستطيع، فتعالِ نصنع الحدث، ليكون لنا موقع ضمن خريطة العالم، كي لا نخرج من الجغرافية المعاصرة. تعالِ نعتز بلغتنا الفصحى الجامعة، تعالِ ننجر المشاريع التطويرية التي ترفع من سوية العربية، وهي لغة الحضارة الإنسانية، تعالِ نعمل على إعادة اللحمة بين بني البشر من جديد ونترك -نحن المسلمين- بصمةً في خريطة التاريخ، ويكون لنا موقع في المكان.

وأتمنى لكم كلّ التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها^٧

- الدّيباجة: يسعد المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يكون حاضراً في جامعة الشهيد (العربي بن مهدي) بأمّ البواقي في شراكة علميّة مع خبير (تعليميّة اللغة العربيّة والنّص الأدبي) بكلّيّة الآداب واللغات، ونسعد بإسهام مديريّة الثقافة التي تعضد المؤسّستين بما لها من أفكار. كما نهنيّ اللجنة العلميّة على اختيار موضوع السّاعة الخاصّ بتكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها، لما لهذا الموضوع من مزايا في عمليّة التّعليم؛ نظراً لأثر التقنيّات الرّقميّة على اقتصادات المجتمعات، وطريقة العمل والتّواصل والمشاركة في الأنشطة الاجتماعيّة والتّمتع باللعب. بله الحديث عمّا بينه هذا النوع من التّعليم من تنامي مهارات التّعليم واستخدامها في مختلف مجالات الحياة وأهمّيته في دمج تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في التّعليم والتّعلّم. ومن هنا ما يجب وعيه أنّ الوضع المعاصر وأمام المتغيّرات والتّوازن لا بدّ من أخذ هذا النوع بالجدية المطلوبة للإسهام في توفير بنيّة تحتيّة تُخفّف التّبعات الاقتصاديّة على الدّولة، وتقلّل من مرافق وتعالج ظاهرة التّسرّب المدرسي وفي ذات الوقت نرى هذا التّعليم يعمل على تحسين بنيّة التّعلّم عن طريق البيئات الافتراضيّة والتّطبيقات المصاحبة في تواصل دائم بين المعلّم والمتعلّم

^٧ - أعدت المحاضرة لصالح خبير (تعليميّة اللغة العربيّة والنّص الأدبي) بكلّيّة الآداب واللغات جامعة العربي بن مهدي، بأمّ البواقي. في ملتقى يحمل عنوان (أثر تكنولوجيا المعلومات في تعليم اللغات وتعلّمها). بتاريخ 15 و16 نوفمبر 2021م.

داخل وخارج الصّف، كما يتيح نشر المشاريع في نقاشات على هيئة فيديوهات تعليمية، ويحصل النقاش الافتراضي الذي يأتي بالتغذية الرجعية.

- المقدمة: نعلم قطعاً بالمتغيرات الحديثة في مجال التعليمات، بما تقدّمه الوسائل التقانية الحديثة عبر التطبيقات التي تنزل يومياً في google drive، وما ينشأ من مجموعات واتسابية، إضافة إلى مدونات التلقين الصّفي في الفيديوهات، وتطبيقات (Flipped Classroom) وما يأتي من أدوات (Web tools) ... وكلّ هذا أسهم في مهارات التعليم الدّاتي جرياً وراء المعرفة التي هي متاحة للجميع من خلال برمجيات تفاعلية افتراضية يقدمها عالم الحاسوب؛ دون التّظر إلى السنّ/ الجنس/ معطيات الواقع، بالاستغناء عن الحضور الوجاهي والتنقل، ودفع المستحقّات الدّراسية، وأنماط النّظام الصّفي... وهذا في إطار الأثر الجديد لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الممارسات التعليمية والتي يتّجه العالم نحوها بشكل خاصّ ضمن التّحوّل الرّقميّ الذي تعرفه كافة المجالات.

1- تكنولوجيا التعليم/ تكنولوجيا المعلومات: بالنسبة للأولى فهي طريقة منهجية لتصميم العمليات التربوية وتقومها استناداً إلى أهداف محدّدة وهي ممارسة لتسهيل العملية التربوية (التعليم والتعلّم) وتعتمد نظرية معرفية في التطبيق. وأمّا الثانية فهي تتألّف من أدوات أجهزة الحاسوب وملحقاتها التي تمكّننا من إدخال/ حفظ/ نقل/ الحصول على النّائج من المعلومات وتتضمّن: أجهزة الحاسوب ومكوّناتها وملحقاتها الملموسة كالشاشة، لوحة المفاتيح الفأرة الإلكترونية، الطابعة. (Hardware) + البرمجيات (Software)

كأنظمة التشغيل (Operating Systems) والبرامج التطبيقية Application Programs). الشبكات بمختلف أنواعها: (Intranet), (Internet), (Extranet). (Network) + أجهزة الاتصالات والتواصل ووسائلها والهواتف الذكية. والجمع بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي التكنولوجيا المختلفة بما فيها شبكات تسمح بالتواصل بين الأشخاص والجماعات بسهولة وسرعة يعرض النظر عن المسافة التي تفصل بعضهم عن بعض بهدف تحقيق الأهداف المنشودة. وقد أصبح استخدام تكنولوجيا المعلومات في ميدان التربية والتعليم ضرورة؛ بغية استغلالها في مختلف الأنشطة المتعلقة بالتعليم والتعلم والتي تشمل حقول التخطيط والتعليم والإدارة التربوية، وتطوير الأساليب والمناهج التربوية وتقويمها إضافة إلى تعزيز التعلّم والتعليم بواسطة الحاسوب.

2- تحديات يجب كسبها في تعليم اللغة العربية باستخدام التقانات المعاصرة: هناك تحديات كثيرة كان علينا وعيها ضمن البيئة التعليمية الافتراضية التي هي شرًا لا بدّ منه، وكيف لنا أن نستفيد من خدماتها في ما تقدّمه للعربية من تطوير وجودة وسرعة تقديم المعلومات. ومن هنا نوصي أنفسنا بمجموعة من القضايا التي نحن مجبرون على التعامل معها لما لها من أثر تعليمي، وهي:

1/2- الوعي والعمل باللسانيات الحاسوبية: وهذا يؤدي بنا إلى فهم توليف الكلام في الدراسات الصوتية اللغوية النفسية، ولسانيات المدونات بشتى مجالاتها، مع استخدام برمجيات قواعد البيانات.

2/2- التماهي في برمجيات فهم النصوص أو الحوار مع الآلة التي تحتاج إلى الذكاء الصناعي.

3/2- إدراك أهمية ما يقدمه الحاسوب/ الكبتار من خدمات للغات: وهو من أهم المنجزات التكنولوجية المعاصرة، حيث انتشر استخدامه في مختلف ميادين الحياة نظراً لإمكاناته الكبيرة، وكفاءته العالية في الأداء التي وفرت الجهد والوقت والتكاليف في كافة المجالات. ومن بين هذه المجالات ميدان اللغة؛ حيث يُستخدم في معالجة النصوص/ تنسيق الكلمات/ تقديم البرمجيات/ عرض النصوص لأغراض الشرح والمناقشة الجماعية/ استخدامه في الشبابة/ الترجمة/ التعرف على الحروف البصرية/ استخدامه في برنامج إنتاج الكلام/ توليف الكلام/ التعرف على النصوص الشفوية/ التعليم والتقويم...

4/2- ضرورة استخدام التكنولوجيا في التعليم في ظلّ الحضور القوي للتكنولوجيا في القرن الحادي والعشرين، وكونها أصبحت جزءاً أساساً من حياتنا.

5/2- استخدام التكنولوجيا في التعليم له فوائد عدّة، ومنها جعل المتعلم أكثر مُتعة للطلبة، وذلك ما يزيد من دافعيتهم نحو التعلّم.

6/2- سهولة الوصول للمعلومات، وجعل عملية التعلّم أسهل. وخلق مجارٍ تشاركية بين المُتعلّمين، معلّم متعلّم في نفس الوقت.

7/2- قيام الصّفّ بجملة مشاريع سنوية شراكة وذلك ما يخلق الجوّ التفاعلي بين المتعلّمين.

8/2- خلق بيئات تعليمية إبداعية من خلال إنتاج أفكار في الألعاب اللغوية مثلاً، إبداع طريقة تعليمية سريعة...

3- اللغة العربية في سوق الأجهزة الحديثة: هي جملة من التحديات كان علينا جميعاً العمل على رفعها لتكون العربية واقفةً للنّد أمام لغات العولمة وهذا يمكن أن يكون عندما نوجد الأرضية المعرفية اللغوية للعربية وبحواملها التكنولوجية المعاصرة مستعدة للتطوير اللغوي المطلوب ويمكن أن نشير إلى أهمّها:

1/3- كيف نجعل الأساتذة يجمعون بين فقه اللغة، وصناعة المعلومات ودقة التخصص.

2/3- كيف يكون العمل على وصفة سدّ نقص في البرمجيات بالعربية العاملة على برامج التدريب على استخدام وسائل الاتصال الحديثة والتقنيات التكنولوجية.

3/3- كيفية التغلب على ضعف البنيات التكنولوجية والتجهيزات وارتفاع كلفتها.

ولهذا كان علينا -نحن العاملين- على اللغة العربية العمل على مجابهة هذه التحديات في ظلّ الانتشار الكبير لوسائل الاتصالات، ولا يمكن مجابهة ذلك إلا بالعمل على تيسير العربية وعلومها، واستخدام وسائل الاتصال الحديثة في تعليم وتعلّم العربية، وجذب اهتمام الدّارسين وضرورة الرّهان على المبادرات. ومن الضرورة وجود سياسة دعم استخدام الحواسيب في المؤسسات التعليمية، والاعتراف بهذا النوع من التّعليم بما في ذلك الاعتراف

سياسات التعليم عن بُعد أو التعلّم الافتراضي. وهنا نسأل عن موقع العربية، وإلى أين تتجّه في ظلّ هذا الرّكام المعرفيّ المعاصر. وأرى فيها ما يلي:

1- الإقرار بحاجة العربية إلى الاستثمار في التّقانات المعاصرة في زيادة سعة انتشارها.

2- البحث عن سبل التّهوض اللغويّ من جديد، وحاجتنا ملحّة لنهضة لغويّة شاملة قادرة على تلبية مطالب العصر.

3- العمل على تنصيب مخابر اللغات التي تجمع فرق البحث المختلفة الاختصاصات والتي تعمل في شراكات تخصّصيّة متكاملة.

4- البحث عن الطّريقة الأمثل لإعداد المدرّس إعداداً مناسباً، وتهيئة الطّالب لاستعمال المخبر.

5- ضرورة التخطيط الدّقيق لعمليات التّحديات التّربويّة والثّقافيّة، مع ما يتمشّي ومركّبات كلّ تحدّ.

6- التّفكير العميق في أكبر تحدّ وهو صدمة المستقبل، المتعلّقة بالفجوة الرّقميّة وهي أمّ المضايقات في الثّورة المعلوماتيّة بالنّسبة للعربيّة.

وبدون هذه الأشياء العلميّة لا نلهم بمجتمع المعرفة، ولا يمكن أن نسير في ركب العالم المتقدّم، ولذا لا بدّ من مشاريع على الآماد الثّلاث حسب معطياتنا الحاضرة والمستقبليّة، وضرورة التّماهي في حلّ مضايقات هذه التّحديات التي جعلت العالم قريّة بسيطة بأحاديّة لغويّة فرنكيّة، فأين موقع

العربية في هذه الفرنكة. ويبدو لي أنّ هذه التحدّيات تعالج على مستوى المدرسة والمبادرات وحسن الحوكمة، مع ما يتبع ذلك من تشريعات وقوانين ملائمة لتنظيم المعلومات ووسائل التقانات المعاصرة في ميدان التربيّة والتعليم.

ومن الضروريّ التأكيد على المغامرة العلميّة المطلوب خوضها في بحر تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات لما سوف تقدّمه التكنولوجيّة من حلول للقضايا اللغويّة العالقة في العربيّة، والتي نراها تستخدم الطرائق الناشطة والتفاعليّة، ومع ذلك تحتاج إلى الجمع بين الواقع والافتراض؛ بتوفير نوع من التعليم التفاعلي مساهمةً في بناء جسور تواصل الطّالب مع محيطه المدرسيّ والمجتمعيّ ومع العالم الخارجيّ، إضافةً إلى إعداد الموادّ التعليميّة الجيّدة التي تُعوض نقص الخبرة لدى بعض الأساتذة، وحلّ المشكلات التي تعترض الطّالب/ الأستاذ أثناء عمليات التدريس... وكلّ ذلك يؤدّي إلى توفير الوقت والجهد، وإلى تفعيل العمليّة التعليميّة التعليميّة بشكل مُرضٍ من خلال تحضير الأدوات اللازمة والوسائل في أيّ وقت وفي أيّ مكان. وكلّ ذلك يعمل على تطوير الأساليب والطرائق التربويّة والتألف مع التكنولوجيّة الحديثة، وإتقان استخدام المفردات الإلكترونيّة. ولذا لا بدّ من التّماهي مع أوعيّة المعلومات وحوامل الاتّصالات لتحديث نقلة نوعيّة للعربيّة التي يُلام أهلها بأنّهم لا يُبدرون ولا يغيرون أفراداً وجماعات على حسن استخدامها والدّفاع عنها بعمليّة علميّة، وبما يُنتج لها من تطبيقات وخوارزميات ومنصّات بذكاء (OCR) ونحن عنها لاهون وعلى غيرها مُتلهّفون. وحسبنا أنّ الحاسوب صالح لكلّ اللغات الطّبيعيّة وأنّ ذكاءه يقبل تشجيرات

وتشقيقات العربية بسهولة، وما علينا إلا استخدام أسلوب المحاكاة في تمثيل الأحداث والاختبارات والألعاب التعليمية التي تساعد على إكساب المتلقي للغة العربية مهارات عدة مما هو جارٍ في اللغات الأخرى، مع تحويل يناسب خصائص العربية. وهكذا نقول: علينا التفاعل مع الوسائل السمعية والبصرية التي تسمح باستخدام التفاعل والإبداع وتنمية القدرات والمعارف وذلك ما يكسب لغتنا العربية منهج التفكير السليم والبحث في آخر التقانات ورفع مستوى العطاء التعليمي لبناء معرفة العربية في ذاتها ولذاتها. وذلك ما يرقى بتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة بشكل فاعل في تطوير الكثير من المفاهيم التعليمية، وتعزيز قدرات الأساتذة والطلبة على حد سواء. فبالرغم من التحديات التي صنعتها هذه التكنولوجيا، فإن نتائجها كانت إيجابية، وحققت الكثير من القفزات العلمية والمعرفية، ومع ذلك نحلم بالمزيد، ونطمح لما هو أفضل بالعمل الرصين، ونريد أن يكون لنا موقع في تخزين المعرفة بشكل رقمي، حيث أصبحت توضع كنصوص مكتوبة أو صوت أو صورة أو فيلم أو وثائق ورسومات، وجميعها متوفرة على الشبكة فكيف نستفيد منها، وكيف نجعلها سريعة الاستجابة، وكيف نعمل على تطويرها في تطور العمليات التعليمية من حيث إنها أعدت أرضيات معرفية لمواجهة عصر الآلة، وزادت من كفاءة المعلم والمتعلم، وقللت من مجهوده في المكتوب وفي المنطوق، وأبانت عن قدراتها في صنع الإبداع، وأمنت وسائل حديثة أسهمت في حسن الأداء التعليمي، وحررت المتعلم من قيد الحضور في قاعات الدرس للوصول إلى المعلومة، ووفرت مكتبات رقمية يمكن الوصول إليها بسهولة وبالجحان ودون طابور، وكل ذلك عمل ويعمل على

تفتق الإبداع المؤدى إلى خلق المشاريع والمنجزات العلميّة والموسوعات والمعارف المتطوّرة. والمهمّ تعالٍ بُادر، تعالٍ نبنِ المشاريع لكسب رهان التكنولوجيّة الحديثة في المجال التعلّميّ التعلّميّ ولتكن جامعة أم البواقي تقود المبادرة. وما عليكم إلا أخذ المقود، وبادروا فالعربيّة تعوّل عليكم، فلا نتركها للتواكل، بل نضعها في عيوننا ونخدم جلاله الملكة اللغة العربيّة، فنحن السدنة المعوّل على تطويرها.

قراءة النص، الإشكاليات والمناهج[♥]

- **الديباجة:** أسعد أن أكون محاضراً عن بُعد لصالح جامعة الوصل في الشقيقة دولة الإمارات العربية المتحدة، بإمارة دبي، وفي رحاب مركز جمعة الماجد. ويمتدّ الشكر إلى كلّ الأساتذة المشاركين في هذه الندوة العالمية، وفي المؤتمر الدولي الثاني للدراسات العليا والبحث العلمي. ولا أخفيكم أنّه نالني الشرف وأنا أُلقي كلمتي من الجزائر في هذا الموضوع الذي اختير من اللجنة العلميّة التي تُعلي مقامها لحسن اختيار عنوان هذا اللقاء المهمّ، وأنا أُلقي نظرة على أهداف الملتقى، وأجدها تعمل على تعزيز التّواصل بين الباحثين في مجال نظريّة التّكامل، وهي من الدّراسات الحديثة البيئيّة التي تتأزّر فيها المجال لخدمة موضوع واحد، في إطار تنوّع الأفكار؛ وصولاً إلى كمال الموضوع من كلّ جوانبه. وينالني الشرف أيضاً أن أُلقي كلمتي من مقرّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بمناسبة عظيمة؛ اليوم العالمي للغة العربيّة في شعارها لهذه السنّة (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاريّ) وأرى المحامد متكاملة في الاختيار، وما له علاقة بالمناسبة الكبيرة التي نُحتفي بها بجلالة الملكة للغة العربيّة، فأنعم بهذا الجمع المضيف! والشّيء اللافت للانتباه هذا الاهتمام بالبحث العلمي في جامعة الوصل، وفتح المجال لطلبة الدّراسات العليا ليُسهموا في منجز هذا اللقاء، وهذا ندرّة في الحقيقة، ولكن في جامعة الوصل

♥ — محاضرة أُلقيت بطريقة التّحاضر عن بُعد؛ لصالح جامعة الوصل بدبي، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة. بتاريخ 24 نوفمبر 2021م.

نراها ملموسة فنعم العملُ في ترسيخ آفاق البحث العلمي لتبادل الخبرات بين المشيخة المنتجة للأفكار، وبين الأتباع المريدين المضيفين ليحصل الإبداع.

إخواني الحضور، أيها المتابعون، أيّها الطّالبات والطّلبة، ماذا عساني أقول في قراءة النص من حيث إشكاليّاته ومناهجّه، ومن أيّ مجال يُدخله وفي أيّ علم نبحث فيه. وكلمتي المقتضبة تدور في هذا المزج البيني بين الدّراسات وما يستدعيه النص من قرارات لغويّة أو أدبيّة أو علميّة في صور جدليّة تبادل العلاقات بين العلوم والمناهج؛ للوقوف عند محدّدات كلّ مجال، وكيف تتفاعل العلوم فيما بينها، وتستفيد من بعضها بمبدأ مستفيد مفيد. وهي صورة لقضاء المصالح المرسلّة بين العلوم والمناهج لحلحلة كلّ الإشكالات التي تكون نقيضاً أو تضاداً في صورة التّنافر، وهذا ما لا نسير فيه، بقدر ما نسعى إلى صورة بناء بنيان حضاريّ تكامليّ بمبدأ الأجداد إن أحسنَ اللاحق، فإنّ الفضلَ للسّابق وتكامل العلوم فيما بينها وصولاً إلى تحقيق الجودة، وحفظاً لتراثنا الذي كان لا يفصل بين العلوم، بمبدأ علوم اللّغة العربيّة. ولذلك يُعدّ النقدُ أحد الآليات المهمّة في تجديد تعاملنا مع المناهج وتفعيلها والارتقاء بالبحث العلمي نحو الأفضل. ولا يكون ذلك إلاّ بتجاوز ما يُعرقّل عمليات التّفصيل، وفي مقدّمة ذلك إشكاليّة الثنائيات القائلة كالأصالة والمعاصرة، والديني والعلماني، والأنا والآخر، وغيرها مما يحول دون تجديد الفكر والإسهام في إنتاج المعرفة ونشدها التّغيير الذي يتجاوب مع تطلّعات الباحثين وطموحاتهم في عالم يعجّ بالتّورات المعرفيّة. ويتحوّل هذا التّغيير إلى فعل يوميّ مستمرّ.

أيها الحضور الكريم، ويتجدد الحديث في التدوات والملتقيات عن النص والمنهج؟ فهل يمثل هذان المصطلحان إشكالاً معرفياً وتاريخياً ومنهجياً في ثقافتنا، حتى تُثار مسألة العلاقة بينهما، وفي أيّ إطار يمكن أن نضعهما وننظر إليهما، وبخاصّة إذا ربطنا الحديثَ عنهما باللغة العربيّة، وعلاقتها بالطرائق التي يمكن أن تساعد على التفكير فيها والتّهوض بها، باعتبارها مادة النصّ وأداة المناهج في الوقت نفسه. فهل يمكن أن نفكر في موضوع اللغة العربيّة تفكيراً منهجياً علمياً وليس تفكيراً وجدانياً، وهل التّفكير المنهجي في لغة النصّ العربي يفرض على الباحث أن يتأوّل هذه اللغة بالمنطق نفسه الذي تفرضه طبيعة المناهج المعاصرة وهي جميعها، مستمدّة من الثقافة الغربيّة وترتهن إلى تحولات فكريّة وثقافيّة مرتبطة بتحوّلات المجتمعات الغربيّة المعاصرة؟

لا شكّ أننا ومنذ عصر التّهضة، ونحن نحاول وفي إطار هذه الثنائيّة (النصّ والمنهج) أن نجد مسلكاً يسمح لنا بالاستفادة من نتائج العلوم ومفاهيمها الإجرائيّة في فهم النصوص العربيّة وتحليلها، وفي الوقت نفسه، كنّا حرصين على إقامة جسرٍ يوصلنا باللحظة الحضاريّة والتاريخية العربيّة التي تدفع بحركة الإبداع العربيّة لتتميّز بشخصيتها المتألفة مع زمنها، والتّواقة إلى إنتاج معرفة فاعلة في المشهد الثقافيّ العالميّ.

ولقد وضعنا مناهج دراسة اللغة والأدب، التي وفّدت إلينا، في وضعية ثقافيّة مربوطة أحياناً بثقافة غير ثقافتنا، ووجدنا فيها وجهات التّظر والمواقف توزّعت إلى فريقين، يذهب الفريق الأوّل إلى التمسك بضرورة الاعتماد على الطرائق العلميّة التي وفّرتها المناهج العربيّة وأثبتت جدارتها في معاينة

الظواهر اللغوية والأدبية، في حين يرى الفريق الثاني بأنه لا مأمّن للغة العربيّة ونصوصها سوى أن نفكك مغاليق التّراث العربيّ؛ بإعادة قراءته وفهمه والاستفادة من جهود علمائنا، فنرفع بذلك التّعارض بين طموحاتنا العلميّة وهويتنا الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة. علماً أنّه قد أسفر التّعارض بين هذين الفريقين على بروز فريق ثالث توفيقيّ؛ يدعو أصحابه إلى الانفتاح على الثقافة الغربيّة، ومحاولة استعارة مفاهيمها الإجرائيّة في دراسة تراثنا، الأمر الذي سمح لنا بإعادة التّظّر في كلّ مرحلة من مراحل تاريخ الفكر العربيّ المعاصر، والتّفكير في جدلية العلاقة بين النصّ والمنهج، محمّلين برغبة جامحة في صياغة رؤية جديدة، جذيرة بلغتنا ونصوصنا، وذلك بجعل هذه المناهج - وبخاصّة التي بدت قريبةً من المعرفة التّراثية كعلوم اللغة والتّداولية - قادرةً على أن تُفكّر باسم ثقافتنا، وتُسهّم في إعادة قراءة تراثنا اللغويّ والأدبيّ وواقعنا، بهدف إيداع ما يمكننا في إنتاج نظريات ومناهج خاصّة بنا تنبع من لغتنا العربيّة ومن تراثنا ونصوصنا.

ونحن نعلم أنّ جهوداً معتبرة في هذا السّياق استطاعت أن تُعيد الاعتبار للبحث في اللغة العربيّة كالتّظريّة الخليليّة للأستاذ (عبد الرّحمن الحاج صالح) ونظريّة المجال التّداولي لـ (طه عبد الرحمن) وغيرهما من الاجتهادات التي قامت على تذكّر التّمودج الثقافيّ العربيّ، والاستفادة من إجراءات العلم التي توفّرها المناهج المعاصرة، وأكّدت هذه الجهود بأنّ في تراثنا وفي واقعنا اللغويّ والإبداعيّ ما يمكننا من تجاوز استهلاك المناهج الغربيّة، وإسقاطها على اللغة العربيّة ونصوصها دون أن نسقّط في الجدل حول مشروعية صواب هذه المناهج من عدمها، فننشغل بهذا الجدل عن البحث والإبداع،

ولذلك كان الأساس في فهم هذه العلاقة، هو البحث عن الإمكانات التي تتيح لنا امتلاك رؤيتنا الخاصة، فنعيد تصويب آلياتنا المنهجية بروح التراث العاقل ونجد لأنفسنا شرعية داخل نسقنا المعرفي وليس خارجه.

وإذا بات التسليم واضحاً بأن نسقنا المعرفي العربي هو نسق نصاني وأن ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية هي حضارة النص، فحري بنا أن ندرس لغتنا ونصوصنا في ضوء هذا النسق المعرفي، وفي ظل ثقافة الوحي التي أسهمت في إنتاج هذا النسق. ومن هذا المنطلق فقط، يمكن الانتباه إلى جملة الموانع المعرفية والتاريخية وحتى الروحية التي تفرضها اللغة العربية لكي لا نقع في التقليد الفج للمناهج الغربية التي ليست سوى نتاج ثقافة الصراع ونسق المادة.

ونتعلم أن المفتاح الأساس في أية معرفة بالتصوص هو لغتها، وأن السبيل إلى لغتها هو التعرف على تاريخها، وهو المبدأ الدينامي الذي تتأسس عليه ولذلك لا نتعجب كثيراً إذا كانت معرفة التصوص وفهمها وتأويلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوقائعها التاريخية وبعناصرها الثقافية، وهي من الأساسيات التي تجعلنا في علاقتنا بالمناهج نفكر في ما تم إنتاجه، وهل أسهمنا فعلاً بإنشاء معرفة تضاهي ما أنتجه الغرب، وقبل ذلك هل أعدنا تقييم ما تم إنتاجه واكتشفنا الحقائق كاملة والتي حاول الاستعمار -عن طريق لغته- إحداث القطيعة مع تراثنا، أضف إلى ذلك جهلنا بأنفسنا في إخفائها عنا... هذا وغيره من المضايقات التي جعلتنا غير مستقرين في مناهجنا، ونتعلق بالمناهج التي قد لا تناسب خصوصيات لغتنا، ونعمل على تطبيقها عنوة، وبذلك لا يستوي الحال. ولعل في مثل هذه الملتقيات نجد فرصة للإجابة عن مثل هذه

الأسئلة والإشكاليات التي تضعنا وجهاً لوجه أمام لغتنا من أجل أن نقيّم أنفسنا، ونراجع طرائقنا في التعامل مع التصوص المختلفة القديمة والحديثة. ونأمل أن يكون هذا الملتقى العلمي العالمي فضاءً للتواصل العلمي الثري.

أيها الحضور، إننا نعيش رهان الحداثة، فماذا نحن فاعلون، وكان علينا القول بأنه لا بدّ من الخروج من اللامبالاة، علينا أن نواجه الاختراق الثقافي ليس بالرفض ولا بالممانعة، وإنّما بالقوّة الناعمة التي تكشف لنا كيفية التماهي مع اللغات بحسن الانتفاع من مناهجها، وبما يضيف للغتنا مكارم حضارتها، بامتلاك التخطيط الذي يختصّ بالممانعة، وبطريقة عدم الاستتباع الحضاري، ونحن نسيطر اليوم على جسر مهمّ هو اللغة العربيّة الفصحى بما لها من إمكانات، وبإمكاننا ردم الهوة التي كانت قائمة بين وجهات نظرنا وبين اللغات المتقدّمة في صورة تشذيب الغلط واستبداله بالصواب، والعودة إلى استكناه زمن التحصيل والتأصيل وزمن العطاء وضرورة الخروج من الاستبداد الفكري الضارب في واقع مجتمعنا والسّعي لبناء أنماط جديدة ومسارات معاصرة، والخروج من عصر التلقين المستبدّ بتصوراتنا ومفهوماتنا لمواجهة انهيار إرادتنا، وعلى العمل العول، وعلى الله التوكّل بمبدأ "أعقلها وتوكّل" وشكراً على حسن المتابعة والإصغاء، ودام العلم في جامعاتنا العربيّة، ومزيداً من البحوث التي تُعلي من جامعة الوصل في اصطياد جواهر موضوعات السّاعة، موضوعات تحمل القيمة المضافة للغة العربيّة التي تحتاج إلى مقام أعلى كلغة أمميّة تقف للتدّ أما تغول اللغات التي خرجت من الجدال اللغوي ومن الإشكاليات التي تتأسّ عليها قواعد اللغة.

هذه كلمتي مقتضبة، وأرجو أنّي قد وفّقت، والسّلام عليكم جميعاً.

التطوع اللغوي[♥]

- **الديباجة:** يسعد المجلس الأعلى للغة العربية أن يحتفي هذه السنة 2021م باليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر ببرنامج جديد يمتد على مدار شهر ديسمبر كله بعنوان (التطوع اللغوي). ولماذا تم اختيار هذا العنوان؟ لأن اللغة العربية الجامعة تحتاج منا إلى مزيد من تقديم الخدمات من أجل تعميمها والعمل على أن تكون لغة العلوم والتكنولوجيا، وتلاحق راهن مستجدات العصر، ولا بدّ من الخروج من الأقوال إلى الأفعال وعدم التواكل، أو انتظار الإجماع أو القرار السياسي، أو التباكي على ماضي مُغدق وحاضر مُقلق... ولهذا يحتاج الواقع اللغوي إلى تقديم أفكار ومشاريع في التطوير اللغوي الذي نأمل أن يأتي من سدنة العربية؛ بالعمل على الاعتراز بها، وحمايتها من كلّ ما يعبث بخصوصياتها، وزيادة الخبرة في تعميمها. وكان حقاً أن يأتي متطوعون يعملون على تعزيز الثقة في ذات اللغة، لتكون لها مكانة في المجتمع، وفي ذات الوقت العمل على غرس مبدأ خدمة المواطنة اللغوية التي تأتي طوعاً، وتحمل أعباء خدمة الشأن العام. وذلك ما يحصل لهم من مكانة في مجتمعهم، وما سوف يتراكم من خبرات أثناء تطوعهم

♥ كلمة رئيس المجلس في أول احتفائية بشهر اللغة العربية، وحديثه عن موضوع (التطوّر اللغوي) وبرنامج المجلس خلال شهر العربية. وقُدّمت هذه الكلمة في: 1 ديسمبر 2021 بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة+ 8 ديسمبر 2021 في جامعة البشير الإبراهيمي في برج- بوعريج+ 13 ديسمبر 2021 في جامعة غرداية+ 16 ديسمبر 2021 المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة+ 22 ديسمبر 2021 مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط+ 10- 11 جانفي 2022 بجامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي.

واستثمار أوقات فراغهم في أعمال اجتماعية تحقق لهم الإشباع المعنوية المختلفة، إضافة إلى الحصول على الأجر الرباني، وبخاصة عندما يتعلق الأمر باللغة العربية التي لها منافع كبيرة دنيوية وأخروية. ونرى ديننا يحث على مزيد من تقديم التوافل وهي من أفعال التطوع ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة 184. ويحث على التنافس في أفعال الخير ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ البقرة 148 ﴿ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج 77 ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ القصص 24 ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَبْقُضَ فَأَقَامَهُ ﴾ الكهف 77... وأن رجلاً جاء إلى محمد ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس. ونرى أن التطوع في الإسلام يؤخذ من الصورة الحسنة التي رسم له سواء من خلال الحث عليه مباشرة أو بواسطة الثناء على المتطوعين باعتبارهم فاعلي خير يستحقون المثوبة من جنس أفعالهم الطيبة.

1- لماذا التطوع اللغوي؟ لقد اختار المجلس الأعلى خيار التطوع اللغوي لمواجهة اللامبالاة اللغوية تجاه العربية، وأن البعض يقول: للعربية ربٌّ يحميها، والبعض لا يراها أولوية... ورأى المجلس الأعلى رفع مواجهة بقانون القوة التامة، وبدافع ردّ الأمور إلى صحنونها، والعمل على تشذيب القدر المشتط المتجاوز من المسألة اللغوية؛ باستحسان وتحبيب وترغيب لا استئصال الأصل الصحيح المطلوب من محتده واجتثائه من جذوره، واعتمد المجلس الأعلى توضيح الفرق بين فقه الواقع والغرق في الواقع، ودعا إلى

التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والتمييز بين المتابعة المتفرجة والمتابعة المنتجة بتفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9. على أن القدسيّة في اللغة تكون بالعمل للغة *Aucune langue sacrée en soi*، وبما أثورنا أعقلها وتوكل لأنّ الوضع الحالي يشهد الاختراق الثقافي الحامل للغات الأجنبية، ولهذا يرى المجلس ضرورة اعتماد الحصانة اللغويّة بأمن العمل، ونعرف أنّ الإنسان كلّما ابتعد عن لغته الأصليّة أصبحت عملية الاختراق سهلة؛ لأنه لم يعد يعرف كيف يتعامل مع جذوره وتراثه، ممّا يؤثّر في عمليّة الاتصال بين الإنسان ومرجعياته. ولهذا يرى المجلس الأعلى العمل بالممانعة والمقاومة في سبيل تحقيق تكافؤ في القوى اللغويّة لإدراك سبل الرّد العلمي، بخدمات التطوع اللغويّ المعتمد على التخطيط اللغويّ المانع من الاستتباع الحضاري. وهنا لا ندعو إلى الرّفص للفضاء اللغويّ الجديد، بقدر ما نقول نتماهي فيه بالانفتاح الندي لا الاندماج الانهزامي المستسلم. ومن هنا؛ فإنّ اللغة العربيّة الفصحى هي سبيل المواجهة للممانعة دون غيرها من اللغات المحليّة، وهي التي تملك الماضي والحاضر والمستقبل. وعليه فإنّه من الأهميّة رفع ضبابية الرّؤية عنها ببحوثكم أيّها الطلّبة وحمائتها دون انهزام نفسيّ، ودون مبالاة. وعليكم الإسهام الفكريّ في واقع لغة المجتمع الجامعة للمجتمع الجزائريّ والعربيّ ولكلّ المسلمين في مساراته بتقديمكم للفصحى السليمة، والخروج من التلقين المستبدّ بتصوراتنا لمواجهة انهيار إرادتنا، وعليكم العول، فهل أنتم جاهزون؟ ولا نريدكم ألا تتقنوا اللغات الأخرى، بل عليكم ضمان انسجامكم الجمعي باللغة المشتركة، مع تفتح غير متوحّش على لغات المنفعة، وللأسف لا نزال نجهل الفرق بين

إتقان الكتابة باللغات الأجنبية، وإتقان الكتابة بلسان أجنبي، أو ليس من المؤسف أن نرى كتاباً نابغين موالين لفكر الآخر؛ يتحدثون بلغة الآخر من أجل اعتراف العالم بهم فقط، ولا يدرون أنهم زائدون في لغة الآخر وناقصون في مجتمعهم. وما هكذا تُعالج الأمور أيها الشباب الجامعي الطّافح الطّموح، عليكم أن تكونوا بلغتكم أو لا تكونوا والعربية هي المعبر الحضاري الذي كانت زمن الانحطاط، فهل تعجزها أزمان التنوير. ولهذا ترون بأنّ شعار اليونسكو بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية ميسمه (اللغة العربية والتواصل الحضاري) إنه لا يعود الأندلس فهو مفقود، ولكنه يشهد على ذلك ما يشهد من مآثرنا وبصماتنا ووجودنا، وهناك كان الأثر الذي لا يزول:

بأربعِ فاقَتِ الأَمصارَ قرطُبةُ منهنّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتانِ ثنتانِ والزَّهراءُ ثالثُهما والعلمُ أعظمُ شيءٍ هو رابعُها

2- **معنى التطوع اللغوي:** يعرف (التطوع) في معناه الاصطلاحي أنه عمل إراديّ طوعيّ نقيض؛ الإكراه وريّيف التبرّع، ويُستعمل في أبواب المساعدات الاجتماعيّة/ الخيريّة. ويقول (ابن منظور) التطوع "ما تبرّع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه". ويقول (الشريف الجرجاني) "اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجبات". إذن هو عمل يُبذل بالاختيار يجلب مصلحةً للغير، أو يَدفعُ مفسدةً عنه، من غير انتظار عَوْضٍ ماديٍّ بالضرورة. التطوع هو الجُهد/ الجُهد الذي يبذله أيّ إنسان دون مقابل برضا وبدافع الإسهام في خدمة الشّأن العام. وارتبطت الكلمة في نشأتها بمبدأ مساعدة المحتاجين، ثمّ كانت لها

وظيفة دلالية يجمع الإمدادات والترفيه عن الجنود والاهتمام بالجرحى، كما حملت معاني الإغاثة/ تأسيس جمعيات خيرية تطوعية. وتحمل في عمومها مداليل الإيثار وتضميد الجرحى، وجبر الخواطر، ومساعدة الفقراء بمساعي تطوعية؛ بغرض تحقيق بُعد السلام والتساوي في الحقوق. ثم شهد (التطوع) تطورات عديدة؛ حيث ظهرت منظمات وطنية/ إقليمية/ وطنية/ محلية ذات برامج تطوعية على شكل مؤسسات خيرية تضمن التواصل بين المحتاجين وبين الراعين. وهناك أنواع كثيرة للتطوع على غرار: التطوع لخدمة الحي/ التطوع الافتراضي/ التطوع البيئي/ التطوع التوازلي/ التطوع التعاوني/ التطوع التدريسي... وأما (التطوع اللغوي) فهو يستند على مهارات خاصة ومواهب لتقوية الأساس اللاربي في القيام بالعمل اللساني، وإعمال الجهود العضلية/ الفكرية من أجل حماية الجانب الهوياتي والذاكرة؛ وهو خدمة طوعية في صالح المواطنة اللغوية؛ بتسخير كافة الطاقات الذهنية/ البدنية من أجل خدمة لغة ما. وعادة تكون اللغة الوطنية المشتركة، أو تلك اللغة التي تسعى لنيل مقام الترسيم/ التهيئة، وهذا دون مقابل مادي. ونرى من هذا أنّ التطوع اللغوي خدمة عمومية تُقدّم من أجل الرّفح باللغة بغيّة نيل مقامها/ كتابتها/ تطويرها/ تهيئتها/ جمع موادها/ وضع التطبيقات/ تأسيس مجموعات واتسابية... بهدف تقديم خدمات لغوية على غرار: تصحيح الأخطاء/ تقديم الدّروس/ تقديم المشاريع/ الإعلان عن المسابقات اللغوية/ تقديم أفكار أو مقترحات بخصوص قضايا اللغة/ الإسهام في المشاريع القصيرة أو الطويلة المدى بخصوص اللغة/ اقتراح أنماط كتابية/ نماذج في تطوير لغوي ما/ تأسيس يوتيوب في تقديم دروس مجانية/

الإسهام في حملات تطوعيّة في تعميم استعمال اللغة في الإدارة أو الإعلام وكلّ ما يجمع الشّان العامّ، واللغة من الشّان العامّ... ويكون التّطوّع اللغويّ بروح إنسانيّة تعاونيّة بين أفراد المجتمع / جمعيات مختصّة، ووراءها مريدون متطوّعون يريدون فعل الانتصار اللغويّ من أجل سدّ ثغرات طرح أفكار التّشّتت أو ما يثير قلقاً في المجتمع في مراجعة الذات أو التّخلّي عن المرجعيّات المشتركة، أو مسح الماضي وفي كلّ مرّة نبدأ من جديد، وذلك ما لا يؤسّس للحضارة. وأما المتطوّع شخصٌ يُسخّر نفسه لدرجة الالتزام لتحقيق المطلوب في مجال اللغة؛ بحيث يُطوّع نفسه من أجل خدمة مجائيّة بطريقة من طرائق التّطوير اللغويّ؛ سواء بنشرها أم تعليمها أم تقديم خدمات لغويّة للآخرين في مقامات شتى.

3- أهميّة التّطوّع اللغويّ في مجتمعنا: تكمن أهميّته في تخفيف العبء عن الجهود الحكوميّة؛ حيث يُوقّر الجهد التّطوّعيّ موارد كثيرة إذا ما قام به موظّفون متخصصّون للتّعبير عن احتياجات المجتمع بالمجان، إضافة إلى غرس عمليّة الشّراكة الجمعيّة؛ فكلّ فردٍ يدرك أنّه شريكٌ في تحقيق أهداف المجتمع في تبليغ رسالة اللغة التي هي القاسم المشترك التي تحتاج إلى خدمة دون مقابل، أضف إلى ذلك ما يتولّد عند المتطوّعين من وازع دينيّ وإيثاريّ وتحسين المستوى اللغويّ، وتعلّم واكتساب خبراتٍ ومهاراتٍ جديدة، وملء الفراغ وما يتبع ذلك من أسباب اجتماعيّة تتعلق بخدمة ما يتعلّق به المجتمع، وهي اللغة الجامعة التي هي تاريخهم ووطنهم وشخصيتهم وماضيهم ومستقبلهم. وهناك من انتقد ظاهرة التّطوّع اللغويّ في وقتنا المعاصر كون العمليّة تركز على الفنّ والعلم والفقه والدراية التّامة، وتحتاج إلى مُتخصّصين لا إلى

متطوعين، فلم تعد اللغة العربية بحاجة لمتطوعين يعرفون بها على غرار صدر الإسلام عندما كثرت المتسبون للدين الإسلامي من غير العرب الذين يحتاجون اللغة لكثرة المستعملين لها، فهم بحاجة إلى كثرة المتطوعين لينشروا اللغة العربية. أما اليوم تحتاج لمتطوعين متقنين لفنون العربية، وتقديم الخدمات فيها وبها من أجل إنتاج الأفكار المضافة، وبناء المشاريع العملاقة، واحتساب عمليات التدية مع لغات العلم، واللغات الأمية.

4- التطوع اللغوي لدى المجلس الأعلى للغة العربية: هي نزعة تعبدية

عمليات تفاعلية من أجل جلاله الملكة اللغة العربية التي تتطلب صحة الإيمان، وإخلاص النية، وبرنامج عمل، ومريدين، ونظرية نسقية تقوم على البعد الزمني والمكاني. تلك هي أبعاد مشروع التطوع اللغوي في احتساب عمل المجلس الذي يملك المنهجية النسقية، وإرادة العمل الاحترافي؛ بسطة خدمة اللغة العربية بمهارة تُترجم إلى مبادرات وجهود فردية/ جماعية. هي أجراء لعمليات متقنة لعملها؛ تُسهم في تقديم خدمة ملائمة للغة العربية ومعالجة تحدياتها، واستغلال فرصها دون انتظار منفعة مادية، وهذا باستكناه مختلف مجالات التطوع، وتلك التجارب العربية في مجال التطوع اللغوي والتجارب الدولية، ثم المجالات التطبيقية والاتجاهات حيال هذا الموضوع.

إن التطوع اللغوي في عمل المجلس الأعلى مكرمة مبدعة عن جزء من الذات لصالح الغير من أجل خدمة لغوية، وهذا من خلال الإسهام في مشاريعه الكبرى على غرار: الموسوعة الجزائرية + معجم ألفاظ الحياة العامة + اللغات الوظيفية + إنجاز أدلة في مختلف الاختصاصات + بناء معاجم

والقواميس + تنشيط ورشات تطوعيّة في تطبيقات حديثة في التعليم وفي الهندسة اللغويّة وفي الألعاب اللغويّة، وجمع مدوّنات من المسموع اللغويّ وتحويلها للمكتوب، وتصحيح الأخطاء، وسبر الآراء، وكلّ ما يدخل في عملية تعميم استعمال العربيّة؛ اللغة المانعة الجامعة... وهذا ما يمكن الحديث عنه من منجزاته الكبرى التي تحقّقت والتي في طريق التحقيق، بالاعتماد على مُريدين/ مُتطوّعين أخذوا على عاتقهم هذه المشاريع يُنجزونها فرادى/ جماعات عن قُرب أو عن بُعد، وقد ترسّخ في ذهنهم شرطٌ أساسيّ؛ وهو خدمة العربيّة (لغتي الجميلة) مجاناً؛ بالإسهام في طرح الأفكار المتجدّدة، وجمع المعلومات، والكتابة في المجالات اللغويّة والأدبيّة والعلميّة، وتنقيح محتواها إضافة إلى تقديم الاستشارة المختصّة في الجوانب العلميّة/ التفسيريّة/ التربويّة/ اللغويّة، وإبداء حسن النصح والاستشارة، وكلّ ما له علاقة بالجوانب الفنيّة، وفي أعمال الترجمة الشخصيّة أو الآليّة وكلّ أشكال التّواصل، دون انتظار القرار السياسي وهو موجود في المادة الثالثة من الدّستور، ولكن علينا العمل على إعداد أروضيات معرفيّة لغويّة وأدبيّة وعلميّة لحسن تطبيق المادة الثالثة دون قلاقل وبلا ضجيج، ودون إقصاء للغات الوطنية التي هي إرثنا المشترك نستفيد منه في مواقع استكمال ترخيص اللغة المشتركة، ولكن لكلّ لغة مقامها الذي تصلح فيه. ولهذا ترون أنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة سطرّ برنامجاً طموحاً من خلال (شهر العربيّة) مع مختلف الشّركاء لتقديم أفكار ومشاريع في تطوير العربيّة لتعود إلى مجدها وتزداد تألقاً، وإليكم هذا البرنامج الذي يُنجز احتفاءً باليوم العالميّ للغة العربيّة 18 ديسمبر 2021م، وبشهر العربيّة:

التطوع اللغوي

التاريخ	المؤسسة	الموضوع المتناول	المكان	الملاحظات
28-29 نوفمبر 2021	كلية الآداب والفنون ومخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب.	منجزات المجلس الأعلى للغة العربية- بين الواقع والمأمول.	جامعة حسبية بن بو علي، الشلف	ملتقى وطني
01 ديسمبر 2021	مخبر الدراسات اللغوية والتطبيقية.	التطوع اللغوي.	ج. محمد بوضياف، المسيلة.	ملتقى وطني.
5 - 6 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات.	أحمد صافي المستغامي - مسار ومنجزات -	ج. عبد الحميد بن باديس مستغام.	ملتقى دولي.
08 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات.	التطوع اللغوي: مفاهيم وإجراءات.	ج. البشير الإبراهيمي. برج بو عريج.	ملتقى وطني.
09 ديسمبر 2021	المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي	اللغة الوطنية المشتركة والتنمية الشاملة المستدامة.	المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي	ملتقى وطني.
12 ديسمبر 2021	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	دور الجمعيات الثقافية والعلمية في التطوع اللغوي	مكتبة الحامة.	ملتقى وطني.
13 ديسمبر 2021	كلية الآداب واللغات	التطوع اللغوي: تجارب عربية ناجحة.	ج. غرداية.	ملتقى وطني.
15 ديسمبر 2021	مخبر الممارسات اللغوية	الصرف اللغوي في الفكر اللساني الحديث.	جامعة مولود معمري بتيزي- وزو	ملتقى وطني.
16 ديسمبر 2021	خلية ضمان الجودة.	التطوع اللغوي: تجارب جزائرية ناجحة.	ج. عبد الحفيظ بوالصوف. ميلة.	ملتقى وطني.

18 ديسمبر 2021	الاحتفاء الرسمي باليوم العالمي للغة العربية	محاضرات حول عالمية اللغة العربية	مقرّ المجلس الأعلى للغة العربية	ملتقى دولي.
19 ديسمبر 2021	المحقيّة الثقافيّة السعودية	ندوة حول اليوم العالمي للغة العربية	مكتبة الحامّة	ندوة.
20 ديسمبر 2021	جمعية رؤى الثقافيّة.	دور الإعلام في نشر العربية	بلديّة برهوم. ولاية المسيلة	لقاء محليّ.
22 ديسمبر 2021	مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة.	التطوّع اللغويّ في الحضارة العربية.	ج. الأغواط.	ملتقى وطنيّ.
25-24 ديسمبر 2021	المكتبة الرئيسيّة لولاية بسكرة	التطوّع اللغويّ	ج. بسكرة.	ملتقى وطنيّ.
27 ديسمبر 2021	المجلس الأعلى للغة العربية	توزيع الشّهادات على الفائزين في جائزة المسابقة الشعرية حيي للغة العربية	مقرّ المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر	
30 ديسمبر 2021	مخبر الدّراسات المعدّدة في تعليم وتعلّم اللغات.	اللغة العربية وإجرائيّة الحوسبة الرقميّة، تجربة المجلس الأعلى للغة العربية.	ج. أحمد زبّانة، غليزان.	ملتقى وطنيّ.

احتفائيات ذات العلاقة خارج شهر ديسمبر 2021. وتكون في شهر
جانفي 2022م.

مدينة أم البواقي	اللغة العربية والتواصل الحضاري	المكتبة الرئيسية	9- جانفي 2022
جامعة أم البواقي	التطوع اللغوي: تجارب عربية	كلية الآداب واللغات	10 - 11 جانفي 2022
دولة قطر	عالمية اللغة العربية	اللجنة الوطنية، وزارة التعليم القطرية + وزارة الثقافة القطرية.	22 جانفي 2022

وهكذا يأمل المجلسُ الاعتماد على أصالة (التطوع اللغوي) الذي نروم أن يخرج بمجموعة من الأفكار والمشاريع التي تبني هذه المكرمة التي نالها هذه السنة؛ بإضفاء الرعاية السامية من السيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) وأن الدولة الجزائرية تُقدّم الخدمات اللائقة من أجل حُسن تعميم استعمال العربية. وبكلّ هذا الدعم المادي والمعنوي نرى وزنَ العربية يزيد تمكينها في المجتمع الجزائري للوصول إلى مآلات المطلوب من هذه اللقاءات مع المُختصين والباحثين والطلبة والمجتمع المدني؛ لتحقيق تكاملٍ تطوعيٍّ بين اللغة والدين والمجتمع بدالاته الثلاثة: لغة الدين + لغة الدنيا + لغة الدولة هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يسعى المجلس الأعلى من خلال مقترحات هذه اللقاءات بناء مفاهيم في علاج القضايا اللغوية عن طريق التطوع واقتراح منهجيات التطوع اللغوي بمفهوم بذل الجهد بزيادة عن الفرض والواجب، وكيفية تحمّل المضايقات من أجل تحقيق لزومٍ أصليٍّ ولا إلزام

طارئ، والسعي وراء تحقيق عمليات الانتشار اللغوي للعربية مهما حصلت القطيعة أو التكيفة أو المعاندة أو ما كان في حُكم الممانعة. ويعدكم المجلس الأعلى أنه سيجري دورة تقييمية حول نتائج هذه الاحتفائية الشهرية للاهتمام بتحسين أدائها في لاحق من أعمالنا بتطوير فكرة (التطوع/ التبرع) من أجل العربية، لتكون مقصداً وطنياً وعربياً وإسلامياً عبر المؤسسات ذات العلاقة، على طريقة أصول الفقه، ما لا يفهم به الواجب فهو من الواجب بأن يكون المقصد اجتماعياً بامتياز، بالشراكة مع كل الفاعلين في خدمة العربية. ونرجو أننا بهذه المنجزات الأولى التطوعية نكون قد أسسنا قاعدة ابتدائية في خدمة العربية بمفهوم التضامن/ التعاون/ التبرع من أجل مصلحة مشتركة عمادها العربية الفصحى لغتنا الجميلة الراقية، لغة القرآن الكريم لغة لا تنقرض، لغة المستقبل التي لا تموت، فأنعِمْ بكلّ خدمة تُقدّم لها! دون أن ننسى أنّ التطوع شخص لا يموت؛ بما يتركه من بصمات مجانية في هذا التضامن اللغوي، فيبقى من الذين يُلقَّبون بالرجل الصالح الرشيد: صالح ورشيد مع ذاته، صالح ورشيد مع مجتمعه، صالح ورشيد مع لغته، والله في عون العبد؛ ما دام العبد في عون أخيه.

دور أمحمد الصافي

في بعث المعجم التاريخي^٧

أيها الحضور الكرام، أردتُ أن أقدم أمامكم شهادات عرفان، لشخص له علينا من الفضل كثران، وجدير أن ينال الأوسمة بالفيضان؛ من جامعة عبد الحميد بن باديس الشهران، بمعية المجلس الأعلى للغة العربية يصطحبان ومن الأساتيد الذين كتبوا مقالات بالسلطان، ومن هؤلاء الحضور القوي لمتابعة أعمال الملتقى الدولي (أمحمد صافي المستغامي: مسار ومنجزات) باحثون شيوخ وشباب يلتقيان. ورأيت أن أقدم الكلام الوافي في السيد الصافي؛ الذي كان سبباً في بعث المعجم التاريخي. معجم كان مشروعاً ينتصر، وبقي في أبراج الجامع محتضراً، وأضحى حُلماً يُنتظر. وانقلب السحر على الساحر وجاء الرجل المنير، بحسن التدبير وبما أحاط حوله من جماعة التفكير. وأخرج الملف من مغلاق الأبراج وأعمل فيه البصر والبصيرة بالعلاج، وها نحن نشهد الحل لمشكلة المعجزة، وما كان من الخيال أضحى حقيقة. إن الفضل لدور هذا الشيخ إنه الأستاذ (أمحمد الصافي) المستغامي الذي ينال اليوم التكريم، لفعله السليم، وهو أهل لكل تسنيم.

^٧ ألقى الكلمة في الملتقى الدولي (أمحمد صافي المستغامي: مسار ومنجزات) تنظيم جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، في إطار (شهر اللغة العربية) بالشراكة مع المجلس الأعلى للغة العربية في جامعة مستغانم، بتاريخ 5 ديسمبر 2021م.

وأريد في البداية تذكير الحضور؛ بأنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بمعيّة المجلس الإسلامي الأعلى أنجزا ملتقى حول (الأدب الصّوفي) وكان (الصّافي) من المسهمين، وقدّمته بما يلي: ((أبدأ بأحمد الصّافي، وهو من أهل الصّوفي وقد ضبطتُ كلماته من برنامج (في رحابِ سورة) الذي نشهد له بمخالفاته لثنائيات السّامرائي، ومخرجات إيجاز البيان للصّابوني فهو نسخة من فذلكات (الصّافي)، وأنعم به من البرنامج الشّافي!

أيّها الجمع الكبير، لقد بصرتُ بأننا نملك عقلاً جزائرياً مهاجرأ، يجول في القرآن بالمحجّة، ويردّ على غير أتباعه بالحجّة، ولما اطلعتُ على سيرته العلميّة، خطرتُ ببالي المقامة العلميّة، والتي يقول فيها صاحبها: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كنتُ في بعض مطارح العرّبة مُجتازاً، فإذا أنا برجلٍ يقول لآخر: بم أدركتَ العلم؟ وهو يجيبه قال: طلبته فوجدته بعيد المرّام، لا يُصطاد بالسّهام، ولا يُقسّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبط باللجام ولا يُورث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسّلتُ إليه بافتراش المَدَرِ واستنادِ الحجّر، وردّ الضّجّر، وركوبِ الخطر وإدمانِ السّهَر، واصطحابِ السّفَر". فرأيتُ هذا الوصف - يا أحمد - يليق بكم، بما تجشّمتم من مضايقات طلب العلم في ماليزيا وفي أمريكا وفي كثير من بلاد العرّبة. وبعد خروجكم من وهران، حصل لكم التألّق بالأتعاب ومسحتم الصّعاب، وبذلك نلّتم الإعجاب، وإثرها كان لكم المقام، وأنتم جديرون بكلّ المهام)).

وفي هذا اليوم إخواني، ألقي عليكم مقامةً شينيّة، في حقّ هذا الرّجل الشّهامي؛ واخترت قاعدتها حرف الشّين؛ لما له من تصدّر الحروف الشّمسيّة، ولمواصفاته الحاملة للهمس والرّخاوة والاستفال والانفتاح، وله

صفة التفشي قوية لا توجد إلا فيه، ولما لدلالاتها الحاملة للشموخ والشيم والشعب والشباب والشدة والجياشة والشيبة والجأش والشجاعة والشدو والشغب والشأن والشنونة، وغيرها مما يأتي من مشاكلات الشين، وتعمل على بلاغة تشخيص الحرارة الشعرية الشبكية الحاملة للانتعاش، في مدرج وسط اللسان. كما وردت قوتها في شعر العرب القدامى، وهم ينافحون عن الشهرة، ويقولون:

شمسُ شخصِكْ شُهْبٌ شِعُ شَمَائِلٌ مِثْلَ شَامَةِ شَمْعِ شَائِلِ

وكما ورد في طرائف الأعشى:

وقد غَدَوْتُ إلى الحانوتِ يَتَبَعُنِي شَاوٌ مِثْلُ شَلُولٍ شُلْشُلٌ شَوْلٌ

أيها الصافي؛ هي شينئة التشريف لشخصكم الشديف، في ما أشعتم من استبشار الجذور؛ التي شاطرتم بها زملاءنا في المعجم التاريخي؛ الذي تجشتمتم نشاطه في تقييس ما أشيع وما أهمل، وتقريش إحياء الشباب في مشمول حروف العربية المحشية بالمستعمل والمهمل، في وحشات الكتب الصفرء الشحيحة، وتشاطرون غشيان الشارد في وحشته، وتعملون على إشراق شمسه؛ حتى تعود إلى مشرح الاستعمال لا شالك، بل شاف. ويأتي هذا المشروع شارحاً؛ يغشاه البشر بشهادة الشهد، وبتباشير الرشد، لا يحمل المشاحنة، ولا يُشظي الأبطال، فشرفاً للشيخ الصافي شرفاً، وشغفاً بعملكم كاشفاً.

أيها المحتفى به، إن الأخلان شاطرونا مُنعش الشراب من مُدوناتك، بما أعملوا فيها من سُعلات البحث في ما شهدوه في عالم هو أنتم البائع

المشترى؛ وأنتم الشُّرَاعُ المهتدى، وقالوا أشياءهم في باحث اشتدَّ عودُهُ فنفعَ وشفعَ وشتَّفَ. ونحن من هذا المكان، نشكر لكم ما حملتموه من شعلة الحلم التي بدأت تتحقَّق بالإشراق والعشِّي، في المعجم التاريخي الرَّشي وقد أصبحت له شيخاً منتشر الإشارات، بكثير من التَّشاطات. وأنا واحد من شهدِ شهد الأشياء المنتظرة؛ منذ ما يقرب من قرن، من (فيشر / Fischer) والحلم لم ينتشر، والآن نُبشِّر أنفسنا بقدوم البشائر، والإشادة بمنجزنا الذي كنتم وراءه؛ تستشعرون سموه الأستاذ العالم المؤرِّخ (سلطان القاسمي) وترفعون له كلَّ التَّباشير بأن يكون وراء المشروع، فكان له شفيعاً؛ بأنَّ أغدق عليه وأشفى. وإنَّ المجلس الأعلى يرفع لسموه آيات الشُّكر، ونسأل الله أن يُعلي شأنه، ويُنعشَ ويُشمخَ في عرش الرَّحمن، فسيكون له بشيراً وشفيعاً يوم الحشر، وتغشاه شآبيب الرَّحمة يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه، وتشرق شمسُه التي تشيع بشائره. فأبشِّر يا سموَّ الأمير، إنكم أتقنتم فنَّ التَّرقيش في مهام التفتيش ورفع التَّهميش، عن عربيَّة التأسيس إلى عربيَّة التأسيس فلکم بالغ المقام، يا صاحب الشَّان الهمام.

الأخ العزيز (أحمد الصَّافي) إننا نستشعر صِدقكم، وما تقومون به في استصحاب هذه الجيوش الباحثة في مشروع الأُمَّة؛ المُبشِّر بالتَّشعر المكاشر وأراه قريباً حاملاً شعلة سدِّ الشُّغور، الذي مسَّ شجرة العربيَّة في جذورها وأفنانها وشعابها. وإننا ندين بالشَّهامة لكلِّ أصحاب الشُّعور بالمهمَّة، وأنتم على رأس كشافه شؤون الشَّان العام، الذي شدتتم به لم شمل الأُمَّة، في اجتياز شُعب المعجم، بمشعل يربط الشُّعور، ويسدِّ الثُّغور، في كلاله الشُّغور. كلام كثير استوحشتُ حواشيه، ولكني أدركتُ أنَّ المهمَّ في هذه المهمَّة؛ أنكم

تفرغتم بشغف المرّبي للمعجم التاريخي، واصطفيتم بشعار المرشد التنفيذي بما جمعتم من مجالات التشظي؛ الذي لم تسطع كثرة عشائر بني قومنا من الغاشي، بما قشّموه من كلام وتنظير دون قشيّ وبقي شاقاً في مهبّ الحشا دون أن يكون له مقسّم الشفّرات الشّماء، فركبتم الصّعب مستبشراً الطّريق تصنعه الأقدام، وانطلق القطار دون صفارة الإقدام.

فيا أيّها الحضور، لقد انطلقنا، ولقد شغلتنا الجذور، وكذلك شغفنا بالجذور المنجزة، ونيفت الثلاثة آلاف وخمسمئة (3500) وتتواصل المسيرة لتحقيق تقيّميش مادة السّت عشرة ألف وثمانئة (16800) الباقية. والعهد على الراوي؛ الذي كان شاهداً على مشاهد الشّرف الذي ناله الفريق الجزائري، في الحفر الأفقي والشّاقوليّ لاستسهال التّشفير والتّعمية التي انغلقت عليها جذور الشّواهد في عصورها الخمسة الخوالد. وفي كلّ هذا نرى (الصّافي) يُشاطر إخواننا وحشة الشّواهد: فكّ تعمية، وإعمال تحشية وتبليغ توشيح، وتجسير تشبيك، وذلك ما وحد الممشى الذي شاعت منه البشري. وبقدر ما كنت تعضد الفريق الجزائري بالبشري، يمتدّ ذات التعضيد إلى تقديم التّأشير لفرق الوطن الكبير في الورش، وهم حشد من الجيوش بالكثرة التي عملت على اشتغال عامل التّبش في البحث عن الاشتقاق الذي يشدّ المعاني بالشّد، وكان أن أفيدوا من استشارات أشراف الدليل الاسترشادي، لمدايل تدبير أرومة التّشجير، من ساميات وعروبيات وعربيات وغربيات وشرقيات الماضي والحاضر. فأنعم بكم يا رجل! فأنت أمة، والرجلُ الهمة، وأنّ شهامتك تطيش كلّ مشاجرة، بما جمعت عليه الجماعة، ولم ترتخ أو تشقى.

شكرنا الباحث الصافي، الذي قدّم الحلّ الشافي، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله بالوافي، وسنشكر لكم القدوة، بما لكم من قدرة، ومهما تجيش نفسي عن الشكر؛ فليس الشأنُ فيها، ولا في وحشة النفوس إلى أبدانها، بل إلى تشجيعها والاهتمام بها، والنفوس تتوق إلى عُشّها، وإلى من يرفع الغشاوة عنها وكلّما يلكؤها الزّمان؛ فحينها لأولّ عشٍّ. وهنا وُلِدَ هذا السّبيلُ الذي أضحى شدّقماً شكّم الأشداخ. ها قد عدت، وأنت في مقام الشّهامة والتّسامي والإشعاع، عدت وأنت ورشةٌ تحمل شمعدان مشعل شفاء العرب في مريضهم الذي بقي في فراش مشاعر الآمال، وعلى شاطئهم مركبٌ ينتظر التّشور وبفضلكم جاءت المشورة، ونأمل أن تكون إشراقة، ونخرج من أزمة الكسلان التي لحقت أمة القرآن، ولم تدوّن لمعجمها الشّهان. ويا أيّها المستغامي الشّهام أراك علوي الشأن، وهي مشيخة الكبار الذين تشتاقتهم الجنة بالأشجان ونسأل الله لكم بسطة عمر الشيوخ، لتوصيل المهمة بالشموخ، وأنتم اليوم في هذا المدرج الذي يزخر بالشباب، وكلّ منهم يجلو غشاوة الأبواب، علّه يسهم في مشروع القرن، وتبليغ العريّة لشاطئ الأمان. وفي هذه البلدة الجميلة؛ بلدة جلاله الصّالحين والعالمين والشّطار الفالحين وبلدتكم هذه ترفع رأسها بكم وأنتم أهل لهذا التّكريم الذي تتوشّحون بوسام بلد الخشوع والعيش معاً بسلام، وفي جامعة الشّعاع ابن باديس الهمام والمجلس الأعلى للغة العريّة بقصد المهام. مبارك عليكم هذا الوسام مبارك علينا تيجان التّيشان أيّها الكرام ومزيداً من قطف ثمرات أهل الشّهامة والشّهادة والشّجاعة والحياشة، وكلّ ما يوحي به حرف (الشّين) من التّرفّع عن الفِعْل المُشِين، وأختم بالسلام بشعار المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركائه.

كلمة في عبد الملك مرتاض[♥]

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ بَأَثَارِهِمْ إِفْتَنَى؛ أَمَا بَعْدُ:

ليس سهلاً عليّ أن أقول شهادةً وافيةً في مقام من مهّد لي طريقاً لهذا المكان الذي أوليته بعد أن وضع (عبد الملك مرتاض) أسس التأسيس للمجلس الأعلى للغة العربية، وكنت عضواً في لجنة لها مواصفات القلب للجسد، وكان يقف بجانبنا حاثاً على شدّ الهمة للوصول بالعربية إلى برّ الأمان، بما كنّا نقترحه من أفكار، في صناعة التدبير؛ لعربية التنوير. ورأيت من خصال الأدب ممثلة في شخص الرئيس بما هو من الإبداع في صور لا تدخل في الاتباع. ونال من نفسي ذلك منال المريد، وأحسب أنّها من شخصي من المستزيد. تلکم هي المقامات الأول الذي حصلت لي بها الرعاية، وكانت أحد فروع الجراحة التي جعلتني أقول هذه الكلمات البسيطة. ومع ذلك أقف موقف المهاب لجلال ما يقال في حقّ رجل مهاب الجانب عظيم الأثر. ولذا تروني أقولُ بعض الكلام وأنا خاوي الوفاض، لا أمليكُ بلغة رصينة، وبضاعتي ليست مُزجاةً، لأجود بما في جعبتي عن شيخنا وأستاذنا (عبد الملك مرتاض) ونعتزُّ به ونرفعُ الهامات، ذلك ما يجب علينا قوله والاستفاضة فيه أمان علامة جهيد من جهادة اللغة والأدب. فلا أحد

♥ الكلمة التي سجّلها الرئيس لصالح قناة الشروق الجزائرية في 6 ديسمبر 2021، بجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، على هامش أشغال الملتقى الدولي حول (أحمد صافي المستغانمي - مسار ومنجزات-) تنظيم مشترك بين المجلس الأعلى للغة العربية وجامعة مستغانم.

يَعْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ الْمُنْزَلَةَ السَّامِيَّةَ، وَالذَّرْوَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تَبَوَّأَهَا أَسْتَاذُنَا فِي السَّاحَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْجَزَائِرِيَّةِ، فَكَيْفَ لَا يَظْفَرُ بِهِذِهِ الْجَائِزَةَ وَهُوَ مَنْ يَسْعَى بِالْعَا بِيَهْمَتِهِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ خَاطِبًا لِنَفْسِهِ أَسْنَى الْمَطَالِبِ، مُسْتَقِرًّا فِي أَرْفَعِ ذِرْوَةٍ، مُتَمَسِّكًا بِأَوْتَقِ عُرْوَةٍ، عَرَفَ لِلْعِلْمِ حَقَّهُ وَفَضْلَهُ وَسَلَّكَ بِهِ طُرُقَهُ وَسَبَّلَهُ، نَظَرَ فِي سَيْرِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، وَتَتَبَعَ آثَارَ مَنْ سَلَفَ، وَتَقَلَّبَ فِي مَجَالِسِ الْحِكْمِ، إِلَى أَنْ صَارَ نَسِيحَ وَخَدِهِ، وَقَرِيحَ دَهْرِهِ.

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْإِحْتِفَاءِ بِالْمُحْتَفَى بِهِ سَلَفًا أَسْتَاذُنَا الدُّكْتُورُ (عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاض) وَهُوَ يَفُورُ بِجَائِزَةِ (الْعُوَيْسِ الثَّقَافِيَّةِ) فَمُبَارَكٌ لَهَا بِهِ، فَهِيَ لَمْ تَضِلَّ طَرِيقَهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى مَنْ هُوَ حَقِيقٌ بِهَا، إِنَّ جَائِزَةَ الْعُوَيْسِ كَانَتْ مِنْ نَصِيبِهِ، وَيَسْتَحِقُّهَا مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ، وَقَدْ جَاءَتْهُ نَسْعَى مُتَأَخِّرَةً، وَفَتَحَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ لَهُ وَلِلْعَالَمِينَ: هَيْتَ لَكَ مَعْتَدَةٌ.

لَا يَسْعُنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا أَنْ أَسْجَلَ الْإِعْتِرَافَ بِفَضْلِهِ عَلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عُمُومًا وَالْجَزَائِرِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَأَنُوهَ بِجُهُودِهِ الْقِيَمَةِ، إِذْ لَا تَهْمُنَا هَذِهِ الْجَائِزَةُ بِقَدْرِ مَا يَهْمُنَا الْأَثَرُ الْفِكْرِيُّ الْعَمِيقُ الَّذِي تَرَكَهُ هَذَا الرَّجُلُ الْفَدُّ بِقَدْرِ مَا يَهْمُنَا الثَّرَاثُ الْمَعْرِفِيُّ وَالْفِكْرِيُّ وَالْمَنْهَجِيُّ وَالْأَكَادِمِيُّ الَّذِي خَلَّفَهُ هَذَا الرَّجُلُ فِي رُفُوفِ الْمَكْتَبَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْجَزَائِرِيَّةِ، فَقَدْ كَتَبَ فِي مُخْتَلَفِ الْحُقُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ؛ نَظَرَ لِلأَدَبِ الشَّعْبِيِّ، نَظَرَ لِلتَّقْدِ، وَنَظَرَ لِلْبَلَاغَةِ، وَنَظَرَ لِلرُّوَايَةِ وَالسَّرْدِ، وَنَظَرَ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَتَبَ فِي جَمَالِيَّاتِ الْجَمَالِ، أَلْفَ فِي مَجَالِ نَظَرِيَّةِ الْقِرَاءَةِ وَتَحْلِيلِ الْخُطَابِ، وَغَيْرَهَا مِنْ الْحُقُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْمُتَنَائِرَةِ الْمُتَنَاقِحَةِ.

هي أبحاثٌ أنيقةٌ، وأنظارٌ دقيقةٌ، وتقريراتٌ رائقةٌ، أفرعٌ في تحصيلها جهدهُ، وبدلٌ فيها وكدهُ وكدهُ، كُتبٌ حوتِ العلومَ النافعةَ، من الأديياتِ واللغوياتِ، وبرهنَ بمقدماتها نتائجها، ودلّلَ صعايها، كُتبٌ مهذبَةُ الفُصولِ مرتبَةُ الفروعِ بعدَ الأصولِ، لا تُوجدُ إلّا بالتأملِ الطويلِ والتصفحِ الكثيرِ فقدُ وفقتُ على بعضِ هذهِ المُصنّفاتِ؛ فوجدتها تدلُّ على تبحره في الأدبِ وتمثله في التقدُّ، إذ لا نجدُ له أثراً في كتاباتِ غيره من نقادِ الوطنِ العربيِّ قاطبةً، فعلى لسانِ يوسفِ وجليسي أقولُ: "عبدُ الملكِ مُرتاضُ هذا الرجلُ أحدُ الأحدين، ناقدٌ شديدُ العارِضةِ، راجحُ العقلِ، طافحُ القلبِ، مُجَنِّحُ التفكيرِ، مُتَفَتِّحُ التعبيرِ، من ذا الذي يُراودُ العريَّةَ على جدليتهِ؟ من ذا يعشقُ لغةَ الله كما يعشقها عبدُ الملكِ مُرتاضُ؟ أليسَ عبدُ الملكِ مُرتاضُ من تَعْنَى كَمْطَرِبِ أويراليِّ بعظمةِ اللغةِ العربيَّةِ في كتابه نظريةُ اللغةِ العربيَّةِ؟". ...

وإذا تحدّثتُ عن اللغةِ المُرتاضيةِ أقولُ: إنَّ كَلِمَاتِهِ حَاضِرَةٌ فِي ذَاكِرَتِنَا بِجَمَالِهَا وَطَرَفَتِهِ وَعَمَقِ مَعَانِيهَا، تِلْكَ اللُّغَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ سَلِيمَةُ الْبِنَاءِ، اللُّغَةُ الْفَنِّيَّةُ جَمِيلَةُ النَّسِيجِ، لُغَةٌ أَسْرَةٌ الْوَقَى مُنْسَابَةٌ كَالْمَاءِ التَّمِيرِ، وَمَرْمَرَةٌ الْحَرِيرِ... وَنَحْنُ نُصْغِي إِلَى هَمْسِهَا نَسْتَحْضِرُ بِهَا عِبَقَ اللُّغَةِ الْفَنِّيَّةِ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِأَنْعَامِ حَرْفِهِ، مِنْهَا حَرْفٌ تَوْضَأٌ وَاحْتَرَقَ حَرْفٌ تَلَوَّنَ بِالْحَيَاءِ... وَالتَّمَأْمُلُ فِي لُغَتِهِ يَجِدُّهَا مِنْ مُسْتَحْسَنِ اللَّفْظِ، وَبَارِعَ الْعِبَارَةِ وَنَاصِعَ الْأَسْتِعَارَةِ، وَرَوْعَةَ التَّنَاسُقِ، وَقُوَّةَ الْأَسَالِيبِ وَالتَّرَاكِيِبِ؛ فَقَدْ تَعْنَى بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَرَامَ الْإِفْصَاحَ بِهَا، وَبَلَغَ دَرَجَاتِ الْإِثْقَانِ وَالْجَوْدَةِ فِي التَّعْبِيرِ، فَقَدْ تَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الْإِبَانَةِ وَالتَّبْيِينِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْإِفْصَاحِ، تَشَرَّبَتْ نَفْسُهُ حُبَّ الْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ، بَلْ يَتَنَفَّسُهَا وَيَسْتَنْشِقُهَا وَيُخْرِجُ الزَّفِيرَ

أَلْفَاظًا جَمِيلَةً عَذْبَةً شَجِيَّةً مُؤَثَّرَةً بَلِيغَةً يَتَدَوَّقُهَا الَّذِينَ يُحْسِنُونَ اللَّغَةَ
وَيَعَشَقُونَهَا وَيَتَفَيَّؤُونَ ظِلَالَهَا، وَيَتَسَمُّونَ عَيْرَهَا وَأَرِيحَهَا.

أقولُ في الختم: إِنَّ وُجُودَ (عبد الملك مرتاض) في السَّاحَةِ الْعِلْمِيَّةِ هُوَ
وُجُودٌ مَن سَعَى فَوْقَى، وَأَثْرَى فَأَعْطَى، وَجَلَّى فَتَجَلَّى، وَأَغْنَى فَأَقْنَى. وَإِنَّ
هذا التتويج بما ناله من جائزة هو توشيحٌ لسادنِ اللغةِ العربيَّةِ التي عمل على
تطويرها بعد زبرها في تنظير لغويٍّ، وإبداعٍ أدبيٍّ وسردٍ روائيٍّ، ورأيٍ نقديٍّ
وبهذا ارتقت أدبيات العربيَّةِ في مدارج العُلا، وقالت: أنا لها في السَّهْلِ
الممتنع الذي يرقى ويترى، في مدارج الكلام والإبداع المرتقى. وما هي إلاَّ
لحظاتُ الهيام بلغة لها رجع الصدى، وأثر المدى. فبورك للجائزة ما حصدت
من مرتاضيات، وما سوف تشيع في العالميات، وإنَّها ليست القطرَ الذي
ينهمر، بل هي من الغمر الذي نالها منذ أخذت طريقها في مجرى السَّيلِ
المنهمر. وبارك لأنفسنا هذا المكسب المعنويَّ الذي ذلَّل علينا هيبة نيلِ
الجوائز العالميَّة، وإنَّه لمن الفخر أن يُتَوَّج مبدعنا بهذا التَّكريم الذي هو أهل
لها. فبوركت خطواتُ المبدعين، ومزيداً من الفاعلين، والله في عون العاملين.

الشيخ أحمد حمّاني ♥

الدِّبَاجَة: ليس سهلاً ألقى كلمةً في هذا المقام الذي أجدني فقير الكلم أمام مشايخنا الكبار الذين نسمع ونستمع لهم وهم يُلقون علينا خطباً جمّة في جلال وخشوع، والأصعب عندما تغيب عليّ الكلمات في الحديث عن الجُهد النحرير العالم الكبير المرحوم (أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حمّاني) الشيخ الفقيه؛ وليس لي به صلة جيل، ولا احتكاك، وكلّ ما يجمعني به بعض المتون التي عدت إليها من كتبه: الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام + صراع بين السنّة والبدعة + فتاوى الشيخ أحمد حمّاني (3 أجزاء) + من الشهداء الأبرار: شهداء علماء معهد عبد الحميد بن باديس + الدلائل البادية على ضلال البايّة وكُفر البهائيّة. هذا من جانب، ومن جانب آخر ما كنت أسمعه في بعض الفيديوهات من الخطب في الوعظ والإرشاد والوطنية والشروح ومستلزمات اللغة العربيّة، وكلّها جعلتني أقول: نحن نحتكم إلى مشيخة ومرجعية عظيمة ولا ندري قيمتها، وليس لدينا اطلاع على أسفار علمائنا المتنوّرين، وهم حملة القرآن الكريم، فالحقّ الأحقّ بأنهم ورثة الأنبياء .

أيّتها النخبة العالمة، لا أحدثكم عن حياة الشيخ؛ فهي من الماضي، بل يمكن الوقوف على بعض محطّات حياته للعبرة والاعتبار؛ حيث العصاميّة تدفعه للانتصار، والجمع بين العمل والتدريس سنّة لا بدّ لها من ترسيخ وطلب العلم في كثير من الأوطان، فضل محمود لدى جيله من أصحاب

♥ - ألقى الكلمة في مقرّ الإذاعة الوطنيّة بتاريخ 09 ديسمبر 2021، في ذكرى ميلاد الشيخ أحمد حمّاني.

التَّيْجَان، وحفظ القرآن والشُّرُوح إلى جانب التَّزَوُّد بالمتون، ضرورة لازمة بحفظ مختلف الفنون، وحضور المحاضرات، والمشاركة في المظاهرات من أصل الوجود تعلّموها من خلال المناظرات، وغير ذلك من ممارسات كانت سمّة عصره، وشعارَ مَصْرِهِ، وبيانَ قومه، فانصدعت في مشيخة شيوخنا الذين هم رموس، ولكنّ أفضالهم بيننا تسوس، وسيعودون يوماً ويسألوننا هل حافظتم على الأمانة، ونقلتم الرّسالة، وكنتم خير خلف لخير سلف. ومن هنا إخواني ودِدت أن يقع تركيزي في هذه الكلمة حول ردّوا الأفضال لذويها، كي لا ننسى الأفضال بيننا، ونحتفي بكبارنا اعتباراً لأولادنا؛ ليحتفوا بنا، ونسنّ لهم سنّة تكريم الشّهداء والعلماء والعالمين والمخلصين والمجاهدين وضرورة استصحاب أهل الفضل لأخذ الفضل منهم قبل أن يُغادروا ونأخذ منهم الحكمة والعلم، ونجعلهم يموتون فارغين من العلوم التي نحتاجها في حياتنا لنسير على هُداهم، وننجح في مسارنا، فهم يملكون وِصْفَات العيش معاً بسلام، ووصفات التّآخي ونقل العلوم، وإعمال العقل في التّقل .

أيّها الحضور، قبل أن نلجّ دروباً شائكة، ونقطع مسافاتٍ طويلةً، فإننا نصغي إلى همسِ آي القرآن؛ لنستحضر به فضل العلماء. وإنّ أوّل ما نزل من آيات القرآن الكريم على نبيّنا الكريم، وهو يتعبّد في غار حراء، قول الله سبحانه وتعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم)، فكانت أوّل صيحةٍ تسمو بقدر العلم، وثنوّه بمكانة العلم، وتعلنُ الحربَ على الجهل وتجعل اللبنة الأولى في بناء المسلم أن يقرأ ويتعلّم، وأردفها بآيات بينات في كثير من السّور التي تُشيدُ بدرجات العلماء، وبإبراز منزلتهم ومقامهم، فقال:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ... وعليه؛ فلا أحد يعزب عن علمه المكانة السامية للعلماء؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، العلماء أعلام الإسلام، العلماء سادة الناس وقادتهم الأجلاء، العلماء وما أدراك ما العلماء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، أهل الرحمة والرضا، بهم يحتذى ويهتدى ويُقتدى. وكم من طالب علم علموه، ومن تائه عن طريق الرشد أرشده، ومن حائر عن سبيل الله بصّروه ودلّوه، وإن بقاءهم في العباد نعمة ورحمة، وقبضهم وموتهم عذاب ونقمة. وإن العلماء تُحتفى بهم الأمم العظمى، ويتشدد بأمجادهم الخطباء، ويتغنى بمفاتنهم الشعراء، ويتفنن في مجالسهم الكتاب، ويلبسونهم الحلل الضافية من نسج أقلامهم العالمة.

إن العلماء هم الأئمة الثقات، والأعلام الهداة، مثلهم في الأرض كمثل النجوم يهتدى بها؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء؛ يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أو شك أن تضل الهداة رواه أحمد. العلماء علماء بالله تعالى وبشرعه هم أهل خشية الله، والعلماء شهداء الله في أرضه، وخلفاء الرسول في أمته، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم الكريم، الموصوف بصفات الكمال والمنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم، وأكثر."

أيها الجمع الكريم، دعوني أستفيض في الحديث عن علمائنا؛ ليكون هذا الكلام عبرة لناكري فضل العلماء، وهم زينة الأرض، وهداة الناس في

دياجير الظلام، وهم كالماء والغيث في الأرض المقفرة، وهم الشمس للدنيا والعافية للناس، والناس بحاجة إليهم كحاجتهم للطعام والشراب بل أشدُّ قال ابن القيم في (إعلام الموقعين): "العلماء فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرضُ عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)".

أيها الحضور، لا عزَّ لأمَّة دون الاعتزاز بالعلماء، وإنَّ الناظر في تاريخ أمّتنا، يجد أوجَّ ازدهار الأمَّة ورقبها ونصرها، كانت في عهود قيادة وحكم العلماء الأتقياء الأوفياء أو القادة العظام ذوي العلم والفقہ والرأي والمنعة والعمل بمشورة العلماء. ومن هنا نقول: لا خير في أمَّة لا توقِّر علماءها، فلا بدَّ أن ننظر إلى علمائنا من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والتنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل. وقد حدّثنا العلامة الشَّيخ طاهر الجزائري؛ وهو على فراش الموت بكلمات حقَّها أن تُكتبَ بماء العيون لا بماء الذهب؛ إذ قال رحمه الله: "عُدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعضَ زلَّاتهم، وعُضُّوا عليهم بالتواجد لتستفيد الأمَّة منهم، ولا تُنفروهم لئلا يزهّدوا في خدمتكم". ومن هنا أقول: علينا أن يقع الاهتمامُ منّا بسير العلماء التي نروم أن تورث

للأجيال، وإنّ تهميش العلماء، وعدم إنزالهم منزلتهم اللائقة بهم من الاحترام والتقدير والاستنصاح منهم في أحوال العباد والبلاد ضياعٌ لمصالح الأمة، وذهابٌ لروحها، وإيدانٌ يدنوُّ أجلها، وأمةٌ حالٌ علمائها هكذا فكبرٌ عليها أربعاً لوفاتها. ومن الوفاء للتاريخ والوفاء لأصحاب الفضل أن نردّ الجميل لأصحابه، لنرتقي في مصاف الدول العظمى التي تُقدّس عظماءها على الدوام؛ كي يبقوا أحياء في ذاكرة الشعب ووجدانه، ونبراساً تُهتدي به الأجيال .

ويا أيها الحضور،- ونحن في إطار محاربة آفة التسيان التي استشرت في مجتمعنا، إلى درجة أنه يمكن القول بأنها ثقافة، بعدما طالت كلّ المعالم والرموز، فبعض من علماء الجزائر ومشايخها طالتهم ثقافة التسيان والتطاول والتخوين، بالرغم من أنّ صيئتهم وسُمعتهم تعدّت الحدود، بل إنّ الكثير منهم تحوّلوا الى مراجع يُعاد إليهم ويُعتدّ في أقوالهم ومواقفهم، وهذا ما نريد أن ننقله لشبابنا المعاصر أن يبحثوا عن هذه القُدوات والمشِيخات والتّخب وأن يقرؤوا سيرهم وما تركوهم من مآثور ومكتوب، ويكون لنا منهاجاً في حياتنا نستهدي به، وليس ببعيد هذا العالم الذي جمعنا اليوم الشيخ المجاهد أحمد حمّاني رحمه الله. هذا العالم الجليل، الذي رأت عيناه الثور في السّادس من شهر سبتمبر سنة 1915 في قرية أزيار من دائرة الميلية بولاية جيجل المجاهدة، حيث يجمع كلُّ الذين عرفوا الراحل أنّه شيخ من شيوخ الإسلام وعلمٌ من أعلام النهضة الجزائرية، وشمسٌ من شمسها العظام، ورائدٌ من روادها الكرام، فقد كان مربيّاً كبيراً، ومصلحاً عظيماً، ومجاهداً مؤمناً، قضى في وطنه أزيد من ستين سنة أو يزيد في خدمة الدّين واللغة، فأحيا معالم

الوطنية والهوية والقومية، وأعدّ جيلاً من المكافحين والمناضلين، مهّدوا السبيل لاستعادة الاستقلال والحرية، فرّحواكم أيها الشيخ رُحماكم، ونفعنا ببركاتكم، وأكبر بكم من كبير علماء الجزائر!

وفي الختم، ومن خلال الثقل المسموع والمرئي أدعو طلابنا جميعاً أن يكتبوا رسالة صغيرة/ كبيرة في وسائل التواصل الاجتماعي في حقّ من تتلمذوا عليهم تكريماً لهم لما أخذوا منهم من علم رَفَعَ عليهم حُجْبَ الجهل، وكانوا سبباً في مقامهم الحالي. وهذا يُعدّ بداية التّكريم وتأسيس ثقافة ردّوا الأفضال لأهل الفضل. فبادروا أيّها الطّلاب بهذا، فهو تكريم نريد ترسيخه في قيمنا وحضارتنا وسلوكنا المعاصر. وألف شكر لكلّ الحضور والمتابعين. والسلام عليكم جميعاً .

اللغة العربية: العولة والرّهانات ♥

- **الدّياجة:** نشكر الفاعلين النّشيطين في جامعة ابن خلدون على هذا الفعل التّيبيل الذي بادرنا به عميد كلية الآداب واللغات، وبالأخصّ قسم اللغة الفرنسيّة الذي حمل همّ البحث في اللغة المشتركة من خلال العنوان الذي اختير للمناسبة. فماذا عساني أقول: ليس سهلاً أن يكون التّفاؤل باللغة العربيّة في مستقبلها إذا لم تعش عصرها كلغة أميّة لها من العلم ما يجعل أمنها في مستعملها وفي متوجها وفي أحقيّة تاريخها الطّبيعي في ماضيها العريق المغدق، ولكنّ حاضرها مقلق ومستقبلها شبه مغلق، فالأمور تترى وتصعد نحو المجهول فما هو الحلّ؟ تلك إشكاليّة معاصرة تعيشها العربيّة وكان علينا توضيح أبعادها الماضيّة وآفاقها الحاضرة لبناء مستقبلها في توسيع دائرة استعمالها في المتوج العلمي والبحث التّكنولوجي، وآخر ما تعرفه الثّانو تكنولوجي، وتوطين العلم لنشردان مجتمع المعرفة.

- **المقدّمة:** لا ننكر أنّ كلّ اللغات تعرف المضايقات في بُعد من أبعادها كما لا يمكن أن نجهد أنّه لا توجد لغة أرقى من لغة في جيناتها، أو هناك لغات لا يمكن أن يحصل لها التّطوير، ولغات يحصل لها. أو لغات تختصّ بمجال، ولغات لا تعرف المجال... وعلينا نحن أهل العربيّة أن نوّكد فقر

♥ كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة، لصالح طلبة كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون بتيارت. ألقيت بتاريخ 12 ديسمبر 2021، تزامناً مع شهر اللغة العربية. وإنّ هذه المحاضرة ألقى جزء منها عبر التّحاضر عن بُعد في قنوات خارج الوطن. وهناك جزء من المحاضرة مكرّر في الكتاب.

العربية في العلوم وفي الطب وفي التقانات المعاصرة وبخاصة في البرمجيات والدكاء الصناعي وفي محركات البحث، وفي الصناعة المعجمية، وفقر في المدونات الرقمية... إلى جانب بعض المضايقات في الكتابة العربية، وصعوبة التعرف على المكتوب العربي، وقضايا خوض غمار الرقمنة، وميدان الصناعة الرقمية، وفتوحات OCR... هي مضايقات عصرية أملت لها لغات العلم، وفرضت العولمة أنماطها بما لها من فتوحات في علم اللسانيات والبرمجيات والتطبيقات، وأضحت العربية تابعة متبوعة لنحلة القوم الصناعيين فأصبنا في وهن الضمير، دون وخزات دفع الارتخاء، ودون العمل على حل الصعاب للاحقة العصر في أعالي العلوم، وفي آخر ما تعرفه الآلة من منتج السرعة وما ينتظره المستقبل من مفعول الساحة العلمية. فها نحن نعيش الحاضر في الماضي، وفي قياس الحاضر على الماضي، ولا نريد الخروج من الماضي، وحكمنا على أنفسنا أننا من المتحفين وأن لغتنا لا تساير الحاضر، ولا سبيل لنا للتخطيط للمستقبل، فقد أصابنا العشى والعشي ولا ننظر إلى الحاضر إلا بعيون السلف، ونود أن نكون منهم ولا نكون من الحاضر، فقد تمت الأمور كلها وسد باب الاجتهاد.

1_ **العولمة والرهانات:** ما يجب علمه بأن العولمة حرب على كل اللغات بل هي احتواء عالمي شبه مفروض من اللغة الإنكليزية كلغة فرنكية / Langua Franca عالمة عالمية بما لها من اقتصاد ومنتوج فكري وترجمة منها واستعمال واسع في القارات الخمس، وما يتبعها من قوانين القوة الغالبة والمغلوب مولع بلغة الغالب، وذلك الذي يضمن مكانة هذه اللغة خارج مواطنها، بل أصبحت لغة الهوية في بعض البلاد، وارتبط إتقانها بتعليمها

وتعميمها وفرضها على أنماط الحياة، إن لم نقل إنها آلية من آليات الاندماج في المجموعات الدّوليّة، ووسيلة استقطاب الضّعاف توهمًا للخروج من دائرة التّخلف. والمحزن في كلّ هذا أنّ دولنا العربيّة تراهن على الإنكليزية وتحتقر العربيّة بما تقترحه من هُجّة عارمة في التّعليم وفي المحيط وفي وسائل الحضارة، فنرى الفصحى تعيش الغربة في بلادها. وللأسف كم تدفع الدّول العربيّة من أجل تعليم اللغات الأجنبيّة، وتترك العربيّة تعاني مشكلات التّراجع في مناهج التّعليم، واختلاف في مسألة الهوية، إلى جانب أزمة اللهجات... تلکم عوامل جعلت العربيّة تنال الشّل الأفقي، وتعيش القلاقل لوجود فراغ في نشرها ودعمها، بالإضافة إلى انحسار استخدامها في قلّة من التّخبة المتخصّصة التي تهتمّ بها من أجل المعيشة -كوظيفة- دون القيام ببحوث جادة من أجل إعمالها في الحياة اليوميّة والتّعليمية بشكل صحيح. وهناك عوامل كثيرة عبارة عن تحديات تتعقّد باستمرار، في ظلّ ضعف الوعي اللغويّ الذي يقوّض أركان المواطنة والاعتزاز اللغويّ. هي دائرة من دوائر الأزمة اللغويّة/الثقافيّة، وهذا ما يوصلنا إلى أزمة الحضارة الشّرقية التي ننتمي إليها. ومن خلال كلّ هذا نقرّ بانحسار مدّ العربيّة في ما يُعرف بالقوّة النّاعمة التي أخذت الألباب، وكشفت عن مواطن حُجب الاستقطاب، ولم تتحصّن ذاتنا، ولم نُصنّ حقوقنا اللغويّة، وضاعت مصالحنا وأصبحنا تُبعاً. فما العمل؟

علينا جميعاً البحث عن وصفة جامعة لنعود إلى مجدنا، وصفة الأجداد الذين راهنوا على التّحدي، وكان لهم ذلك في أنّهم جعلوا العربيّة وعاء الثقافة، وأقدم تجلّيات الهوية، على اعتبار أنّ اللغة المشتركة هي التي تجعل من

كلّ فئة من الناس جماعة كبيرة، ذات هوية واحدة، مع احترام الاختلاف والتنوع والاعتراف لكلّ ثقافة بإسهاماتها في الحضارة الإنسانيّة الواحدة. وكان علينا البحث في الأزمة اللغويّة التي تجعل لنا موقعاً في خريطة العالم بدءاً من تفرّدنا الدّينيّ التّسامحيّ الوسطيّ الذي يقرّ باختلاف الألسنة، وهو الأداة الجامعة بين المسلمين، وأنّ لغة هذه الأداة لها وظيفة اجتماعيّة تواصلية من المحيط إلى الخليج، وما وراء القارات. إضافة إلى ذلك تراثنا الأدبيّ المتنوّع الذي هو مفخرة لنا، ولا نستطيع التّواصل معه إلّا من خلال اللغة العربيّة. كما أنّ العربيّة ثروة ثقافيّة للإنسانيّة قاطبةً، وقد استفادت منها اللغات الأخرى كلّها. رغم عدائها للعربيّة، وتنكّرها في مقامات كثيرات. وهنا لا بدّ لنا من المواجهة، لا بدّ من سلاح العصر؛ سلاح التّقانة والعلم وأخذ زمام مبادرات التطوير التكنولوجي المعاصر. هي طريق مواجهة التّحدّيات والصّراعات تكون وقايةً وأمناً داخلياً وخارجياً. لا بدّ من غلبة التّحدّيات للغة العربيّة في ظلال العولمة بوصفة الثقافة النّاعمة في حسن استعمال العربيّة، وتحبيبها والترغيب فيها والعمل على علميتها والدّفاع عنها بالمنتوج العلميّ وخدمتها تطوّعاً، وتجنيد وسائل إعلام قويّ يفتند مزاعم الافتراء ويرفع عنها مظالم البهتان، ويكون جسراً بين اللغات؛ ينقل علمها ونثرها ومنتوجها. ويبدأ التّمهيد من أهلها بأنّه من الحقّ والمنطق أن تكون لغة الأمة لغةً مشتركة ولغة علم وتعامل يوميّ في كلّ المجالات: علم + إعلام + إدارة + بحث + تفتح .

2- واجباتنا المعاصرة: يمكن تلخيصها في الآتي:

2/1- صونُ الحقوق اللغويّة من أهل اللغة أولاً: لغة الهوية والشخصيّة والوطنية وما أجمع عليه.

2/2- إعادة النظر في تصنيف اللغات الأجنبيةّ بأنّها للفائدة وليست لغات الهوية .

2/3- العمل على تعميم اللغة الوطنيّة وتحسين أدائها والإغداق عليها وتكون مشروع كلّ حكومة.

2/4- مواجهة عوامل الهيمنة والعمل على تحسين أداء العربيّة مسألة مشتركة جمعيّة.

2/5- من واجبات الدولة التخطيط لسياسة لغوية بمرجعيّة وطنيّة مشتركة تعمل على صون الذاكرة الجمعيّة.

2/6- ضرورة تعميم استعمال العربيّة في سوق العمل والتّعليم والإدارة والإعلام وجميع المؤسسات الوطنيّة في كلّ الدّول العربيّة، وسدّ الفجوة الهائلة بين اللغة العربيّة والمعارف والعلوم والتّقنية والصّناعة في جميع المجالات، وربط اللغة العربيّة بجميع معطيات العصر وتطوّراته في الميادين كافة. وتوفير الكتاب الجامعي في جميع التخصّصات العلميّة في الجامعات العربيّة، والاهتمام بالترجمة .

2/7- تعزيز الانتماء والمواطنة اللغويّة في تراتب لغويّ وطنيّ .

2/8- تنشيط العربيّة في الشّابكة وفي مختلف وسائل التّواصل الاجتماعي بإنتاج تطبيقات تعليميّة مضيئة مرنة .

2/9- الحفاظ على صفاء الفصحى الجامعة، والعمل على انتشارها وسيورتها بصورة دائمة في إطار التحسين لا التراجع، ونشر روائع الثقافة العربيّة وترجمتها للغات الأخرى .

2/10- حسن التّعامل مع الألسن الأخرى بحسب المنفعة الوطنيّة، وبمبدأ (حيث وجدت المصلحة فنمّ شرع الله) .

3- اللغمة العربيّة والتواصل الحضاري: لقد اختارت اليونسكو شعار الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة لهذه السنّة 2021م بميسم (اللغة العربيّة والتواصل الحضاري) ويأتي تأكيداً للدور المهمّ للغة الضّاد؛ درّة تاج اللغات، وجمالة الملكة (اللغة العربيّة) في السّبق لمدّ جسور التّواصل بين الشّعوب عبر الثقافة والعلم والأدب في منظور التّكامل بين الشّعوب. وهكذا يُظهر بيانُ منظمّة الأمم المتّحدة للتّربية والعلم والثقافة أنّ الغاية من هذا الشّعار إبراز الدور التاريخيّ الذي اضطلعت وتضطلع به اللغة العربيّة لمواصلة استحداث المعارف وتناقلها، وهي وسيلة للارتقاء بالحوار، وإرساء أسس السّلام، في ظلّ تغوّل العولمة، وتبعات الرّقمنة، وموت اللغات، ونحن بحاجة إلى تعزيز الحوار بين الشّعوب، والعمل على التّقارب اللغويّ الذي يؤدّي إلى السّماع للآخر. وباعتبار العربيّة من أكثر اللغات إسهاماً في التّواصل الحضاريّ على مرّ القرون، وذلك ما تجسّد في ثراء الوجود الإنسانيّ، وما وقع الانتفاع به من الموارد. ومن خلال هذا الشّعار نقول: إنّ

العربية تُتيح الدّخول إلى عالم زاخر بالتنوع الثقافيّ بجميع أشكاله وصوّره وقد كان لها ذلك في ما مضى من الزّمان، ولم يتوقّف مع حدوث بعض الهنات التي علّقته لبضع من السّنين، وها نحن -أهل اللغة العربيّة- نريد أن تعود إلى تأثيرها كلغة تواصل يوميّ، ولغة فرنكة أمميّة، وقد أثبتت خصائصها الداخليّة تنوعاً للأصول والمشارب اللغويّة أنّها في كامل طبيعتها لغة تواصلية دون خدوش، كما أنّ خصائصها الخارجيّة تُظهر بعولة جديدة قابلة للتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، وقد كانت لغة التّواصل في طريق الحرير، وكانت لغة أفريقيّة في طريق الملح. وإيّها لغة تحتوي على شواهد تُبيّن الصّلات الكثيرة التي تربطها بعدد من لغات العالم الأخرى، وساعدت على نقل المعارف العلميّة وفلسفة اليونان والرّومان، ونقلتها إلى أوروبا في عصر النهضة. وما يمكن أن نلاحظه في هذا الأمر الحضور الإسلاميّ الدّهبيّ الأندلسيّ؛ باعتباره حجّة للتّقارب بين الحضارة المسيحيّة والإسلاميّة، وبين التراث اليهوديّ والإسلاميّ"... وهكذا أصبح استحضار الأندلس الإسلاميّة وبدرجة أقلّ منها صقليّة الإسلاميّة من المواضيع المتبدلة في سياق الخطاب المتداول حول التّقارب بين الثقافات، وحول الوحدة التاريخيّة والحضاريّة في البحر الأبيض المتوسّط، وأيضاً بخصوص التسامح بين الشّعوب من مختلف الدّيانات. وكانت جسراً علمياً لثمانية قرون خلت، وأتى عليها الذي أتى على الفردوس المفقود، وتذهب مجرّط وإشبيلية وطليطلة وقرطبة هباءً :

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةً

هاتان ثنتان والزّهراءُ ثالثهما

ولم يدم الماضي المغدق على أوروبا كثيراً، وكان ذلك بالنسبة للغربيين من المتعة الثقافية بصيغة مستفيد من الحضارة الشرقية التي كانت شُعلة العالم وكما قال (Pierre Gory) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء سنة 1903م لو لم تُحرق كُتب المسلمين؛ لكننا اليوم نتجول بين المجرات". هي منجزاتٌ حصلت من المسلمين، وأتاحت هذه الإسلامية العلمية والثقافية إقامة الحوار بين الثقافات على طول المسالك البرية والبحرية من الصين وسواحل الهند إلى القوقاز وروسيا البيضاء، مروراً بشبه الجزيرة العربية، وإلى بلاد الهلال الخصيب، ومن توات إلى القرن الأفريقي مروراً بدول السهل إلى الكاب.

4- لنا السبق الحضاري: ما يجب العلم به أنّ الحضارات دُول، وقد كانت حضارة العرب الإسلامية بماضيها المشرق، وبمؤذجها المغدق حضارة عالمة عالمية أيام تحبب الأمم في ظلمات بعضها فوق بعض. ألم يكن الجغرافي العربي (الإدريسي) أول واضع لخريطة العالم، وأنّ مكتشف الدورة الدموية الصغرى هو (ابن النفيس) ومؤسس علم الاجتماع (ابن خلدون) وأشهر الرحالة في القرون الوسطى (ابن بطوطة) ومؤلف كتاب (الطريق إلى المدائن) (أحمد عادل كمال) وواضع النحو (أبو الأسود الدؤلي) والعالم العربي الذي اكتشف انكسار الضور هو (الحسن بن الهيثم) ومن أعظم أطباء العالم صاحب كتابين: (الجُدري والحصبة+ الحاوي) هو الرازي، والذي وضع التاريخ الهجري هو (عمر بن الخطّاب) وفتح بلاد الصين (قتيبة بن مسلم الباهلي) وأكبر علماء التاريخ صاحب كتاب (الكامل في التاريخ) (ابن الأثير) وأنّ فاتح القسطنطينية هو (محمد الفاتح) ومؤلف كتاب (الداء والدواء) هو (ابن القيم الجوزية) وأول من وضع معجماً باللغة العربية هو

(الخليل بن أحمد) وكان نموذجاً لصناعة معاجم اللغات، وأوّل من وضع صورته على التّقود (الإسكندر المقدوني) وأوّل من أصدر عملة عربيّة هو (عبد الملك بن مروان) وأنّ (الخوارزمي) أوّل من فتح مجال الخوارزميات بكتابه (الجبر والمقابلة) وأوّل خليفة ترجمت له الكتب السّريانيّة والأعجميّة إلى العربيّة كتابين: (كليلة ودمنة + إقليدس) هو (أبو جعفر المنصور) وأنّ قناة السّويس المجرى المائي الصّناعي كان بغرض توصيل البحر البيض المتوسّط بالبحر الأحمر، وأنّ (الزّجاج) اختراعٌ شرقيٌّ عرفه الأوروبيون أثناء الحروب الصّليبيّة فنقلوه إلى أوروبا... والقائمة كبيرةٌ وطويلةٌ من التّصدّرات ضمن وعي لغويّ حضاريّ باللغة العربيّة حصل للعرب، وكانت لهم الريادة، مع كلّ ما حصل لا ننكر وجود صدامات بين الحضارتين من مثل معركة (اليرموك) بين المسلمين والرّوم، ومعركة (ميسلون) بين العرب والإنكليز وأنّ الصّلح عقد بخصوص إنهاء الحروب جرى بين (صلاح الدّين الأيوبي) و (ريتشارد قلب الأسد) ملك إن گلترا في صلح سميّ (صلح الرّملة)... وهكذا دواليك... ونحن الآن نعيش حضارةً معاصرةً وفيها نحتاج إلى وعي حضاريّ جديد للنّهوض؛ ونريد وعي إدراك الحضارة المعاصرة بجملة مظاهر التّقدّم الماديّ والمعنويّ دون همجيّة وتوحّش بتمكين آليات الحدّاث اللغويّة وبإدراك فقه التّحضّر المعاصر بمنطق الإسلام والعربيّة لتشكيل النّهوض وبتفاعل مقاصديّ مع العلوم والطّواهر الحديثة؛ دون انزعال عن المتغيّرات وبعامل التّدافع لكسب منظومة الفعاليّة اللغويّة، بدل السّقوط الحضاري ونحن نعيش الفرصة العائدة من الدّورة التّاريخيّة، فكيف نُعدّ العدة للوعي بالمستقبل في فقه النّهضة من جميع جوانبها باعتماد اللغة المشتركة؟ وإنّه من

الضروري استدراك ما فات، وتدارك الأخطاء، والوعي بحضارتنا هو الذي يحقق لنا الشهود والموقع والتصدر والتطوع، رغم أننا بدأنا من القفار، ولكن أقمنا الحضارة فيها، وكان لنا العز، وانعكس ذلك في صناعة الرسالة الربانية وترسخت معالمها التطورية، ألم تسمعوا بقول الشاعر القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبتة

وقال فيها (ابن خلدون) "والحضارة إنما هي تفتن في الثرف وإحكام الصنائع والملابس والمباني والفرس والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجداته والتأق فيه، تختص به، ويتلو بعضها بعضاً، وتتكاثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعّم بأحوال الثرف، وما تتلون به من العوائد. فصار طور الحضارة في الفلك يتبع طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعية الرفه والملك". هي دورة الحياة تعود دور الوعي الحضاري لماضيها المشرق؛ بما لنا من قدم النموذج أيام القحط والظلمات، وقد جاء الوعي الحضاري الإسلامي لتصحيح ما كان، وكفانا غفوة أرخت سدولها علينا، فانكمش دورنا فطويت الحضارة على قوم دوننا فكان ما كان. وبقيت الذكرى حبيسة الأسفار يذكرها هذا الزمان، فما الحل لإعادة الحركة في نفوس هذا الجيل؟!

5- في عمق لغمة الضناد: إن العربية من أكثر اللغات جذوراً وامتداداً في الزمان والمكان، وأغنائن كلمات وأوسعهن معاجم، وأبلغهن فنون القول والبيان والفصاحة. وأن الإسلام هو البعد الحضاري الذي جعلها تخرج من شبه الجزيرة العربية؛ لتنال حواضر الشرق والغرب والشمال والجنوب في

ظرف زمني قصير، زمن الفتوحات الإسلامية التي سبقتها التجارات والمقايات، فانتشرت بما لها من القوة الناعمة التي مكنتها التغلب على لغات الكثير من البلاد، ويعود ذلك إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها وقواعدها، وغنى معجمها، وقدرتها العالية على التعبير. هي عربية المعجزة الخالدة التي لم تنقرض منذ واحد وعشرين (21) قرناً، وبقيت مسيرة لتحديات كثرات، ومنها التحدي التقني، وهي تؤكد حضورها في وسائل العصر بقوة ذخيرتها الجارية التي تُعطي لها صفات البقاء والخلود. وهكذا لعبت الحضارة العربية الإسلامية بلغة الدين دوراً في التواصل بين الشعوب على مرّ الزمان، وما تزال آثار تلك الحضارة تترى باستمرارية متجددة وبمنطق الدورات التاريخية المرتبطة بمركزية الدين، وما يتبعها من إنتاج الأفكار والتحلي بالقيم الأخلاقية، وما يحصل وراء ذلك من تراتب المهام وألوية العمل ومنطق العمل لتحقيق الفعالية. وما يجب علمه أنّ العربية كانت العامل الأساس في إيجاد جسور هذا التواصل الذي أدى إلى بناء علاقات حميمة وتفاعلات حضارية تُقرب بين الأطراف المختلفة. لماذا اللغة العربية؟ لأنها كانت لغة نسبية في طريق الحرير، ولغة كاملة النسبية في طريق الملح، ولغة نسبية مئة في المئة في الفردوس المفقود، وبمصطلح العصر الحاضر (لغة العولمة) وبذلك اتسعت حضارة الإسلام بها خارج شبه الجزيرة العربية وكلّ ذلك الانتشار جعلها تسمو في أساليبها، وتدخل فيها ألفاظ جديدة تتلاقح مع لغة البلد. ولا أحد ينكر ذلك التأثير اللغوي الحاصل الذي أثمر في العربية تطوراً مُدهشاً؛ نقلت العربية نقلة نوعية من أدبها القديم الجاهلي إلى الأدب الأندلسي المناكف لموروث المعلقات، والوقوف على الأطلال إلى:

جادك الغيثُ إذا الغيثُ هما

وهكذا عرفت اللغة العربية مرحلة التّلاقح بزيادة التّلقيح من لغات مُجاورة بمكمن الاحتكاك الذي كان ضرورةً حضاريّةً تاريخيّةً أدّى حتماً إلى تداخلها. وعرفت خلال ذلك كلّ المراحل الحضاريّة التّاليّة :

5/1- **مرحلة التّأسيس العروبي**: وهي مرحلة اللغات العروبيّة من ثموديّة وصفويّة ولحيانيّة ومازيغيّة... وتظهر في بعض التّقائش الباقيّة التي كشفت عنها بحوث كربون 14، ولا نملك عنها إلاّ بعض الصّور التّحويّة المستعملة في اللهجات الباقيّة.

5/2- **مرحلة السّاميات والنّظائر**: وهي مرحلة التّرقّي بوجهة لغويّة مع اللغات الشّرقية على غرار: الأمهريّة+ السّريانيّة+ المندائيّة+ العبريّة+ الفارسيّة+ العثمانيّة+ الأورديّة، وهي مرحلة غلبة العربيّة فيها، وكانت أمّ السّاميات، ويقول المستشرق إرنست رينان (Ernest Renan) في كتابه تاريخ اللغات السّامية " (Histoire générale des langues sémitiques) / إنّ انتشار اللغة العربيّة يُعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأةً على غاية الكمال، سلسلةً غاية السّلاسة، غنيّةً أيّ غنى... وإنّ اللغة العربيّة - ولا جدال - قد عمّت أجزاء كبرى من العالم."

5/3- **مرحلة الخروج من الأرومة اللغويّة السّاميّة**: وهي مرحلة العصر الجاهلي في شبه الجزيرة؛ حيث كانت لغة البُدأة المتبدلين في نجد والحجاز لغة سافلة الأعالي وأعالي السّافلة، ولغة أكلوني البراغيث، وأكلّة اليرابيع

وحرشة الضباب، وما كان ذلك إلا لتصبح صافية فصيحة؛ حيث عبّرت عن الصفاء اللغويّ في عترته العفوية ذات الطبع الخاصّ .

5/4- مرحلة الأخذ والعطاء: وهي المرحلة التي صاحبت الفتوحات الإسلاميّة؛ حيث يستدعي التعليم والترجمة ونقل العلوم، وقد عرفت العربيّة وجوداً حضارياً خارج مواطنها، ونالت المقامات العُلا في الأندلس بجزيرة إيبيريا وفي بلاد السند، وتعوّلمَ خطّها في لغات أفريقيا، وأضحت لغة Langue Franca في التواصل الحضاري، وهذا ما يقرّ به (كوستاف لوبون / Gustave Le Bon) صاحب كتاب حضارة العرب La civilisation des Arabes "...: كلما تعمّق المرء في دراسة العربيّة تجلّت له أمور جديدة واتّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلاّ بوساطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّونا أوروبا في المادة والعقل والخلق". ويقول الباحث) ماكس فانتاجوا (Max Vintéjoux / في كتابه) المعجزة العربيّة": (Le miracle arabe / الحقّ أنّ مؤرّخيننا قد حاولوا جهدهم أن يجعلوا من العالم الغربيّ محوراً للتاريخ، مع العلم بأنّ كلّ مراقب يدرك أنّ الشّرق الأدنى هو المحور الحقيقيّ لتاريخ القرون الوسطى. إنّ تأثير اللغة العربيّة قد شكّل تفكيرنا بصورة كبيرة... والكلام كثير جداً، ويظهر ذلك في كثرة الألفاظ العربيّة في جسم معاجم اللغات اللاتينيّة واللغات الشّرقية نتيجة التّعايش الحضاريّ الذي شكّل مرحلة العطاء والأخذ، وكان للعرب دوراً احتكار آليات التفكير العلمي في جانب التّنظير .

5/5- مرحلة فرض الأمر العلمي: هي مرحلة التّلاقح العلمي الذي فرضت فيه العربيّة أنماطها عبر اللغات اللاتينيّة بالخصوص، وقد أسكتت كلّ

اللغات السّامية، وأصبحت مرجعية في التّحو والمعجم والأدب، وأسّست مدارس كبرى عبر حواضر: بغداد+ مكّة المكرّمة+ القيروان+ القرويين+ بجاية+ تلمسان+ حلب... وأصبحت مجّعات علمية تقصد من قبل الغرب وكان هذا الفعل ظاهراً في الثّقلة المؤسّساتية في الأندلس؛ حيث نجد الحضارة العربيّة الإسلاميّة أفادت الحضارة اللاتينيّة وغيرها من الحضارات؛ ممّا جعلها تطبّق ذلك في مجالات شتى، وأفادت عقول مفكّريها، وشجّعت البحث والعلم والمعرفة، وأنشأت مؤسّسات سادت عصرها، وأثّرت في الحضارة المعاصرة. إلّا أنّ الحديث قعد بنا الزّمان من تقاعسنا، رغم كثرة دولنا ومؤسّساتنا العلميّة والثّقافيّة، وقد ينطبق علينا:

كُثُرٌ، ولكن عديد لا اعتداد له

حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا

فما هو المخرج والحلّ؟ لا بدّ من منهج جديد؛ منهجٌ يُخرجنا من الجمود الفكري والتّحجّر العقلي والتّعصّب للرّأي، وإلزام الناس بما لم يلزمهم الله به. وبما يمكن أن يُقال بأننا أهملنا تواصلنا بلغتنا وثقافتنا، وبماضينا المُشرق ووجدنا أمامنا حضارة غربيّة وصلت إلى أعالي درجات التّقدّم والاكتشافات الثّانويّة. هي حضارة انبهار شقّت طريقها بقاعدة إسلاميّة وتجاوزتها. ونحن لا نزال ندور في سطحيّة الأفكار وجدال أسباب التّخلّف، ولم نسطع تحريك العقل العربي إلى تدبير جديد، ولذلك عاشت الضّحالة في أفكارنا، وغاب الرّجلُ المرجعيّة، ولكن هناك أمل التّغيير الذي سيتلوه الإصرار على ضرورة الأمل والعمل ثمّ العمل.

6- ضرورة التّواصل الحضاري المعاصر: إنّه استمرار لذلك التّعايش القديم بين الحضارات التي سادت في قرن/ قرون أو في فترة زمنيّة محدّدة وتمثّل ذلك في التّواصل الحضاريّ واللغويّ /Cultural communication and linguistic في تواصل بين الحضارات في تبادل المنافع عن طريق اللغة. وتمثّل ذلك في العربيّة واللاتينيّات في تبادل الكلمات، وخير من يجسّد الصّورة الحقيقية كتاب Nos ancêtres Ce que notre langue leur doit, les arabes , Jean Provost وكذلك كتاب Jack Lang الموسوم La langue Arabe, trésor de France؛ لنرى ما حفلت العربيّة، وما سوف تحفل به من أسس استكمال اللبّات التي تجسّدت في القرون الوسطى عندهم، وقرون العلم عند العرب قرون عاصمة العلم بغداد العلماء، بغداد بيت الحكمة، وحاضرة الأندلس في ملوكها المسلمين وفي جامعاتها العالمة. قرون الانفتاح والتّآخي، ولكم دينكم وليّ ديني، وهذا ما يؤرّخ له الشّاعر القروي:

يا حبّذا عهدُ بغداد وأندلس

يا قومُ هذا مسيحيّ يُذكرُكم

وسيطلّعنا التاريخُ على عمق التّأثير العربيّ الإسلاميّ بحضارة شريقيّة؛ إذ نجد فيها العربيّة لسائها الذي فتح صفحة لالتقاء ثقافتين العربيّة الإسلاميّة واللاتينيّة المسيحيّة، اتّصلتا وتفاعلتا فتعرّضتا للتّأثير المتبادل عبر عصور التّعايش المشترك. وهذا الزّخم إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على عمق التّواصل الحضاريّ بين أمة شريقيّة عربيّة مسلمة، وأمة غربيّة نصرانيّة لها حضارتها وثقافتها لا يمكن تجاهل مسلماتها. وفي كلّ هذا، فإنّ ما نستنتجه

إنّ اللغة كانت المعبرَ الحقيقيّ للقوّة التي تستند إليها آيةُ حضارة تُريد لنفسها البقاءَ أو الانتشارَ خارجَ موطنها، وكانت العربيّة المنطلق التي كرمها الله بكلمه، وجعلها تستفيد منها اللغات في نقل العلوم، وتوصيلها إلى مواطن لم تكن لتصلها لولا الدين الإسلاميّ والتسامح اللغويّ والتأثير العلميّ ما كانت لتكون في آسيا، وبلاد الأندلس، ودول البحر الأبيض المتوسط وكانت في أوج عطائها في العصور الوسطى، وظلت لخمسة (500) سنة لغة المعرفة والثقافة والتقدّم الفكري. وتمت ترجمة معظم المؤلفات الإغريقيّة الكلاسيكيّة العلميّة والفلسفيّة إلى العربيّة في القرن التاسع. وانطلاقاً من هذا الأساس، حقق العلماء العربُ العديد من الكتب في العلوم والطب والرياضيات. وكان تعلمُ اللغة العربيّة شائعاً على نطاق واسع في إنكلترا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكانت للعربيّة السيادة كلغة 3 عولمة بحماية الدين والعلم، وطلبها أصبح من الواجب، وذلك ما يصرّح به بول ألفارو " Paul Alfaro /المسيحيّون مولعون بقراءة الأشعار والقصص العربيّة، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربيّة وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التّفسير اللاتينيّة للكتاب المقدّس أو من يدرس الأناجيل، أو كتابات الأنبياء والرسل؟ واأسفاه! إنّ جميع شباب المسيحيّين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربيّة ودراستها بحماسٍ".

أيّها الجمع الكريم، هناك حقيقة لا بدّ أن تُقال، وهي أنّ الثّقافة العربيّة كانت وسيلةً تواصلٍ عبر المشتركات الخاصّة، وهي في ودّ واحترام

للمشتركات العامّة، فعند احترام المشتركات العامّة تتحوّل كلُّ المشتركات الخاصّة بصورة طبيعيّة إلى تواصل والتّقاء وتفاهم واحترام، فإذا سادت أجواء الاحترام لا تحصل أيّة خلخلة في أن يتعلّم مجتمع لغة قوم آخرين، وأن يتواصل معهم من خلالها، ويمكن في هذه الحال أن ينظر إلى كلِّ مَنْ أجاد لغة -إلى جانب لغته الأم- بحسبانه جسراً بين شعبين/ أمّتين، وحينها نستطيع إقناع كلِّ مَنْ يتعلّم لغة جديدة بأنّه يُمثّل جسراً جديداً، فتتكوّن القاعدة التّقاربيّة التّسامحيّة اللغويّة الحضاريّة بين الشّعوب الإنسانيّة.

إنّ عدول الأمة العربيّة الإسلاميّة المعاصرين حملوا همّ انتعاش التّواصل الحضاريّ بين البشر؛ وهو شعار الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة لهذه السنّة، ونقول بأنّ أجدادنا العرب عملوا على تجسيده من خلال المخطوطات التي زرعوها فيها أمل التّكامل، وهي التي أبانت عن العروبة والإسلام في لحمه الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ويصطبغ بطابعها، وبعقول أبنائها، وما شيّدته سواعدهم الفتيّة؛ ليقدم في التّهيأة مُنجز العرب المسلمين لغير المسلمين، والمهمّ في ذلك هو وجه الدّين الإسلاميّ واللغة العربيّة. وهنا تكمن الحاجة إلى إحياء تراثنا وقراءته قراءة حديثة، وترجمته إلى الغرب لتحقّق التّرجمة أهدافها، وهي بريد اللغات، والتي من أهمّها التّواصل بين الشّعوب المختلفة والثّقافات المتنوّعة، وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح -عندهم- لا يُشارك في الحضارة الإنسانيّة إلّا مستهلكاً، وفي ذات الوقت لا بدّ من الاستفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة لتتواصل بمبدأ العطاء والأخذ. وهذا ما رأيناه من مهمّتنا من خلال هذا الاحتفاء أن نبرز أهمية التّواصل الحضاريّ؛ باعتباره عنصراً مهمّاً في إرساء حوار الحضارات

وتواصله؛ وباعتباره خياراً استراتيجياً يُؤدّي بالبشر إلى الأمن والاستقرار بتعزيز احترام التنوع الثقافي المضيف، وإرساء مسلك تربية قبول الآخر بأسس جديدة للتعاون الإنساني في راهننا. ومن هنا، فإنّ واقعاً جديداً بدأ يبرز في إقامة جسور التفاهم بين الشعوب، وحرّيّ بنا تهيئة الأجواء والمعدّات بما يحفظ لنا خصوصياتنا الدينيّة واللغويّة، وضرورة التماهي في القوى التفاعليّة الثقافيّة بمبدأ القوّة الناعمة، من منطلق رابع رابع .

أيتها الطالبات والطلّبة، إنّ التواصل الحضاريّ ضروريّ وليس ترفاً وكما يقول (مالك بن نبي) "... الحضارة هي الحاضنة للتقدّم والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبرّرات الدافعة للبدّ والعقل للاستفادة من الوقت ... وتبدأ الحضارة حين يتعلّق الإنسان بمبدأ سماويّ... حيث ينتهي القلق والاضطراب، فإنّ أمن الإنسان يتفجّر فيه ينبوع الإبداع والإنشاء". ويتبعه التواصل الحضاريّ الذي هو الوصل بين طرفين في إطار الاقتراب بينهما أو التعاون، وهو ضرب من التواصل الرّاقّي الذي ينبثق من الإرادة الجماعيّة والرّغبة المتبادلة والإحساس المشترك، باعتباره ضرورة من ضرورات التعايش والتّفاهم بين العديد من الأطراف. وربّما يمكن أن نسميها حلف الحضارة المعاصرة المطلوب تجسيدها تحقيقالً لتعزيز التعاون الدّولي عن طريق حوار الثقافات، وتحالف الحضارات؛ تدعيماً للسلام العالميّ؛ بهدف تلاقي اللغات وتحقيقاً للاندماج والتناغم الاجتماعي عن طريق تبادل معرفيّ وتقنيّ. ونحن العرب من مصلحتنا تعزيز ثقافة التحالف بين الحضارات؛ كوسيلة للتواصل الحضاريّ، وإعادة صورتنا القويّة في الميزان العالمي بما لنا من دينٍ عالميّ غير رهبانيّ، ولغةٍ عاليّة أصيلة، وتراثٍ ضخم

وعمق وجود. ومن الضروري أيها الباحثون، بل المطلوب منكم الدّفع بكلّ ذلك في اتجاه معرفة الإنسان بما عليه أن يجمع بين الجانب الإيمانيّ أولاً والجانب الماديّ ثانياً، وهي غلبة المعادلة الحضاريّة من أجل بناء: إنسان+ تراب+ وقت، على رأي (مالك بن نبي) وهذا ما يجب أن نتّجه به لتحقيق توازن صناعيّ غربيّ عولميّ يحتاج إلى حوار تواصليّ من خلال المحافظة على القوانين العالميّة والتمط العولمي من غير السّماح للصّدام؛ تحقيقاً لأهداف حضارتنا الشّرقية السّاميّة .

أيها الحضور، اسمحوا لي أن أقول: من واجب السّياسيين والمثقفين العرب أن يعملوا من أجل تجسيد نقاط الالتقاء بين الشّعوب عن طريق المنطق والعقل، والعمل على بناء أرضيّة مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة، والسّعي لتحقيق المثاقفة والتّلاقح الفكريّ الذي يسمح بالتأثير والتأثر، وليحلّ التّسامح محلّ نظرة الاستعلاء والاحتقار. وإنّ تحقيق اليوم العالميّ للغة العربيّة يدخل في ضرورة الاعتراف بالاختلاف وبالتنوّع وبضرورة إشراك الحضارة الإسلاميّة في صنع القرار، ويجعل هذه الحضارة قوّة اقتصاديّة عاليّة؛ ولذا يجب بناء اقتصاد قويّ حتى يكون لنا موقع في صنع القرار.

وأخيراً، إنّ الأصل في الحضارات التّواصل لا الصّراع، وعلينا من خلال هذا الشّعار الالتزام بأداب الحوار، وشروطه وضوابطه، وضرورة احترام المرجعيّات والخصوصيات الثقافيّة، ليرتقي شعارُ اليونسكو إلى مستوى سامّ رفيع، ولا سبيل للتّواصل الحضاريّ الحقيقيّ إلّا بتحقيق قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسِ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات 13 . وهو سبيل من سبل التواصل الحضاري، ومن ركائز الدعوة الإسلاميّة. ولولا هذه الوسائط الوشيحة التي رسّخها الإسلام لما وصلنا إلى ما قامت تلك الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي مدّت جسورها الجامعة بين الشعوب والحضارات المختلفة، ولولا ذلك ما وصلت الفنون والمعارف الإسلاميّة من علوم وبصريات وكيمياء إلى الغرب، في الوقت الذي كانت الجاهليّة تضرب أطناها في عواصم القياصرة والأباطرة. ومن هنا نحتاج إلى مؤسّسات أخرى تعمل في هذا الإطار، مع ما يتبع ذلك من مندييات، وأنشطة وجوائز؛ تعزّز هذا المنحى لصفر صراع في أوطاننا وتعميق التعاون لتحقيق المنفعة المتبادلة والفوز المشترك، وتحقيق الازدهار المتبادل بروح الشمول، وهكذا نُحقّق وصفة الأجداد الأقوالُ ورقّة، والأفعالُ ثمرةٌ فتعالِ نرّم الجذور القديمة من أجل الحوار، وتعالِ نبن جسوراً جديدةً من أجل الحوار، وتعالِ نتواصلُ ليجمعنا السّوار، ونستذكرُ حضارتنا ذات الفنار، ولعلّنا نُعيد الكرّة باقتدار .

أهمية اللغة العربية في البحث العلمي ♥

هل اللغة عائق أمام البحث العلمي؟ لا يمكن أن يحصل التواصل بمفهومه العام والخاص إلا عن طريق لغة ما، وتكون تلك اللغة قد اصطُح عليها بين مرسلٍ ومستقبلٍ ومتن لغويٍّ متداولٍ؛ يعني كلٌّ هذا أنّ ما اتَّفَق عليه خالٍ من الخدش اللغويّ في ذاته مهما صغر أو كُبر. وأهمية استعمال اللغة في البحث العلميّ بوصفها نتائج صادقة لمجهود بحثٍ مضمّنٍ أفضى إلى ما يمكن أن يحلّ إشكالات الواقع، ويدفع في اتجاه التقدّم والتطوير واختراع ما يحتاج إليه الانسان للحصول على الرفاهية بأنواعها المختلفة ولا يكون إلاّ بأثر خطّي وهو الذي يدفع بها إلى البقاء والانتشار، ونقلها من الأجداد إلى الأحفاد. إذاً اللغة هي الوسيلة الاتصاليّة وهي عمدة البحث في أيّ ميدان. وترقى اللغات بالاستعمال، وتنحطّ بالإهمال. وإنّ اللغات التي تحطّت حاجز العلميّة هي تلك اللغات التي تستعمل في مختلف الميادين، ومن وراء ما حصل لها تطوير في أنماطها التعليميّة، وتيسّر نحوها، وفي ذات الوقت عملت على لحاق الركب في بنياتها التعبيريّة فأصبح ذلك جزءاً من متنها، وهذا ما يلاحظ الآن في لغة العولمة/ (Lingua Franca) التي أضحت سهلة متجدّدة في أنماطها، بأن يطلب ودّها لمسايرتها الحدث العالمي في مختلف أشكاله، وهي

♥ — قدّمت الكلمة في اللقاء العلميّ الذي جرى في جامعة غرداية 13 ديسمبر 2021 بين رئيس المجلس الأعلى للغة العربية وطلاب الدكتوراه، بعد إمضاء اتفاقية تعاون علمي بين المجلس والجامعة.

الآن لغة التواصل على صعيد العالم، وكلّ لغة طبيعيّة يمكن أن تكون لغة التّواصل العالميّ، كما يمكن أن تكون لغة محلّيّة ضيّقة، واللغات دُولٌ.

وبالنّسبة للعربيّة نعرف أنّها كانت لغةً عولميّة، واستُعملت لغةً تواصل في طريق الحرير الرّابط بين الصّين وطاجكستان، ووظّفت بشكل إيجابيّ في طريق الملح الرّابط بين توات وقارة أفريقية، مروراً بتمبوكتو إلى عمق تانزانيا وتعملت في قارة أفريقيّة استعمالاً وكتابة وهذا من الماضي، ولكن أين موقعها في خريطة اللغات في هذا العصر؟ نقرّ بأنّها تعيش جملة من التّحدّيات تضايق أمّاطها، وعلينا رفعها بالبحث العلميّ وحسن التّدبير، والعمل المقرون بالتّنوير، والخروج من (الأمالي) و(يجب الذي يجب) و(للعربيّة ربُّ يحميها) (العربيّة لا تسائر العلميّة) (العربيّة لغة الشّعور والجنائز) ... ويبدو لي أنّ مضايقاتها المعاصرة تكمن في:

- 1- عدم توظيفها في المحيط العام، وبخاصّة في الجوانب العلميّة وكيف لها أن تكون علميّة، وهي لا تُستعمل؟
- 2- احتقارها من قبل أهلها، واستبدالها بالأجنبيّات والمحلّيات، والدّعوة علناً إلى اتّخاذ اللغات الأجنبيّة.
- 3- بقاء استعمالها في الوظائف اليوميّة العاديّة، ووضعها في خانة التّاريخ تستظهر في الشّعارات الممجّدة للأصالة والدين والهويّة.
- 4- الهجنة اللغويّة، أو ما يسمّى بالعريزي/ الأراب فرانكو/ المهمّ الفهم/ الأخطاء الشائعة/ قل ولا تقل...
- 5- كثرة الدّخيل المضرّ بصحّة اللغة.
- 6- استعمال العاميات والأجنبيّات بشكل يدعو إلى القلق.

- 7- الدّعاوات إلى التّطوّر المخادع؛ وذلك باستخدام مصطلحات تبتعد كلّ البعد عن سلامة اللغة وتضرّ بها.
- 8- الدّعاوات إلى تبني اللغات الأجنبيّة بديلاً عن العربيّة؛ على اعتبار أنّ العربيّة ليست لغة علم.
- 9- تدخّل الجانب التّفنسي الذي يعمل على الانهزام الدّاخلي والفشل والتّبعية والانهزاميّة، وعدم الاتّكال على العربيّة في جانب البحوث الدّقيقة. وأمام هذه المضايقات، وهي كثيرة، ما هو البديل؟ هناك سلسلة أوليّة من محاذير علينا الاستعداد لها، وهي:
 1. الاستعداد التّفنسي للتّمسك بالتّوابت التّفنسيّة التي تحافظ على الإقرار بأهميّة اللغة العربيّة.
 2. العلم لا يكمن في لغة واحدة، والعربيّة من لغات العلم، وكيف كان لها نصيب في الماضي، وكيف تعجز في الحاضر.
 3. المناداة لرفع مستوى عمل الجامع والمؤسّسات العلميّة ومخابر اللغات والجمعيات التي تدعّم اللغة العربيّة وتحافظ على سلامة اللغة.
 4. السّعي لنشر استخدام المصطلحات العربيّة بطريقة تضمن سلامتها وانتشارها.
 5. استغلال التّقنيات التّكنولوجيّة الحديثة في الحفاظ على سلامة العربيّة.
 6. حماية اللغة العربيّة من الدّخيل واللهجات وكلّ أشكال الهجنة.
 7. السّعي للتّطوّر وملاحقة كلّ ما له علاقة بالهندسة اللغويّة، وأنظمة الحواسيب والمنصّات الحديثة.

- **معنى اللغة العلمية:** يعني التعبير اللغوي في الخطاب العلمي ذلك الخطاب الذي يتّصف بخاصية العلمية ويمنح لمحتوى الخطاب القيمة الكبرى خارج الأدبيات وبيتعد عن الإنشاء، إذا ما توفّرت معالم اللغة العلمية في اللغة، أو لها استعداد داخلي في العيش داخل نمطيات الخطابات حسب المقصود. وقد تُفقد اللغة الخطاب العلمي إذا ما قلّت المعالم العلمية أو انعدمت هذه المواصفات: الفكر الرياضي الذي يشمل: المبدأ + الفرضية + المفهوم + النتيجة + الملاحظة + التصنيف + التفسير + التأويل + البناء + التأسيس. كما يستدعي الفكر الرياضي الخطاب الرياضي؛ ممثلاً في: الاقتضاء واللزوم + إدخال المعيار + الوظيفة + الاستدلال + الاستقراء + التجربة. كما تعني اللغة العلمية اكتساب أدوات المعرفة، ثمّ العمل على تطبيق آلياتها وتفعيل عناصرها بشكل متكامل. ومن ثم يكون الهدف من الفهم والعمل "تماسك محتوى الخطاب العلمي بكلّ مكوناته وعناصره. وتتجلى خصائصه في:

1. ضبط المصطلح.
2. لا وجود للتّرادف.
3. إلغاء المشترك اللفظي.
4. ضبط الجملة الأساس (الجملة الخبرية).
5. تحضير أرضيات المعجم.
6. العمل بعلم منطق اللغات.
7. استعمال عوالم الرياضيات واللسانيات.
8. توظيف المختصرات.
9. امتلاك آليات الحكامة العلمية في المشهد البحثي.

ومن هنا نطرح مجال وجود أو انعدام هذه الخصائص في اللغة العربية ومنتظر أن نقول: إنَّ هذه الخصائص متوفرة في اللغة العربية بقوة ولكنها غير مفعلة، أو ربّما لم يبحث فيها بحثاً يُميط اللثام عن معالم الوضوح فأضحت باهتة، دون الحديث عن روافد أخرى مكّمة في عدم علمية العربية، وهي:

1. خليط لغويّ بين ما هو دخيل أو عاميّ.
 2. نقص الحفاظ على سلامة اللغة العربية من التّشوّهات التي لحقت بها.
 3. ضعف السّعي لتعزير ورفع مكانة اللغة العربية.
 4. عدم العمل على تعميم التّحدّث بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء الجديدة أو المتوارثة.
 5. نقص نشر الوعي والثّقافة الهويّاتية حول سلامة اللغة وكيفية توظيفها في الحياة اليوميّة.
 6. عدم العمل على تقليص القصور الذي يرفعه المختصّون في أجروميّة اللغة العربية.
 7. قلّة غرس الاعتزاز باللغة الأمّ للمحافظة على سلامة اللغة العربية.
 8. ضعف السّعي للتّدقيق على المناهج التي يتمّ تدريسها والتأكّد خلوها بشكل كامل من الأخطاء التي تلحق الضّرر بسلامة العربية.
- وأمام هذه العدميات، والضعف الذي يلاحظ في كثير من أنماطها التعبيرية يصعب أن تكون العربية لغة علمية ما لم تُسدّ تلك العميّات/ الثّغرات، وهذا عملنا في مشاريعنا وتخطيطاتنا التي نروم أن تكون على مستوى المباهاة بهذه اللغة التي شرفتنا، فهل يمكن أن نُشرفها نحن.

- اللغة العربية العلمية: إنّ اللغات الوطنية عند كلّ الشعوب من الأمن الوطنيّ/ القوميّ/ مستقبل أمة، ولهذا؛ فإنّ موضوع علميّة العربيّة مسألة عمل باحثين وفرق بحث، ومجهودات علميّة فقط، إلى جانب معاضدة أهل القرار للأمر، وهذا كي تحجز العربيّة مكانها ضمن الخطط الاستشرافيّة للسّنوات القادمة. والعربيّة منذ 2012م لغة أُمّية على غرار اللغات الخمس وكانت لغة الحضارة الإنسانيّة، فلها الصّدارة في المشاهد الوطنيّة والعربيّة والعالميّة، ومن خلال متونها ومكانزها القديمة، ولها فضاء بحث كبير في مجال البحوث اللغويّة والإنسانيّة، ولكنّها تفتقر إلى الجانب العلميّ، فما هو الحلّ؟

كان علينا أن نقرّ بتراخي أوضاعنا تجاه هذه اللغة المشتركة، لأننا تماهينا مع الأجنبيات على اعتبار أنّها المخرج والمنقذ من التخلّف، ونحن نعلم أنّه لا توجد أمة ارتقت بغير لغتها، ولكن أصبنا بعمى البصيرة التي جعلتنا نغفل هذا. ولقد غيّبنا مسارنا الحضاريّ العلميّ الذي طال أمده وكان له أثر في أوروبا عبر الفردوس المفقود، غيّبنا مواصلة تدريس العلوم بالعربيّة في الجامعات، وعلى أعلى مراكز البحوث الدقيقة، ولم تظهر مجلات العلوم التي يعولّ عليها في البحوث المتقدّمة، والتي تحترم العلميّة، ولم يقع تدريب الشّبّاب على البحث العلميّ، أنقصنا من قيمة الترجمة، وضاعت منّا استراتيجيات البحوث العلميّة الجادة، ولم يكن لنا مكان في إنتاج القواميس العلميّة، وأصبحنا نعيش الأمانى والأحلام دون وضع خطة/ استراتيجيّة وطنيّة وعربيّة لتمهيد استخدام العربيّة في البحوث والدّراسات العلميّة في جميع المجالات، إضافة إلى عدم تعريب العلوم الغربيّة في الجامعات اللغويّة قبل تدريسها في الجامعات، وعشنا تجارب فاشلة في تطبيق التّعريب. ومن هنا

ننعي حاضرنا الذي لم نكن في مستوى الرفع من هذه اللغة المعجزة اللغة الجامعة بين الدالات الثلاث: الدين والدنيا والدولة، لم ننجز استراتيجية للاهتمام باللغة الأم، وما يتبعها من مبادرات وخطط حكومية وبرامج مُستعجلة/ مُتوسّطة/ طويلة المدى ولم يقع الاستثمار في الفضاء الرقميّ وفي علم التعمية، وما له علاقة بالمختصرات العالمية، وفي الاعتزاز اللغويّ فضاء الطالب والمطلوب فهل من مخرج؟

نعم هناك مخارج ومسالك علينا اتّباعها في هذه المرحلة الحاسمة ويكون المنطلق من لغة علمية تُفيد منها، ولا تكون لغة الهوية، إضافة إلى ضرورة الاستثمار في التربية والتعليم، والاهتمام بالبحث التربويّ وتحديث المناهج للتغلب على عقبات تعليم العربية، والاهتمام بالترجمة وتنمية المحتوى الرقميّ العربيّ، وهندسة اللغات، وإنجاز المعجم التاريخيّ للغة العربية والذي يؤدي إلى إنتاج المعرفة بلغاتنا بها وفي ذاتها، ونشرها باعتبارها لغة علم ومعرفة وفكر وثقافة.

أيّها الطالبات أيّها الطلبة، اعلّموا أنّ خوضكم لغمار استعمال الوسائط الجديدة، وللميديا المعاصرة، ولمختلف الوسائط التّواصلية من: فسيكة وتوترة وانستغرام وتليجرام والمالي سبينس وسناب شات، وgps والزووم ومختلف مستلزمات الحواسيب والمحمولات، وتلك الأدلة الوظيفية ضرورة قصوى وهو في صالح الفقراء؛ حيث يجمع الطالب بين الوظيفة والتّدرّيس مدى الحياة، وقضاء مصالحه العلمية وغير العلمية عن بُعد إضافة إلى برمجيات الدّراسة عن بُعد، وتخزين المكتبة الرقمية، وكلّ هذا من مستلزمات العصر إن لم يكن خياراً استراتيجياً حديثاً مفروضاً، وإلاّ ستعيش خارج التّغطية. وما

يجب علمه أنّ أربعة وعشرين (24) مليوناً جزائرياً يستعملون الفسبكة وأنّ أحد عشر (11) مليوناً جزائرياً يستعملون التوترة، وأنّ مليوناً ونصف (1,5) يستعملون الأنستگرام، وأنّ واحداً وسبعين (71) من ساكنة الجزائر شباب... وكلّ هذه الفئة تستعمل هذه الوسائل، فكيف تحصل لهم المرافقة في هذا الفضاء الأزرق لصالح العربيّة. وهذا ليس بالأمر الصّعب إذا وقعت التوجيهات اللغويّة في حسن استخدام العربيّة، والإبداع من خلالها عن طريق المتديبات وفرق البحث التي تقوم على إدارة استعمال هذه الوسائط بطريقة علميّة تفيد العربيّة وما تلك المشاريع القائمة الآن من المقاولات الجزائريّة المبدعة Startup ببيعد، فبعضها أبدعت في تطبيقات العربيّة، بل أضحت لها براءات اختراع في حسن تعليم العربيّة وجمع المدونات.

إنّه معطى التّطوير الحديث بما يعرفه العالم المعاصر من تشوير للفكر المصحوب بالتّقانات المعاصرة. ولهذا عليكم الاستثمار في علميّة العربيّة عبر مستجدات الرّقمنة؛ حيث تجمع العمليّة بين المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. والبحث في تقديم مشاريع جماعيّة في بناء المنصّات وفي ملء فراغات خانات أنظمة Windows في المحلّلات التّحويّة/ الصّرفيّة/ الإملائيّة/ إدخال المعاجم الوظيفيّة... ونوجّه طلابنا إلى الخروج من التّمطيّة التّقليديّة التي لا تُركّز على إلهام المتعلّم بالإبداع وراء إبداع، فانفتحوا أيّها الطّلاب على آليات العصرنة وآفاق المستقبل. ولا يمكن أن نتحدّث عن علميّة العربيّة ونحن لا نزال لم نُطوّر آلياتنا التّدريسيّة، ولا بدّ من جلد الدّات في هذا الجانب، ونقول: إنّ العربيّة لا يطورها إلاّ أهلها، وأين مقامهم من التّدريس باستعمال (Power Point) وكثرة العودة إلى توظيف (Excel)

فالذي اخترعه أعظم عقلاً من مخترع الطائرة، وأين محلّ الأستاذ من فتح مشاريع في الذكاء الصناعي وإلى أي مدى يُتقن الأستاذ علمية OCR / تحويل الصورة إلى (Word) بله الحديث عن توظيف أنظمة الذكاء الصناعي في صناعة البرمجيات، وأين محلّ المخابر اللغوية في فرق البحث ذات الاختصاصات المتنوعة، وأين دور الجامعة في المحيط الصناعي والاجتماعي وما يتبع ذلك من نمطية لخريطة التنمية الوطنية عبر تحديث منظومة التربية والتعليم... تلکم جملة من الأمور التي علينا الرهان على خوضها في لاحق من الزمان، وما عشناه في هذا الظرف الصحي يتركنا نعيد النظر في كيفية استمرار الحياة في زمن الأزمات والتوازن، كيف نحقق (اشتدّي أزمة تنفجی) كيف بُدع في مختلف مجالات العربية، وتعلمها بیسر وسهولة بتوظيف البنيات القاعدية الموجودة في اللغات العلمية. هنا المشكلة التي ندعو الطلبة لممارسة أنشطة الهندسة اللغوية، ولا شك أنكم سوف تصلون إلى فهم كنه صناعة التطبيقات التي تعمل على رقد العربية، ويكون لها المقام العلمي بل التصدر لما لها من خصائص في جذورها واشتقاقاتها التي لا توجد في اللغات الأخرى، والعول عليكم وعلى الشباب الطموح الذي نرمي له هذه اللغة فيطورها، أستم جديرون بمواصلة أمانة علمائكم الذين أبدعوا في المتون، وعليكم الأبداع في العلوم، وبذلك تنطبق عليكم مقولة (خير خلف لخیر سلف).

- **الخاتمة:** لا يعني حرصی على العربية الانغلاق عليها دون غيرها من اللغات، بل لا بدّ من التلاقح اللغويّ عطاءً وأخذاً، وكما خلصت إلى ضرورة الانطلاق من لغة عالمة علمية يُستأنس بها وبمراجعتها ومصطلحاتها

وقواعدها العلميّة، لأنّ التّخصصات متداخلة؛ تحتاج إلى لغة مشتركة للتّواصل العلميّ في ما بينها، وبخاصة في ظلّ خدمات الشّابكة وأنّ العالم قرية صغيرة يؤثّر ويتأثّر، إضافةً إلى الانفجار المعرفيّ الذي أضحيّ غرفةً صغيرةً كذلك، ولغة تواصله الانكليزيّة؛ ولا بدّ من البقاء في عالم تنافسيّ معلوماتيّ؛ والذي يتحتّم علينا التّسلّح بمعرفةٍ غزيرةٍ ومعلوماتٍ متجدّدة بذات اللغة التي يُصنع بها التّواصل العلميّ على نطاق أوسع؛ يعني ضرورة إيلاء اللغة الإنكليزيّة مكانةً وقيمةً لأغراض البحث العلميّ، وأنها المَرَكَبُ الذي يوصلنا إلى اللحاق والاستفادة من العلوم الحديثة. وهنا لا ننعل لغة العولمة حتى نستفيد منها ونعمل على تطوير لغتنا من جانبها العلميّ، ولا نغلق عن العولمة فهي في صالحنا إذا عرفنا كيف نتماهى معها بالمحافظة على الخصوصيات، وهي لا تتدخّل في الخصوصيات، وهذا ما تقرّه كلّ المراسيم الأُمّية بالمحافظة على اللغات الأمّ، وبالاحتفاء باللغات الرّسميّة، والعيش معاً، وبالتنوّع الثّقافي... وعلينا حسنَ ترشيد آليات التّرجمة من اللغات الأخرى، فالعلم لا تُحورّه ولا تحتكره لغةً واحدةً، ويعني كلّ هذا أنّ العلميّة موجودة في كلّ اللغات الطّبيعيّة وأيّة لغة وقع الاهتمام بها تكون علميّة وإذا وقع إهمالها تنقرض وتموت. واللغة العربيّة لغة علميّة لا تموت، وهذا ما تُبرزه الدّراسات المستقبلية أنّها من بين اللغات العولميّة التي لا تميّتها كوليرا اللغات، وستحصل لها العولمة العربيّة مع نهاية هذه العشريّنة، كما يحصل لها العولمة العالميّة آفاق 2050، فأنعم بها من لغة جامعة!

اللغة العربية والتواصل الحضاري[♥]

- **الديباجة:** نشكر الفاعلين النشيطين في اليونسكو على اختيارهم شعار الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية هذه السنة 2021م بميسم (اللغة العربية والتواصل الحضاري) ويأتي تأكيداً للدور المهم للغة الضاد درة تاج اللغات وجلالة الملكة (اللغة العربية) في السبق لمد جسور التواصل بين الشعوب عبر الثقافة والعلم والأدب في منظور التكامل بين الشعوب. وهكذا يُظهر بيان منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم أنّ الغاية من هذا الشعار إبراز الدور التاريخي الذي تضطلع به اللغة العربية لمواصلة استحداث المعارف وتناقلها، وهي وسيلة للارتقاء بالحوار وإرساء أسس السلام، في ظلّ تغوّل العولمة، وتبعات الرقمنة، وموت اللغات، ونحن بحاجة إلى تعزيز الحوار بين الشعوب، والعمل على التقارب اللغوي الذي يؤدي إلى السماع للآخر. وباعتبار العربية من أكثر اللغات إسهاماً في التواصل الحضاري على مرّ القرون، وذلك ما تجسّد في ثراء الوجود الإنساني، وما وقع الانتفاع به من الموارد. ومن خلال هذا الشعار نقول: إنّ العربية تُتيح الدخول إلى عالم زاخر بالتنوع الثقافي بجميع أشكاله وصوره، وقد كان لها ذلك في ما مضى من الزمان، ولم يتوقف مع حدوث بعض الهنات التي علقت به لبضع من السنين وها نحن -أهل اللغة العربية- نريد أن تعود إلى تأثيرها كلغة تواصل يومي

[♥] كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في احتفائية 18 ديسمبر 2021. فعالية مشتركة بين المجلس الأعلى للغة العربية والملحقة الثقافية السعودية. أنجزت بتاريخ: 19 ديسمبر 2021.

ولغة فرنكية أممية، وقد أثبتت خصائصها الداخليّة تنوعاً للأصول والمشارب اللغويّة أنّها في كامل طبيعتها لغة تواصلية دون خدوش، كما أنّ خصائصها الخارجيّة تُظهر بعوامة جديدة قابلة للتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، وقد كانت لغة التّواصل في طريق الحرير، وكانت لغة أفريقيّة في طريق الملح. وإنّها لغة تحتوي على شواهد تُبين الصّلات الكثيرة التي تربطها بعدد من لغات العالم الأخرى، وساعدت على نقل المعارف العلميّة وفلسفة اليونان والرومان، ونقلتها إلى أوروبا في عصر النهضة. وما يمكن أن نلاحظه في هذا الأمر الحضور الإسلاميّ الذهبيّ الأندلسيّ باعتباره حجّة للتقارب بين الحضارة المسيحيّة والإسلاميّة، وبين التّراث اليهوديّ والإسلاميّ... وهكذا أصبح استحضار الأندلس الإسلاميّة وبدرجة أقلّ منها صقليّة الإسلاميّة من المواضيع المتبدلة في سياق الخطاب المتداول حول التقارب بين الثقافات وحول الوحدة التاريخيّة والحضاريّة في البحر الأبيض المتوسّط، وأيضاً بخصوص التّسامح بين الشّعوب من مختلف الديانات. وكانت جسراً علمياً لثمانية قرون خلت وأتى عليها الذي أتى على الفردوس المفقود، وتذهب مجرّط وإشبيلية وطليلطة وقرطبة هباء:

بأربع فاقت الأمصارَ قرطبةً منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثتان والزّهراء ثالثهما والعلمُ أعظمُ شيءٍ هو رابعها
وكان ذلك من المتعة الثقافيّة بصيغة مستفيد من الحضارة الشّرقيّة التي
كانت شعلة العالم، وكما قال (Pierre Gory) الحاصل على جائزة نوبل في
الفيزياء لسنة 1903م "لو لم تُحرق كُتبُ المسلمين؛ لَكُنّا اليوم نتجوّل بين
المجرّات". هي منجزاتٌ حصلت من المسلمين، وأتاحت هذه الإسلاميّة

العلمية والثقافية إقامة الحوار بين الثقافات على طول المسالك البرية والبحرية من الصين وسواحل الهند إلى القوقاز وروسيا البيضاء، مروراً بشبه الجزيرة العربية، وإلى بلاد الهلال الخصيب، ومن توات إلى القرن الأفريقي مروراً بدول السهل إلى الكاب.

1- **لنا السبق الحضاري:** ما يجب العلم به أنّ الحضارات دُول، وقد كانت حضارة العرب الإسلامية بماضيها المشرق، وبنموذجها الممدق حضارة عالمة عالمية أيام تحبّط الأمم في ظلمات بعضها فوق بعض. ألم يكن الجغرافي العربيّ (الإدريسي) أوّل واضع لخريطة العالم، وأنّ مكتشف الدّورة الدّمويّة الصّغرى هو (ابن التّيفيس) ومؤسّس علم الاجتماع (ابن خلدون) وأشهر الرّحالة في القرون الوسطى (ابن بطوطة) ومؤلّف كتاب (الطّريق إلى المدائن) (أحمد عادل كمال) وواضع التّحو (أبو الأسود الدّؤلي) والعالم العربيّ الذي اكتشف انكسار الضّور هو (الحسن بن الهيثم) ومن أعظم أطباء العالم صاحب كتابين: (الجُدري والحصبة + الحاوي) هو الرّازي، والذي وضع التّاريخ الهجري هو (عمر بن الخطّاب) وفتح بلاد الصّين (قتيبة بن مسلم الباهلي) وأكبر علماء التّاريخ صاحب كتاب (الكامل في التّاريخ) (ابن الأثير) وأنّ فاتح القسطنطينيّة هو (محمّد الفاتح) ومؤلّف كتاب (الدّاء والدّواء) هو (ابن القيم الجوزية) وأوّل من وضع معجماً باللّغة العربيّة هو (الخليل بن أحمد) وكان أنموذجاً لصناعة معاجم اللّغات، وأوّل من وضع صورته على التّقود (الإسكندر المقدوني) وأوّل من أصدر عملة عربيّة هو (عبد الملك بن مروان) وأنّ (الخوارزمي) أوّل من فتح مجال الخوارزميات بكتابه (الجبر والمقابلة) وأوّل خليفة ترجمت له الكتب السّريانيّة والأعجميّة

إلى العربيّة كتابين: (كليلة ودمنة+ إقليدس) هو (أبو جعفر المنصور) وأنّ قناة السّويس المجرى المائي الصّناعي كان بغرض توصيل البحر البيض المتوسّط بالبحر الأحمر، وأنّ (الزّجاج) اختراعٌ شرقيٌّ عرفه الأوروبيون أثناء الحروب الصّليبيّة فنقلوه إلى أوروبا... والقائمة كبيرةٌ وطويلةٌ من التّصدّرات ضمن وعيٍ لغويٍّ حضاريٍّ باللغة العربيّة حصل للعرب وكانت لهم الريادة، مع كلّ ما حصل لا ننكر وجود صدامات بين الحضارتين من مثل معركة (اليرموك) بين المسلمين والرّوم، ومعركة (ميسلون) بين العرب والإنكليز، وأنّ الصّلح عقد بخصوص إنهاء الحروب جرى بين (صلاح الدّين الأيوبي) و (ريتشارد قلب الأسد) ملك إنكلترا في صلح سميّ (صلح الرملة)... وهكذا دواليك... ونحن الآن نعيش حضارةً معاصرةً وفيها نحتاج إلى وعيٍ حضاريٍّ جديدٍ للتّهوض ونريد وعيَ إدراكٍ الحضارة المعاصرة بجملة مظاهر التّقدّم الماديّ والمعنويّ دون همجيّة وتوحّش بتمكين آليات الحداثة اللغويّة وبإدراك فقه التّحضّر المعاصر بمنطق الإسلام والعربيّة لتشكيل التّهوض، وبتفاعل مقاصديٍّ مع العلوم والظواهر الحديثة؛ دون انعزال عن المتغيّرات وبعامل التّدافع لكسب منظومة الفعاليّة اللغويّة، بدل السّقوط الحضاريّ ونحن نعيش الفرصة العائدة من الدّورة التّاريخيّة، فكيف نعدّ العدّة للوعي بالمستقبل في فقه التّهضة من جميع جوانبها باعتماد اللغة المشتركة؟ وإنه من الضّروري استدراك ما فات، وتدارك الأخطاء، والوعي بحضارتنا هو الذي يحقّق لنا الشّهود والموقع والتّصدر والتّطوُّع، رغم أنّنا بدأنا من القفار، ولكن أقمنا الحضارة فيها، وكان لنا العزّ، وانعكس ذلك في

صناعة الرسالة الربانية، وترسّخت معالمها التطورية، ألم تسمعوا بقول الشاعر القطامي:

ومن تكن الحضارة أعجبتَه فأيّ رجالٍ باديّة ثرانا
وقال فيها (ابن خلدون) "والحضارة إنما هي تفنّن في التّرف وإحكام الصنّاع والملابس والمباني والفرس والأبنيّة وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكلّ واحد منها صنّاعٌ في استجداته والتأق فيه، تختصّ به ويتلو بعضها بعضاً، وتتكاثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشّهوات والملاذ والتّنعم بأحوال التّرف، وما تتلوّن به من العوائد. فصار طورُ الحضارة في الفلّك يتبع طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعيّة الرّفه والملك". هي دورة الحياة تعود دور الوعي الحضاريّ لماضيّنا المشرق بما لنا من قدّم التّمودج أيام القحط والظلمات، وقد جاء الوعي الحضاريّ الإسلاميّ لتصحيح ما كان، وكفانا غفوة أرختْ سدولها علينا، فانكمش دورنا فطويت الحضارة على قوم دوننا فكان ما كان. وبقيت الذّكري حبيسة الأسفار يذكرها هذا الزّمان، فما الحلّ لإعادة الحركة في نفوس هذا الجيل!؟

2- **في عمق لغة الضاد:** إنّ العربيّة من أكثر اللغات جذوراً وامتداداً في الزّمان والمكان، وأغناها كلمات وأوسعهنّ معاجم، وأبلغهنّ فنون القول والبيان والفصاحة. وأنّ الإسلام هو البعد الحضاريّ الذي جعلها تخرج من شبه الجزيرة العربيّة؛ لتتألّ حواضر الشّرق والغرب والشّمال والجنوب في ظرف زمنيّ قصير، زمن الفتوحات الإسلاميّة التي سبقتها التّجارات والمقايضات، فانتشرت بما لها من القوّة الناعمة التي مكّنتها التّغلب على

لغات الكثير من البلاد، ويعود ذلك إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها وقواعدها، وغنى معجمها، وقدرتها العالية على التعبير. هي عربية المعجزة الخالدة التي لم تنقرض منذ واحد وعشرين (21) قرناً وبقيت مسيرة لتحديات كثيرات، ومنها التحدي التقني، وهي تؤكد حضورها في وسائل العصر بقوة ذخيرتها الجارية التي تُعطي لها صفات البقاء والخلود. وهكذا لعبت الحضارة العربية الإسلامية بلغة الدين دوراً في التواصل بين الشعوب على مرّ الزمان، وما تزال آثار تلك الحضارة ترى باستمرارية متجددة وبمنطق الدورات التاريخية المرتبطة بمركزية الدين، وما يتبعها من إنتاج الأفكار والتحلي بالقيم الأخلاقية، وما يحصل وراء ذلك من تراتب المهام وأولوية العمل ومنطق العمل لتحقيق الفعالية. وما يجب علمه أنّ العربية كانت العامل الأساس في إيجاد جسور هذا التواصل الذي أدى إلى بناء علاقات حميمة وتفاعلات حضارية تُقرب بين الأطراف المختلفة. لماذا اللغة العربية؟ لأنها كانت لغة نسبية في طريق الحرير، ولغة كاملة النسبية في طريق الملح، ولغة نسبية مئة في المئة في الفردوس المفقود، وبمصطلح العصر الحاضر (لغة العولمة) وبذلك اتسعت حضارة الإسلام بها خارج شبه الجزيرة العربية وكل ذلك الانتشار جعلها تسمو في أساليبها، وتدخل فيها ألفاظ جديدة تتلاقح مع لغة البلد. ولا أحد ينكر ذلك التأثير اللغوي الحاصل الذي أثمر في العربية تطوراً مدهشاً؛ نقلت العربية نقلة نوعية من أدها القديم الجاهلي إلى الأدب الأندلسي المناكف لموروث المعلقات، والوقوف على الأطلال إلى: جادك الغيثُ إذا الغيثُ هما يا زمان الوصل بالأندلس

وهكذا عرفت اللغة العربية مرحلة التلاقح بزيادة التلقيح من لغات مُجاورة بمكمن الاحتكاك الذي كان ضرورةً حضاريةً تاريخيةً أدى حتماً إلى تداخلها. وعرفت خلال ذلك كله المراحل الحضارية التالية:

2/1_ مرحلة التأسيس الغروبي: وهي مرحلة اللغات العروبية من ثمودية وصفوية وحيانية ومازيعية... وتظهر في بعض النقائش الباقية التي كشفت عنها بحوث كربون 14، ولا نملك عنها إلا بعض الصور النحوية المستعملة في اللهجات الباقية.

2/2_ مرحلة الساميات والنظائر: وهي مرحلة الترقى بوجهة لغوية مع اللغات الشرقية على غرار: الأمهرية + السريانية + المندائية + العبرية + الفارسية + العثمانية + الأوردية، وهي مرحلة غلبة العربية فيها، وكانت أمّ الساميات، ويقول المستشرق (إرنست رينان / Ernest Renan) في كتابه تاريخ اللغات السامية / (Histoire générale des langues sémitiques): "إنّ انتشار اللغة العربية يُعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلّها؛ فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفة باديء ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسلة غاية السلاسة، غنية أيّ غنى... وإن اللغة العربية - ولا جدال - قد عمّت أجزاء كبرى من العالم."

2/3_ مرحلة الخروج من الأرومة اللغوية السامية: وهي مرحلة العصر الجاهلي في شبه الجزيرة؛ حيث كانت لغة البداة المتبدلين في نجد والحجاز، لغة سافلة الأعالي وأعالي السافلة، ولغة أكلوني البراغيث وأكلّة

اليرابيع وحرشة الضباب، وما كان ذلك إلا لتصبح صافية فصيحة حيث عبّرت عن الصفاء اللغويّ في عترته العفوية ذات الطبع الخاصّ.

4/2_ مرحلة الأخذ والعطاء: وهي المرحلة التي صاحبت الفتوحات الإسلاميّة؛ حيث يستدعي التعليم والترجمة ونقل العلوم، وقد عرفت العربيّة وجوداً حضارياً خارج موطنها، ونالت المقامات العُلا في الأندلس بجزيرة إيبيريا وفي بلاد السند، وتعوّلمَ خطّها في لغات أفريقيا، وأضحت لغة (Langue Franca) في التّواصل الحضاري، وهذا ما يقرّ به (گوستاف لوبون/ Gustave Le Bon) صاحب كتاب حضارة العرب (La civilisation des Arabes): "... كلّما تعمّق المرء في دراسة العربيّة تجلّت له أمور جديدة واتّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلاّ بوساطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق". ويقول الباحث (ماكس فانتاجوا/ Max Vintéjoux) في كتابه (المعجزة العربيّة/ Le miracle arabe): "الحقّ أنّ مؤرّخيننا قد حاولوا جهدهم أن يجعلوا من العالم الغربيّ محوراً للتاريخ، مع العلم بأنّ كلّ مراقب يدرك أنّ الشّرق الأدنى هو المحور الحقيقيّ لتاريخ القرون الوسطى. إنّ تأثير اللغة العربيّة قد شكّل تفكيرنا بصورة كبيرة... والكلام كثير جداً، ويظهر ذلك في كثرة الألفاظ العربيّة في جسم معاجم اللغات اللاتينيّة واللغات الشّرقية نتيجة التّعايش الحضاريّ الذي شكّل مرحلة العطاء والأخذ، وكان للعرب دور احتكار آليات التفكير العلمي في جانب التّنظير.

5/2 - مرحلة فرض الأمر العلمي: هي مرحلة التلاقح العلمي الذي فرضت فيه العربية أنماطها عبر اللغات اللاتينية بالخصوص، وقد أسكتت كل اللغات السامية، وأصبحت مرجعية في النحو والمعجم والأدب وأسست مدارس كبرى عبر حواضر: بغداد+ مكة المكرمة+ القيروان+ القرويين+ بجاية+ تلمسان+ حلب... وأصبحت مجتمعات علمية تقصد من قبل الغرب وكان هذا الفعل ظاهراً في الثقلة المؤسساتية في الأندلس حيث نجد الحضارة العربية الإسلامية أفادت الحضارة اللاتينية وغيرها من الحضارات؛ مما جعلها تطبق ذلك في مجالات شتى، وأفادت عقول مفكرها، وشجعت البحث والعلم والمعرفة، وأنشأت مؤسسات سادت عصرها، وأثرت في الحضارة المعاصرة. إلا أن الحديث قعد بنا الزمان من تقاعسنا، رغم كثرة دولنا ومؤسساتنا العلمية والثقافية، وقد ينطبق علينا:

كُثُرٌ، ولكن عديد لا اعتداد له جمعٌ، ولكن بديد غير متسقٍ حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا أما الرؤوسُ فرأي غير متفقٍ فما هو المخرج والحل؟ لا بد من منهج جديد؛ منهج يُخرجنا من الجمود الفكري والتحجر العقلي والتعصب للرأي، وإلزام الناس بما لم يلزمهم الله به. وبما يمكن أن يقال بأننا أهملنا تواصلنا بلغتنا وثقافتنا، وبماضينا المشرق ووجدنا أمامنا حضارة غربية وصلت إلى أعالي درجات التقدم والاكتشافات الثانوية. هي حضارة انبهار شقت طريقها بقاعدة إسلامية وتجاوزتها. ونحن لا نزال ندور في سطحية الأفكار وجدال أسباب التخلف، ولم نستطع تحريك العقل العربي إلى تدبير جديد، ولذلك عاشت الضحالة في أفكارنا، وغاب

الرَّجُلُ المرجعيّة، ولكن هناك أمل التّغيير الذي سيتلوه الإصرار على ضرورة الأمل والعمل ثمّ العمل.

3 - ضرورة التواصل الحضاري المعاصر: إنّه استمرار لذلك التّعايش

القديم بين الحضارات التي سادت في قرن/ قرون أو في فترة زمنيّة محدّدة وتمثّل ذلك في التواصل الحضاريّ واللغويّ/ (Cultural communication and linguistic) في تواصل بين الحضارات في تبادل المنافع عن طريق اللغة. وتمثّل ذلك في العربيّة واللاتينيّات في تبادل الكلمات، وخير من يجسّد الصّورة الحقيقة كتاب les , Nos ancêtres Ce que notre langue leur doit , arabes Jean Provost , وكذلك كتاب جاك (Jack Lang) الموسوم (La langue Arabe, trésor de France)؛ لنرى ما حفلت العربيّة، وما سوف تحفل به من أسس استكمال اللبّات التي تجسّدت في القرون الوسطى عندهم، وقرون العلم عند العرب، قرون عاصمة العلم بغداد العلماء، بغداد بيت الحكمة وحاضرة الأندلس في ملوكها المسلمين وفي جامعاتها العالمة. قرون الانفتاح والتّأخي، ولكم دينكم وليّ ديني وهذا ما يؤرّخ له الشّاعر القروي:

يا حبّذا عهدُ بغداد وأندلس عهدُ بروحي أفدي عودَه وذوي
يا قومُ هذا مسيحيّ يذكركم لا يُنهضُ الشّرقَ إلّا حُبنا الأخوي
وسيطلّنا التّاريخُ على عمق التّأثير العربيّ الإسلاميّ بحضارة شريّة إذ
نجد فيها العربيّة لسائها الذي فتح صفحة لالتقاء ثقافتين العربيّة الإسلاميّة
واللاتينيّة المسيحيّة، اتّصلتا وتفاعلتا فتعرّضتا للتّأثير المتبادل عبر عصور

التعايش المشترك. وهذا الزخم إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على عمق التواصل الحضاريّ بين أمة شرقية عربية مسلمة، وأمة غربية نصرانية لها حضارتها وثقافتها لا يمكن تجاهل مسلماتها. وفي كلّ هذا فإنّ ما نستنتجه إنّ اللغة كانت المعبر الحقيقيّ للقوة التي تستند إليها أيّة حضارة تُريد لنفسها البقاء أو الانتشار خارج موطنها، وكانت العربية المنطلق التي كرمها الله بكلمه، وجعلها تستفيد منها اللغات في نقل العلوم وتوصيلها إلى مواطن لم تكن لتصلها لولا الدين الإسلاميّ والتسامح اللغويّ والتأثير العلميّ ما كانت لتكون في آسيا، وبلاد الأندلس، ودول البحر الأبيض المتوسط وكانت في أوج عطائها في العصور الوسطى وظلتّ لخمسة (500) سنة لغة المعرفة والثقافة والتقدّم الفكري. وتمت ترجمة معظم المؤلفات الإغريقية الكلاسيكية العلمية والفلسفية إلى العربية في القرن التاسع. وانطلاقاً من هذا الأساس حقّق العلماء العرب العديد من الكتب في العلوم والطب والرياضيات. وكان تعلم اللغة العربية شائعاً على نطاق واسع في إنكلترا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكانت للعربية السيادة كلغة عولمة بحماية الدين والعلم، وطلبها أصبح من الواجب، وذلك ما يصرّح به بول ألفارو / Paul Alfaro المسيحيّون مولعون بقراءة الأشعار والقصص العربية، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته، لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربية وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير اللاتينية للكتاب المقدّس، أو من يدرس الأناجيل، أو كتابات الأنبياء والرسل؟ واأسفاه! إنّ جميع شباب المسيحيّين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربية ودراستها بحماس.

أيها الجمع الكريم، هناك حقيقة لا بدّ أن تُقال، وهي أنّ الثّقافة العربيّة كانت وسيلةً تواصلٍ عبر المشتراكات الخاصّة، وهي في وُدّ واحترام للمشتراكات العامّة، فعند احترام المشتراكات العامّة تتحوّل كلُّ المشتراكات الخاصّة بصورة طبيعيّة إلى تواصل والتّقاء وتفاهم واحترام، فإذا سادت أجواء الاحترام لا تحصل أيّة خلخلة في أن يتعلّم مجتمع لغة قومٍ آخرين وأن يتواصل معهم من خلالها، ويمكن في هذه الحال أن ينظر إلى كلِّ مَنْ أجاد لغة -إلى جانب لغته الأم- بحسبانه جسراً بين شعبين/ أمّتين، وحينها نستطيع إقناع كلِّ مَنْ يتعلّم لغة جديدة بأنّه يُمثّل جسراً جديداً، فتتكوّن القاعدة التّقاربيّة التّسامحيّة اللغويّة الحضاريّة بين الشّعوب الإنسانيّة.

إنّ عدول الأمة العربيّة الإسلاميّة المعاصرين حملوا همّ انتعاش التّواصل الحضاريّ بين البشر؛ وهو شعار الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة لهذه السنّة، ونقول بأنّ أجدادنا العرب عملوا على تجسيده من خلال المخطوطات التي زرعوها فيها أمل التّكامل، وهي التي أبانت عن العروبة والإسلام في لحمه الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ويصطبغ بطابعها، وبعقول أبنائها، وما شيّدته سواعدهم الفتية؛ ليقدّم في النّهاية مُنجز العرب المسلمين لغير المسلمين، والمهمّ في ذلك هو وجه الدّين الإسلاميّ واللغة العربيّة. وهنا تكمن الحاجة إلى إحياء تراثنا وقراءته قراءة حديثة، وترجمته إلى الغرب لتحقّق التّرجمة أهدافها، وهي بريد اللغات، والتي من أهمّها التّواصل بين الشّعوب المختلفة والثّقافات المتنوّعة، وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح -عندهم- لا يُشارك في الحضارة الإنسانيّة إلّا مستهلكاً، وفي ذات الوقت لا بدّ من الاستفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة لتواصل بمبدأ العطاء

والأخذ. وهذا ما رأيناه من مَهْمَتنا من خلال هذا الاحتفاء أن نبرز أهمية التواصل الحضاري؛ باعتباره عنصراً مهماً في إرساء حوار الحضارات وتواصله وباعتباره خياراً استراتيجياً يُؤدّي بالبشر إلى الأمن والاستقرار بتعزيز احترام التنوع الثقافي المضيف، وإرساء مسلك تربية قبول الآخر كأسس جديدة للتعاون الإنساني في راهننا. ومن هنا، فإن واقعاً جديداً بدأ يبرز في إقامة جسور التفاهم بين الشعوب، وحرّيّ بنا تهيئة الأجواء والمعدّات بما يحفظ لنا خصوصياتنا الدينيّة واللغويّة، وضرورة التماهي في القوى التفاعليّة الثقافيّة بمبدأ القوّة الناعمة، من منطلق رابع رابع.

أيّها الحفل الكريم، إنّ التواصل الحضاريّ ضروريّ وليس ترفاً، وكما يقول (مالك بن نبي) "... الحضارة هي الحاضنة للتقدّم والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبرّرات الدافعة لليدّ والعقل للاستفادة من الوقت... وتبدأ الحضارة حين يتعلّق الإنسان بمبدأ سماويّ... حيث ينتهي القلق والاضطراب، فإنّ أمن الإنسان يتفجّر فيه ينبوع الإبداع والإنشاء". ويتبعه التواصل الحضاريّ الذي هو الوصل بين طرفين في إطار الاقتراب بينهما أو التعاون، وهو ضرب من التواصل الرّاقى الذي ينبثق من الإرادة الجماعيّة والرّغبة المتبادلة والإحساس المشترك باعتباره ضرورة من ضرورات التعايش والتّفاهم بين العديد من الأطراف. وربّما يمكن أن نسميها حلف الحضارة المعاصرة المطلوب تجسيدها تحقيقاً لتعزيز التعاون الدوليّ عن طريق حوار الثقافات، وتحالف الحضارات تدعيماً للسّلام العالميّ؛ بهدف تلاقي اللغات وتحقيقاً للاندماج والتناغم الاجتماعيّ عن طريق تبادل معرفيّ وتقنيّ. ونحن العرب من مصلحتنا تعزيز ثقافة التحالف

بين الحضارات؛ كوسيلة للتواصل الحضاريّ وإعادة صورتنا القويّة في الميزان العالمي بما لنا من دينٍ عالميٍّ غير رهبانيٍّ ولغةٍ عاليّةٍ أصيلةٍ، وتراثٍ ضخمٍ، وعمقٍ وجود. ومن الضّروريّ أيّها الباحثون، بل المطلوب منكم الدّفع بكلّ ذلك في اتّجاه معرفة الإنسان بما عليه أن يجمع بين الجانب الإيمانيّ أولاً، والجانب الماديّ ثانياً، وهي غلبة المعادلة الحضاريّة من أجل بناء: إنسان+ تراب+ وقت، على رأي (مالك بن نبي) وهذا ما يجب أن نتّجه به لتحقيق توازن صناعيٍّ غربيٍّ عولميٍّ يحتاج إلى حوارٍ تواصليٍّ من خلال المحافظة على القوانين العالميّة والتمط العولمي من غير السّماح للصّدام؛ تحقيقاً لأهداف حضارتنا الشّرقية السّاميّة.

أيّها الحضور، اسمحوا لي أن أقول: من واجب السّياسيين والمثقّفين العرب أن يعملوا من أجل تجسيد نقاط الالتقاء بين الشّعوب عن طريق المنطق والعقل، والعمل على بناء أرضيّة مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة، والسّعي لتحقيق المثاقفة والتّلاقح الفكريّ الذي يسمح بالتأثير والتأثر، وليحلّ التّسامح محلّ نظرة الاستعلاء والاحتقار. وإنّ تحقيق اليوم العالميّ للغة العربيّة يدخل في ضرورة الاعتراف بالاختلاف وبالتنوّع وبضرورة إشراك الحضارة الإسلاميّة في صنع القرار، ويجعل هذه الحضارة قوّة اقتصاديّة عاليّة؛ ولذا يجب بناء اقتصاد قويٍّ حتى يكون لنا موقع في صنع القرار.

وأخيراً، إنّ الأصل في الحضارات التّواصل لا الصّراع، وعلينا من خلال هذا الشّعار الالتزام بأداب الحوار، وشروطه وضوابطه، وضرورة احترام المرجعيّات والخصوصيّات الثقافيّة، ليرتقي شعارُ اليونسكو إلى مستوى سامٍ

رفيع، ولا سبيل للتواصل الحضاري الحقيقي إلا بتحقيق قوله تعالى ﴿يَتَّيَبًا
الْأَناسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13. وهو سبيل من سبيل التواصل الحضاري
ومن ركائز الدعوة الإسلامية. ولولا هذه الوسائط الوشيحة التي رسّخها
الإسلام لما وصلنا إلى ما قامت تلك الحضارة العربية الإسلامية التي مدّت
جسورها الجامعة بين الشعوب والحضارات المختلفة، ولولا ذلك ما وصلت
الفنون والمعارف الإسلامية من علوم وبصريات وكيمياء إلى الغرب، في
الوقت الذي كانت الجاهلية تضرب أطناها في عواصم القياصرة والأباطرة.
ومن هنا نحتاج إلى مؤسسات أخرى تعمل في هذا الإطار، مع ما يتبع ذلك
من منتديات، وأنشطة وجوائز؛ تعزّز هذا المنحى لصفر صراع في أوطاننا
وتعميق التعاون لتحقيق المنفعة المتبادلة والفوز المشترك، وتحقيق الازدهار
المتبادل بروح الشمول، وهكذا نُحقّق وصفة الأجداد الأقوال ورقة
والأفعال ثمرة؛ فتعالِ نرّم الجذور القديمة من أجل الحوار، وتعالِ نبن
جسوراً جديدةً من أجل الحوار، وتعالِ نتواصل ليجمعنا السّوار، ونستذكر
حضارتنا ذات الفناء، ولعلنا نُعيد الكرة باقتدار.

اللغة الوطنية المشتركة

والتنمية الشاملة المستدامة[♥]

- **الديباجة:** سيكون حديثي إليكم سريعاً عن ضرورات التخطيط الاستراتيجي، وعن دور المجتمع المدني والقطاع العام والخاص في دولة المواطنة من أجل تنمية شاملة مستدامة، وأنا لست من أهل الاقتصاد ولكن أحدثكم عما يتعلق بمهام المجلس الأعلى للغة العربية، وفي إطار مهامكم كمقترحي أفكار، ومرافقي الحكومات هو ما أنقله لكم، وأركز عليه؛ بغية التعاضد في ما يخدم ما يجمعنا في ضرورة الاهتمام باللغة الوطنية المشتركة. وسوف أستفيض معكم في الموضوع. وأقصد باللغة الوطنية المشتركة تلك التي يفهمها عموم الناس، وهي من الضروريات التي نتداعى من أجلها ليكون لها موقع خاص في الخطاب الرسمي وفي المدرسة وفي الإعلام وفي كل مرافق الدولة بشكل طبيعي، بغض النظر عن وجود لغة/ لغات وطنية أخرى/ لغات لها صفة الوطنية، وليس لها صفة التمثيل الوطني في مفهوم الأداء المتفق عليه، أضف إلى ذلك عدم وجود صفة الاعتبار الدولي. وهذا الموضوع أخذ الكثير من المجادلات وعرف بعض التراجعات التي أفضت إلى التشكيكات في من نكون؟ وما هي أصولنا؟ وما هي اللغة الأم؟ ... وفي كل مرة نعيد نفس الكلام والأحرى ضرورة الخروج في المسائل التي فصل فيها الأجداد؛ بوصفة مائزة أفضت إلى استعمال تعدد لغوي يفصل بين

[♥] أعدت الدراسة لثلقى أمام أعضاء المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. بتاريخ 28

ديسمبر 2021م. قصر المؤتمرات بنادي الصنوبر

الخطاب الرسمي واللغة العاملة، وبين لغة المصالح اليومية البسيطة، ولم تشتك لغة من سجل لغة أخرى مطلقاً، بل هناك تصاهر لغوي للعيش معاً في بلد لا يعرف إلا التكامل اللغوي، فأنعم بها من وصفة!

وألقي هذه الكلمة أمام أعضاء المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الذي يشغل على اقتراح الأفكار، وتقديم بدائل نوعية في أفضل طرائق تجسيد المشاريع، ومرافقة الحكومات في التخطيط وفي التنمية المستدامة. ومن هذا المنطلق يبدو لي بأن التنمية المجتمعية لا تكون إلا بعامل أساس وهو الاهتمام بتنمية الموارد البشرية؛ باعتبارها منتجة لكل من الجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، كما أن الموارد البشرية تؤطرها لغة وثقافة وهي وسيلة التواصل والتأطير والسير إلى الأمام وبدون لغة وثقافة لغة لا يحصل التناغم الجمعي، ولا يؤدي ذلك إلى الانسجام المطلوب. ومن هنا فإن الأبعاد الثلاثة الأساس للاقتصاد والاجتماع والبيئة لا تبدو كافية لتعكس تعقيد المجتمع المعاصر، وأساس وجود المجتمع لغة التواصل البيئية والثقافة المشتركة والعادات والتقاليد والطموحات والمشاريع، وما يتبع ذلك من قواسم مشتركة. وفي هذا السياق، يتصدر جدول أعمال القرن XXI للثقافة والمكتب التنفيذي للمدن المتحدة والحكومات المحلية (UCLG) النظر في إعداد بيان السياسة اللغوية والثقافية على اعتبار أنها العنصر الرابع للتنمية الشاملة المستدامة وهذا ما نصّ عليه في قمة القادة المحليين والإقليميين المؤتمر العالمي الثالث لـ UCLG الذي عُقد في مدينة مكسيكو والذي يُشير إلى العلاقة بين اللغة والثقافة والتنمية الشاملة المستدامة من خلال انتهاج تطوير حكامه سياسية بين اللغة والثقافة في صنع جميع السياسات العامة؛ باعتبار لغة الثقافة

صمام أمان في الانسجام المجتمعي وهي التي تسير بالجمتمع نحو تفكير وطني يتمشى والمرجعيات والمتغيرات.

1- **عوامل التنمية الشاملة المستديمة:** لا يمكن الإمام التأم الوافي بكافة العوامل إلاّ بالقدر الذي يوفي مختصر الحديث عن أهمية تشكيل رأس المال البشري الذي يعمل على توفير المتطلبات ومواجهة التحديات لتشكيل نظام اقتصادي تنموي يخدم الموارد الطبيعية ويوفر الخدمات التسويقية والتقنية الفنية والتعليم العام ومن هنا، فإنّ التنمية الشاملة تعني القدرة على معالجة جميع جوانب الضعف في كافة القطاعات والمجالات الموجودة في الدولة مهما كان مجالها. وما أريد التركيز عليه هي التنمية المستديمة التي تُحدّد بالأماد الثلاث: المستعجل المدة+ المتوسط المدة+ الطويل المدة، وهذا ضمن خريطة استغلال الموارد المتاحة من أجل تلبية حاجات الأفراد في الحاضر والمستقبل ومجفّظ حقّ الأجيال في الاستفادة من هذه الموارد. ولهذا فالتنمية الشاملة تُعدّ عملية إحداث تغييرات هيكلية من خلال تحفيز القدرة بالشكل الذي يعالج مواطن الضعف، ويقدم البدائل النوعية؛ بهدف زيادة الإنتاج، ورفع مستوى المعيشة، والتخلّص من الفقر وزيادة الاستثمارات، وضمان حقّ المواطن في الحصول على حياة كريمة؛ تحقيقاً لرفاهيته وزيادة وعيه الثقافي؛ بنشر المعرفة بلغته والحرص على استقطاب الكفاءات ضمن المحافظة على أسس الدولة والحفاظ على استقلاليتها، ومواجهة كافة التحديات على جميع الصعد. وهي عوامل متضافرة تتطلّبها التنمية الشاملة ضمن تحقيق تلبية احتياجات المواطنين بمختلف فئاتهم، مع تخفيض نسبة البطالة، وتدعيم الاقتصاد وزيادة الإنتاج في سيرورة مجتمعية واسعة؛ تكون شريكة بين كلّ الدوائر، كلّ

بمهامه ومسؤولياته. ولهذا نرى بأنّ التنمية الشاملة المستديمة طويلة الأمد واسعة المعالم والعوامل؛ حيث يحدث فيها تفجير الطاقات بفتح آفاق الإبداع والابتكار، ضمن عملية مخطّط لها، وذات بُعد إداري تهدف إلى إيجاد مجموعة من التحوّلات الهيكلية، وذلك بتوجيه جهود الأفراد الواعية وتسخيرها من خلال تحفيز الطاقة الإنتاجية لديهم، وتتولّى الحكومات تنفيذ هذه العملية بالتعاون مع الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة.

2- طريق تحقيق التنمية الشاملة المستديمة: هناك المقصد في الأمر ويتمثل في: ضمان التربيّة والتنشئة الاجتماعية على مستوى الأسرة والمدرسة والإعلام، بما يتوافق مع القيم الأصيلة التي تخدم الفرد والمجتمع ورفع المستوى العلميّ والمعرفي لأفراد المجتمع، وترسيخ قيم وروح المواطنة لدى أبناء المجتمع، وتشجيع ودعم المبادرات الفردية المنتجة والنّافعة، فضلا عن الاهتمام بالعمل الجماعي والتّحفيز عليه... بلة الحديث عن ضرورة إصلاح مؤسسات الدّولة، وإقامة دولة الإنسان وسيادة القانون، وتنمية الكفاءات وبناء قدرات موظفي الدّولة، وتأهيل الموارد البشرية... ضمن استراتيجية واقعية قابلة للتّنفيد، يُسهم فيها المجتمع المدني الفاعل والمؤثر بقوة، بتجنيد توعية المواطنين للقيام بواجباتهم وحقوقهم، مع المشاركة في التّقويم والتّقييم لكل الخطط التّنمويّة.

وتروني في كلّ هذا أميل إلى التنمية البشرية في بعدها الثقافي وهي عمدة التّنميّة المستديمة، وبدونها لا تحصل التنمية الشاملة مهما توفرت لها الإمكانيات؛ لأنّ السلوكات البشرية إذا لم تُهدّب لا تؤدّي إلى بناء الدّولة بل تُسهم في تكريس المشكلات بشكل عامّ، وتضعف علاقة الحكومة بالمواطن

وتسود الكثير من السلوكيات المتمردة على الواقع، وذلك ما يفقد القانون هيبته واحترامه بين المواطنين. ولهذا، فالتنمية الشاملة المستديمة مستمرة نحو عمليات التغيير، ونقل المجتمع نحو الأحسن، وهذا ما اصطلحت عليه حياة الأمم المتحدة بأنها العمليات التي بمقتضاها تُوجّه الجهود لكلّ من الأهالي والحكومات بتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم، والإسهام في تقدّمها بأفضل ما يمكن. ويمكن أن يتحقّق هذا عن طريق الحكم الرشيد الذي يعمل على التوجيه والمراقبة، وعلى حسن التدبير بما يتوافق مع ميزانية البلد وثرواته الباطنية، مع تخطيط علمي يراعي التقلّة المطلوبة للعيش ضمن المدى الطويل؛ وصولاً إلى جعل بلدنا كوكباً متقدّماً للأجيال القادمة.

3- **مركزية الثقافة في التنمية المستديمة:** تقتضي تخطيطات البنية الاجتماعية الحديثة التركيز على مركزية اللغة المشتركة لبناء دولة قويّة بمؤسّسات قويّة كفيلة بتحقيق نموّ اجتماعي وسياسي وثقافي، وهذا من متطلبات الوحدة اللغوية والثقافية، وردّ الاعتبار للتراث الوطني، والتحرّر من الهيمنة اللغوية الاستدمارية. ولغة التعليم المشتركة هي الطريق الأمثل لإنجاز مهام استكمال بناء لبنات الدولة. ومع كلّ ما يمكن أن يُقال في هذا الموضوع، فإنّ الإصلاحات التربويّة لم تصل إلى أهدافها بفعل التسامح الذي عولجت به مسألة تعميم استعمال العربية؛ حيث لم تواكبه السياسة القانونية لصدّ بعض المواقف التراجعيّة، رغم ما عرفته من مجانيّة وجزأة وتوحيد اللغة في مرحلة القاعدة، لكن السّجال السياسيّ لم يفصل بين مراحل التعليم العالي الذي لم يتحرّر من لغة العدو. والآن نعرف بعض الأزمات في المجال

اللغويّ بسبب ما شاهدناه في تبعية التّغيير التي اتّسمت بها مجموع المخطّطات الحكوميّة التي سجّلت ركوداً في البنيات الاقتصاديّة بعيدة عن العلاقات الاجتماعيّة؛ بسبب عدم البتّ في عامل اللغة. فرأينا شبه رجعية متنكّرة لمصالح الجمهور العريض؛ بخطاب الاستيلاّب للثقافة الوطنيّة لدرجة الانكسار بين ماضٍ مغدق وحاضر مقلق. مؤسف جداً في كل دخول جامعي نجد التحويلات تترى من العلوم والتكنولوجيا إلى العلوم الإنسانيّة، ومؤسف أن نجد نسبة إعادة السنّة أو الرّسوب بسبب اللغة التي حدث فيها الانقطاع ومؤسف أن نقرأ الإحصائيات -إن كانت صحيحة- أنّ في الجامعات الفرنسيّة واحداً وثلاثين ألف (31000) طالب جزائري، ويهاجر حوالي (100.000) مئة ألف من أرباب المهن وعلى رأسهم العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء كلّ عام من ثمانية أقطار عربيّة، هي: لبنان، سوريا العراق الأردن، مصر، تونس، المغرب، الجزائر، كما أنّ (70٪) من العلماء الذين يسافرون إلى الدّول الرّأسماليّة للتخصّص لا يعودون إلى بلدانهم. وأنّ (50٪) من الأطباء، و(23٪) من المهندسين، و(15٪) من العلماء من مجموع الكفاءات العربيّة يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا. وفي هذه الإحصائيات يُسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان التّامة خصوصاً أنّ (45٪) من الطّلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم. ويوجد نحو 4102 عالم إسلامي في مختلف علوم المعرفة في مؤسّسات ومراكز أبحاث غربيّة. "إنّه التّزيف العميق وهو أشدّ إيلاّما، إنّه نزيف الأدمغة ومكمن الخطورة في هذا التّزيف القاتل أنّه يتمّ بهدوء من دون ضجيج كالذي يثيره نزيف الدّماء مع أنّ آثاره أشدّ وطأة

على مستقبلنا، وتصيب أضراره كلّ مواطن عربي ولعدة أجيال. وفي هذا التزيف تسهم اللغة التي تحدث الفصل بين القاعدة والقمة، ولو كانت اللغة المشتركة سائدة لما وقع هذا الانجذاب بهذه النسب المرتفعة.

وآن الأوان للجزائر الجديدة في عهد الرئيس (عبد المجيد تبون) المشجع على المبادرات وإنتاج الأفكار، وإشراك المجتمع المدني في صنع القرار، آن الأوان لتصحيح الأوضاع، والاهتمام بالمسألة الثقافية في التنمية المستدامة باعتبارها من الركائز اللغوية التي تُحرّر الجزائري من التبعية اللغوية والفكرية والثقافية، وبوعي الجمهور الكبير الذي لا يُناور في ما هو وطني ومن التراث المشترك، واللغة من التراث المشترك. ويجب أن نعلم أنّ هناك تلازم تحقيق استقلال التنمية الاقتصادية والاجتماعية بتحقيق وجود موطن الدفاع عن اللغات الوطنية والثقافة الوطنية، ويسيران في خطّ واحد، وبقيم واحدة تتوحّد كلّ مكوناتها في منسجم وطني جامع يخفي القطاعات والاختلافات وهو مطلب من مطالب التنمية الشاملة. ولا بدّ من نظرة معاصرة لهذه المسألة وأن تحمل نظرة شمولية للعيش ضمن ضروريات بنيات المجتمع لتغيير علاقات الإنتاج في ربط العمل الفكريّ بالعمل اليدويّ؛ بعيداً عن الاستيلاء المزدوج الذي يحصل من التعددية اللغوية المتوحشة، أو من التبعية اللغوية الأجنبية.

إنّ المواطن يريد خطاب المواطنة والتعدلية والتنمية الاجتماعية في كنف البعد الوطني الذي يُعزّز لغاته فالإقتصاد وحده لا يكفي إذا لم يُحمّ بسبيكة حديدية وطنية مسؤولة عن حماية ذلك الإقتصاد بالأخلة الوطنية التي تأتي من اللغات الوطنية. ومن هنا، فإنّ تكوين المواطن أساس التنمية، والتنمية

رهينة بالمشروع التربويّ الذي يربط التعليم بالبيئة الجزائرية، وبأعلام الجزائريين وبأفكارهم ولغاتهم، وهو سلاح المستقبل الذي علينا رفعه ونقله للأجيال القادمة، وعليها أن تدافع على تحقيقه؛ فإن قال الشهداء والمجاهدون (ارموا بالثورة إلى الشارع يلتقطها) فذلك الذي أنتج الحرية، ونقول أرموا باللغة المشتركة للشباب وسوف يطوروها. ولهذا إخواني المخططون نوّكّد ضرورة التركيز على تنمية الموارد البشرية بخطاب الهوية، وبناء الشخصية الوطنية في الأجيال القادمة وهي أمانة في أعناقكم.

4- اللغة الوطنية رأس المال البشري: والمقصود هنا اللغة كمارسة وخطاب وتعابير اجتماعية في ممارسات وظيفية يومية؛ تُؤلّد العلاقة التكاملية بين المسؤول والمسؤول عنه، وسيكون الخطاب مسؤولاً عن المشاركة بين أشخاص يجمعهم هدف التنمية؛ حيث يكون الرأس المدبّر يوصل الفكرة إلى الأيدي التي تشغل؛ دون قطيعة لغوية/ عجز/ سوء فهم. ومن هنا؛ فإنّ العنصر اللغويّ والثقافيّ يُلغيان القطيعة، ويعملان على إحداث شبكة المشاركة والمناقشة والمنافسة في تقديم الأفضل، وتحمل المسؤولية بما تحمله اللغة من قواسم فكرية تفاهمية. ولذا كان محور التفاهم اللغويّ يسهم في فهم المشاريع ووعايتها، وفي وحسن تدبيرها في منظومة فكرية لغوية وطنية وهكذا ما تفعله كلّ الشعوب التي تسعى للتطوير الشامل في منظومتها الاجتماعية.

يعدّ الإنسان محور التفكير والتصميم، وهو ضمان النجاح عندما يحصل له تكوين تفاعليّ وطنيّ باللغة الوطنية المشتركة ينسجم مع المرجعيات الوطنية التي تحملها اللغة الأمّ التي تعمل على فهم أشمل لقضايا التصميم بمزيد من

الشفافية السياقية والعاطفية بين المدير ومن يُديرهم، وتُصبح اللغة الأم/ اللغة الجامعة رأسَ المال الطبيعيّ الذي يجمع بين الاقتصاد والاجتماع والبيئة. ولا يكون هذا إلا في الاهتمام بميدان التربية والتعليم وهذا ما نريده من هذا اللقاء الذي نروم أن يكون مطالباً بسياسة لغوية وطنية شاملة للرفع من سوية اللغة المشتركة، وهي اللغة العربية الفصحى لما لها من موقع وطني رسمي، وفي وجودها الطبيعيّ، وفي استعمالها الممتدّ في التاريخ، وتصاورها مع مختلف أنماط نشاط وتحوّلات المجتمع الجزائريّ، ومع ما يحيط بنا من شعوب تجمعنا بهم هذه اللغة، وبخاصّة الدول العربية التي ننتمي إليها (22) دولة لغتها الرسميّة العربية، أضف إلى ذلك تفاعلها العالميّ كلغة أجنبيّة أولى/ ثانية رسميّة لثمانية وأربعين (48) دولة، بمجموع 60 دولة في العالم. وهو قطب عروبي كبير بميسم اللغة الإسلاميّة، التي يتلاغى بها يوماً مليار وثمانية مليون من المسلمين وباعتبارها لغة المسلمين في جميع بقاع العالم وجب عليهم فهمها لتقصّي أمور دينهم وعقيدتهم. واللغة العربية تُعدّ من أهم أسباب منّعة المسلمين وعزّتهم، وتُعدّ كذلك مقياساً لما وصلت إليه من تطوّر وتقدم. ولغة أُمّية رُتبتها الخامسة في مختلف المنظّمات العالميّة الرسميّة على غرار: الأمم المتّحدة بوكالاتها الواحدة والعشرين+ اليونسكو/ (UNESCO)+ الإيسيسكو ICESCO، وما سوف تعرفه في الحضارة الانسانيّة في قادم السّنوات.

أيّها الجمع الكريم، أعضاء المجلس الوطنيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ والبيئيّ، من خلال مقامكم العالي، وما تقومون به في إطار التنمية المستدامة نروم منكم التّظنر الملبّي في سياسة التّعليم في ضوء الجزائر الجديدة ومن خلال

مجلسكم الموقر في نظرتة للتنمية البشرية، وفي التخطيطات الحكومية، وما يقترح في لاحق من الزمان، فإن الأوان التفكير والتخطيط في تحسين عمليات حسن الأداء للعربية الفصحى بتقديم أفكار التوجيه نحو تطوير لغوي ينسجم والتطورات التي يعرفها المجتمع الجزائري في الشأن العام، واللغة من الشأن العام، وهذا يحتاج إلى استراتيجية طويلة الأمد، وإلى تخطيط وتمويل على الأمد الثلاث في مخططات الحكومات المتعاقبة. وإن التنمية المستدامة تحتاج إلى تسخير الإمكانيات التخطيطية في مختلف المناحي الاقتصادية والاجتماعية وفيها أنشطة التعليم، وفي حسن أداء مؤسسات التعليم، وفي تعزيز بناء القدرات في العلوم والابتكار؛ بهدف تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الاقتصاد القائم على المعرفة، ولا سيما أن بناء القدرات الفكرية هو الوسيلة الوحيدة لتعزيز التنافسية وزيادة النمو الاقتصادي، وتوليد فرص عمل جديدة وتقليل الفقر الذي لا يأتي إلا عن طريق وضع الخطط والبرامج التي تهدف إلى تحويل المجتمع إلى مجتمع معلوماتي، مرتكز على اللغة الوطنية المشتركة.

5- سمات اللغة الوطنية المشتركة: عندما تكون لغتان وطنيتان/ أكثر في بلد ما، لا بدّ من الفصل في لغة التمثيل الرسمي، وإنه لا يمكن أن يكون التساوي المطلق بين كل اللغات الوطنية، ولهذا يقع التفاضل عبر المحددات العلمية التالية التي حددها الباحثون:

1- أن تكون اللغة الأكثر انتشاراً من حيث الاستعمال، والأكثر تجدرأ في وجدان المجتمع.

2- أن تكون مهياًة سلفاً، وتقبل التطوير، وتسائر الحدث، ولها حمولة ثقافية وعلمية وحضارية.

3- أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهلة لذلك أكثر من غيرها.

4- أن تكون ذات حمولة ثقافية ورمزية وتاريخية وحضارية عميقة وتجربة طويلة.

5- أن تكون الأكثر من بين اللغات الوطنية المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبية، والوقوف في مواجهتها نداءً للند بما تنتجه، وذلك حتى لا يسهل افتراسها والقضاء عليها، كما حدث لعدد من اللغات الصغرى في أفريقيا وغيرها من البلدان حين عجزت تلك اللغات عن الصمود في وجه لغات الاحتلال من مثل الفرنسية والإنكليزية، فانتهدت إلى الخضوع التام والاستسلام الكامل للغات الأجنبية.

6- أن تكون صالحة للتواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الوطن الواحد وبين أبناء وطن الانتماء أو الأمة الانتماء.

7- أن تكون صالحة للاستعمال في التعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام وكل مرافق الحياة العامة والخاصة.

8- أن تكون مؤهلة للاستعمال لتستعمل في توطين المعرفة وإنتاجها وتوليدها.

9- أن تكون بمثابة الأم الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع، وكانهم أفراد أسرة واحدة متضامنة، ويتساوى فيه الجميع دون

إحساس أحد منهم بالتهميش أو التقص أو الإبعاد. ومن المأثور عن الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر) أنه كان يقول: اللغة هي بيت الإنسان الذي يأوي إليه ويقيم فيه¹. وبهذه الضوابط يقع الفصل في اللغة الوطنية المشتركة التي تكون لسان حال الأمة/ المجتمع، وهي لسان حال الخطاب السياسي والذي يلمس لوماسية والاتفاقيات الأجنبية، وما يتبع ذلك من سيادة ورمز ومظهر؛ مثلها مثل الدين والعلم والقسم والأختام.

6- دور اللغة الوطنية المشتركة في تحقيق التنمية الشاملة المستديمة:

اللغة العربية الفصيحة هي لغتنا الأم، وعنوان شخصيتنا ورمز ثقافتنا ووجودنا القومي، وهي وسيلة للتواصل وللتعبير عن المشاعر والأفكار وقضاء الحوائج، وهي إلى ذلك حصننا الذي ندود به عن هويتنا، وذاتيتنا الثقافية، ووجدتنا القومية. ومع كل هذا تعاني فقراً في القضايا الثقافية المعاصرة، فكيف لنا أن نعيد إلى هذه اللغة مكانتها لتبقى صامدة، وتسهم في تشكيل مجتمع المعرفة الذي يؤدي حتماً إلى تنمية مستديمة وشاملة؟

وفي هذا المجال؛ فإنّ المجلس الأعلى للغة العربية يعمل بشكل مضمون على تحقيق حسن الأداء في اللغة العربية الفصحى بتلك المقترحات التي يُقدّمها لمن يصنع القرار، ويُقدّم أمامكم أفكار العمل المنوط به، ويأمل منكم تخصيص مجال الاهتمام باللغة العربية الفصحى تعصيلاً لما يقوم به في رفع كلّ المضايقات الثقافية، وتسهيل عمليات الإبداع واختراق آفاق الابتكار لتحقيق نهضة شمولية بالعربية على غرار ما تفعله كلّ الشعوب المتقدمة الكبار التي تولي أهمية للغاتها. إنّ المجلس الأعلى لا ينغلق على ذاته، بل يعمل على الاستفادة من اللغات الأجنبية دون الدوبان فيها مبدأً إذا علّمت

شخصاً بلغته فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة، أما إذا علمته بلغة أخرى، فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص إليها ولا بد من الاستفادة من اللغات الأجنبية في الجامعات ومراكز البحوث، والتفتح بشكل دائم على مختلف اللغات من مبدأ الأخذ والعطاء. ولكن من الضروري الكف عن ملاحقة النموذج الغربي، وتقليده وتمثيله لأن استعمال اللغات الأجنبية لا يقودنا إلى مرحلة الإبداع، وبالتالي لا يمكن أن يُحررنا من تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي كما أن استعمال اللغات الأجنبية لا يساعد على خدمة مصالحنا، وإنما يساعد الدول الأجنبية على بقائنا حيث نحن في حالة من التبعية الاقتصادية والاجتماعية وكل ما له علاقة بالجوانب العلمية والفكرية. ولهذا يسعى المجلس الأعلى للغة العربية إلى تأسيس منظومة معرفية باللغة للعربية الفصحى مع امتلاك منظومة لغوية شاملة مشتركة متجذرة، حاملة للأبعاد المتنوعة فكرياً وروحاً وإبداعاً. ومن خلالكم نعمل على تجاوز مرحلة الاستيراد الجاهز إلى مرحلة الخلق والإبداع الداتي للآلات والأجهزة العلمية، وإضافة اختراعات جديدة تحسب للحضارة العربية الإسلامية، وهو أمر لا يتم للعرب إلا بلغتهم، وفي مناخ ثقافتهم الأصلية، كما ندعو إلى تعميم استعمال العربية في العلوم ونقل المعارف إلى اللغة العربية الفصحى وهذا يؤدي دوراً فاعلاً في النمو الحقيقي الوطني، وفي تحوله من اقتصاد ريعي متواكل علمياً وتكنولوجياً إلى اقتصاد ينمو نمواً مستديماً. وإننا نعمل على جعل اللغة العربية الفصحى على قدم المساواة مع اللغات الرقيقات بوصفها أداة للاتصال، ونخطط لها لتحقيق تنمية مستدامة، وهي التي تنقلنا إلى التقدم. وفي هذا المجال نعمل على نقلات نوعية في مجال اختصاصنا بتقديم أدلة

تواصلية من السهل الممتنع في مجال التنمية اللغوية على غرار مشاريع في: التجارة الدولية والاستثمار+ السياسة الاقتصادية+ تغير المناخ والطاقة+ القياس والتقييم+ إدارة الموارد الطبيعية+ تكنولوجيا الاتصالات... وهذه المشاريع حقق البعض منها نسبة معتبرة من الإنجاز علماً أنّ برنامج الأمم المتحدة للمدن في إطار الاتفاق العالمي للتنمية السياسية المستدامة اقترح معالجة هذه الأمور بسياسة الاهتمام بمجالات التنظيم والحوكمة والقانون والعدالة والتواصل والتقد والتمثيل والتفاوض والأمن والوفاق والحوار والمصالحة والأخلاقيات والمساءلة، بلغة البلد دون غيرها من اللغات، وهي التي تعمل على الإبداع وحركية المجتمع وهي الطريقة العلمية التي يعتمدها المجلس في الحكامة اللغوية الثقافية المسندة إلى القوة التامة.

7- نجاح تجارب أجنبية في التنمية الشاملة المستدامة بفضل الاهتمام

باللغة المشتركة: تشكل اللغة المشتركة للشعب دعامة الوحدة الفكرية والتخطيط المستقبلي وتحمل المسؤولية في التنمية. واللغة المشتركة تعني أنّها ليست الوحيدة في البلد، بل هي واحدة من بين اللغات ولها ما لها من مقام زائد، وما لها من أفضلية. ويقول الباحث (على القاسمي) في هذا المجال "... إنّ اللغة المشتركة ليست هي اللغة الوحيدة في البلاد ولكنها الموحدة. وعندما يستخدم الإعلام اللغة الفصيحة المشتركة بين السكان على اختلاف لهجاتهم المحلية والاجتماعية، فإنّه يرقى بلغة المتلقين اللهجية أنفسهم ويقربها من هذه اللغة المشتركة. واللغة ليست وسيلة نقل المعلومات وتبادلها فحسب، وإنما تحمل كذلك في مفرداتها وتراكيبها وتعبيراتها ثقافة متميزة وطريقة تفكير معينة، ومزاجاً خاصاً، بحيث تعمل أداة إدماج اجتماعي، وتهب الناطقين بها

هُويةً وطنيةً متفرّدة... وعندما قرّرتِ التّخبّةُ الحاكمةُ في كوريا الجنوبيّة، في مطلعِ السّتينيات، العمل على تحقيق التّمنية البشرية اختارت اللغة الفصيحة المشتركة أداةً للتّعليم والإعلام والإدارة والحياة العامّة. وهكذا نجد في كوريا أكثر من مئة (100) محطة للإذاعة والتّلفزيون وكلّها أهلية خاصّة ما عدا واحدة حكوميّة، ولكّنها جميعها تستخدم اللغة الكورية الفصيحة المشتركة وليس اللهجات الكورية المختلفة، ولا ترى في شوارع سيول أية لافتة مكتوبة بغير الحرف الكوري². علماً أنّ كوريا الجنوبيّة كانت ثالث أفقر بلد في العالم لغاية 1983م، ولكن لما أولت لغتها الكوريّة أهميّة، وخرجت من طوق اللغة اليابانيّة شقّت طريق التّمنية البشرية الشّاملة، والآن يحتلّ اقتصادها الرّتبة الثّانية عشرة في الاقتصاد العالميّ وكبرى الشّركات في هذا البلد، ويكفي تلك التّكنولوجيات التي تغطّي أوروبا في عقر دارها بالجودة والتّجاعة. وما ينطبق على كوريا الجنوبيّة هو ذاته بالنّسبة لهنغاريا وإيسلندا والمجر وتركيا وإيران والسّويد... وهذه البلاد لم تعرف نقلة نوعيّة في اقتصادها إلاّ عندما تحرّرت من هيمنة اللغات الأجنبيّة وبنّت بلغاتها اقتصادياً صناعياً وفلاحياً، وخرجت من التّخلف وأضحت لها الصّدارة في اقتصاد المعرفة، ونالت الرّتب الأولى في مجال الرّقمنة، ومنها تأتينا هذه التّطبيقات الذّكيّة بلغاتها دون مشكلة ولا عقدة. ونلاحظ بأنّه قد انقلب السّحر على السّاحر، فتعيش مظاهر الرّفاهيّة وتحكّمت في مجال البيئية وسيطرت على الرّقي العامّ بلغة مشتركة منسجمة، مع ما تعرفه من وجود مختلف الأجناس التي تشترط عليهم الدّمج اللغويّ قبل أيّ شيء.

8- **مؤشرات تقارير التنمية المستدامة:** تشير مختلف التقارير التي عدنا إليها في إنجاز هذه الورقة إلى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بإصدار تقارير التنمية البشرية السنوية، بل قام مكتبه الإقليمي في البلدان العربية ومقره بيروت، بإعداد سلسلة منها بعنوان (تقرير التنمية الإنسانية العربية) لسنوات: 2002 + 2003 + 2004 + 2005 + 2006. وتناولت التقارير الموضوعات التالية: خلق الفرص للأجيال القادمة + نحو إقامة مجتمع المعرفة + نحو الحرية في الوطن العربي + نحو نهوض المرأة في الوطن العربي + تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية. وقد تعددت تحاليل هذه التقارير، ولكن البعض منها مسّ موطن الداء، وكأني بها تجيب عن ذلك السؤال القديم المتجدد لماذا تأخر العربُ وتقدّم غيرهم؟ وأراني في موقف العبرة من فلندا (دولة أوروبية) كوريا الجنوبية (دولة آسيوية) كانتا من البلاد المتخلفة إلى عهد غير بعيد ولكن حكمة رجال البلدين الاستشرافية استطاعت نقلهما من فقر إلى غنى بفضل الرجال أمثالكم الذين يخططون لتحقيق شروط التنمية البشرية في المجال السياسي + الحوكمة + الحكامة + الصحة + الخدمات + الإنتاج + ظاهرة الهجرة... ويقول الخبير الدولي (علي القاسمي) في هذه النقطة: إنَّ فلندا التي كانت أفقر دولة في أوروبا في الخمسينيات من القرن الماضي، ثم أصبحت الدولة الأولى في التنمية البشرية في آخر ذلك القرن... كوريا الجنوبية، التي كانت أفقر دولة في آسيا، وثالث أفقر دولة في العالم، وأصبحت اليوم سابع أغنى دولة في العالم، وتحتلّ الرتبة 17 (قيمة دليل التنمية 0.898) في سلم التنمية البشرية لعام 2015 متقدّمة بذلك على دول أوروبية عريقة في

الصناعة والاستعمار مثل فرنسا التي تحتلّ الرتبة 22 (قيمة دليل التنمية 0.888) وإيطاليا التي تحتلّ الرتبة 27 (قيم دليل التنمية 0.873).

وأقف في مجال اللغة للحديث عن ظاهرة اللغة المشتركة في التنمية المجتمعية من حيث ضرورة تعميمها واكتساب المواطنين المهارات بها والعمل بها، واستحداث تخطيط تربويّ يُنعش التكامل بين اللغة الجامعة واللغات المحلية دون قلاقل تُعرقل التنمية أو تُثير الاضطرابات. وهذا ما يجعل الدولة تعيش الانسجام في البنية الفكرية، مع ضرورة إتاحة الفرصة أمام الجميع دون مضايقة من المدارس الرجعية التي يقيمها المواطنون، أو المدارس الأجنبية التي تعمل تحت شروط البرامج التربوية الوطنية وتدرّس اللغة الوطنية في مختلف المراحل إجباريًّا، ويقع التحفظ على خلق التخويفية بتلك المرافقة في البرامج بشكل دائم. وتنظر دائماً إلى وضع جديد وهو الخروج النهائي من لغة المستعمر التي تكون في مقام لغة الهوية، وهنا الخطر يكبر ويكبر بخلق نخب وطنية وبتفكير مختلف ويؤدّي ذلك إلى الخلاف في التصور والنظرة الطبقيّة الدونية البينية. ولهذا، فإنّ حسم المسألة اللغوية أمر في غاية الأهمية للتنمية المجتمعية من البداية، وضرورة اعتماد اللغة الوطنية المشتركة فهي التي تساعد على تبادل المعلومات بيسر مثلها مثل العملة المشتركة، كما أنّها تعمل على تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية. ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التعليم والإعلام والحياة العامة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ تعلّم اللغات الأجنبية ضرورة وليست ترفاً؛ باعتبارها ضرورة لازمة للتنمية البشرية؛ لأنّ هذه اللغات نوافذ على العالم، تيسر الحوار الحضاريّ والتبادل الثقافيّ، وتساعدنا معرفتها على الترجمة من اللغات

الأخرى وإليها. ومعروفٌ أنّ التّهضات الحضاريّة الكبرى قامت بفضل الترجمة، كالتّهضة العربيّة الإسلاميّة التي أسهمت فيها خلال العصر العباسيّ ترجمة فلسفة الإغريق، وعلوم الهند وآداب الفرس إلى اللغة العربيّة برعاية الدّولة، وكالتّهضة الأوروبيّة خلال العصور الوسطى التي تمت بفضل احتكاك الأوروبيين بالمسلمين في إسبانيا وخلال الحروب الصليبيّة وبفضل ترجمة العلوم العربيّة إلى اللاتينيّة، لغة التّعليم في أوروبا آنذاك. فنحن ندعو إلى تعليم اللغات الأجنبيّة ولكننا نناهض التّعليم بها؛ لأنّ تعليم العلوم بلغة أجنبيّة يعرقل استيعاب تلك العلوم ويحول دون توطينها فتظلّ أجنبيّة منحصرة في نخبة محدودة.

9- نمو الاقتصاد الوطنيّ بالغة الوطنيّة المشتركة: في العادة بأنّ اللغة

الوطنيّة المشتركة هي التي تعمل على التّنميّة البشريّة؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة وطنيّة مشتركة وتسمّى لغة الأُمّة. ومفهوم كلمة الأُمّة؛ يعني بها ذلك الفضاء الأوسع والشّامل في الانتماء الحضاريّ والثّقافيّ المشترك. وهكذا، فالعربيّة الفصحى مجال مشترك ومثال يُحتذى؛ فهي الوحيدة التي يأتي عليها مصطلح (اللغة الأمّ + لغة الأُمّة) بحكم أنّها لغة الأمّ والأُمّة لا تُعامل مُعاملة اللّغات الأخرى، فلها التّفصيل؛ لما لها من قاسم مشترك، ولا بدّ أنّ الجانب السياسيّ يُغلبها على اللّغات الوطنيّة الأخرى أو التي لا تزال في طور التّهيئة وكذلك اللّغات الأجنبيّة، وهذا يستدعي تدبيراً عقلياً يُراعي التّعدّد بحسب المقام والذي يُحافظ على التماسك والتّعايش. ويجب العلم بأنّ من أدبيات التّنميّة الشّاملة زرع الثّقة بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الرّاعي والرّعيّة، بين المسير

والعامل، ليحصل المزج الكلي بين العقول التي تُفكّر وتُخطّط، وبين السّواعد بُني وتعمل. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التّئمّة البشريّة في غياب التّواصل البينيّ الذي لا يكون إلّا بلغة مشتركة وهذا ما نلمسه بين المريض والطّيب فغياب التّواصل اللغويّ يزيد من عقدة المرض، وإذا حصل التّواصل البينيّ يحصل نصف الشّفاء. ولذا فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في التّئمّة الجمعيّة، والتي تعتمد: الرّأسمال البشري + الرّأسمال المعرفيّ + توطين المعرفة³. وتوطين المعرفة باللغة الوطنيّة المشتركة عامل قويّ لمزيد من الإنتاج، ومزيد من الانسجام الجمعيّ في نسق وطنيّ متكامل، ومهما اختلفت لغات التّواصل تبقى اللغة الوطنيّة المشتركة تجمع الأفكار وتنظر للمستقبل وتخطّط لفكر جامع. ولهذا، ينمو الرّأسمال المعرفيّ بقدر نمو الثّقافة الجامعة والوعي الجمعيّ، ولا تُحقّقه إلّا اللغة الوطنيّة المشتركة القادرة على تعميم التّعليم وإنتاج المعرفة، ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع لأنّ المعرفة لا تُستورد كلّها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يُستورد بعضها فإنّها عالية على الآخرين أو في حُكم غير الموجود فالمعرفة تُستنتب في بيئتها وفي عقول أبنائها، بلغتهم الوطنيّة المشتركة لأنّ استيراد المعرفة مُكلفة جداً، ثمّ هي متطوّرة دائماً، فما هي المعرفة التي تُستورد؟ وكذلك فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحيّة، وما هو ليس متجذراً يكون سهل الاقتلاع والزّوال واستيراد المعرفة بلغاتها؛ بمعنى توسيع تلك اللّغة في وطنك على حساب اللغات الوطنيّة؛ ويعني ذلك تبعيّة لغويّة كما يعني خلق نخبة وفئة تُتقن اللغات الأجنبيّة ولها الحقّ في التّرقية والتّسيير دون غيرها من

تلك الفئات التي لا تُتقن اللغات الأجنبية، وهنا الكارثة التي تعطي صفة التّحقير للغات الوطنيّة، وتعامل معاملة سقط المتاع.

10- **استيراد الآليات بلغة المنتج:** إنّ استيراد الآليات ضرورة تقتضيها مُتطلّبات العصر، ولكن من الضّروري التّخطيط لاستيراد المعرفة من اللغات، والعمل على توطينها وتكييفها وفق خصوصيات اللغة الوطنيّة؛ لأنّ استيراد الآلة تصحبها المصطلحات والمعرفة اللغويّة، وهذا له خطران يكمنان في:

- خطر التّماهي مع لغة واحدة تأخذ منها، ويدخل هذا في الاستعمار اللغويّ؛

- خطر الأخذ من كلّ اللّغات (العلم يوجد في كثير من اللغات، فأية لغة يؤخذ منها؟).

وهنا يحدث الانشطار أو الانفصام الشّخصيّ للمجتمع الذي يستورد الآلة بذات المعرفة التي تُنتج بها الآلة، والطّريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللغة الوطنيّة المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفيّ، والرّفيع من عدد البعثات العلميّة للخارج لاكتساب العلوم، وهضم المعرفة العلميّة بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها. وإنّه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلّا باستعمال اللغة الوطنيّة المشتركة، حيث التّنميّة بعمومها لا تحصل إلّا بتماسك اجتماعيّ، والمجتمع المنسجم لغويّاً هو الأقوى، وغير المنسجم يصبح مُنحلاً، ويُساعد على خلق جوّ من التّبعيّة في كلّ جوانبها بل ويحدث ما هو من الشّرخ الجمعي الذي

يؤدّي إلى ما لا تُحمد عقباه وهذا بسبب غياب الانسجام الفكريّ والثّقافيّ والسياسيّ بين المجتمع الواحد. وكلّما حدث انسجامٌ وتناغمٌ بين الناس ازداد تحقيقُ التّميّة والوحدة اللغويّة، وارتفعت نسبةُ الانسجام الجمعيّ. ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرّسميّة للوطن؛ وتكون موظّفة في التمثيل الدّي بلوماسي، وفي إمضاء الاتّفاقيات وفي استعمالها الوطنيّ والأجنبيّ والاعتزاز بها، وإقامة المؤسّسات العاملة على تطويرها، والإغداق عليها، وتخصيص ميزانيّة تعميمها، والتّشجيع على التّرجمة منها وإليها وإقامة المواسم العلميّة من أجلها، والاحتفاء بأيامها الوطنيّة والعالميّة، ورصد الجوائز الكبرى لحسن وضع المنصّات بها وفيها... لَمِن الحكمة المطلوبة التّخطيط لها لتتال الانتشار على درجة التّعميم العادي البسيط الذي يُعطي صورة الاعتزاز، وهذا هو التّعم الذي نريده أن يكون في تمثيل هويّتنا اللغويّة والخروج من التّبعيّة الفكرية على غرار خروجنا من التّبعيّة السياسيّة. وهنا الأمل في مجلسكم لتعضيدنا في تخطيط سياسة لغويّة شاملة تُراعي أبعاد وطننا لمواصلة التّحرر الثّقافيّ الذي يجعلنا نُبدع في لغتنا في ذاتها وبذاتها، وهذا يتحقّق بتخطيط سياسة تربويّة تبدأ من المدرسة؛ تُراعي ما يلي:

1/10- العمل على تدريس وإتقان الأطفال التراكيب الأساس للغّة الأمّ في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائيّة المبكّرة.

2/10- تحقيق مستوى عالٍ من التّعلّم الدّاتي، وهذا ما يؤدّي إلى حبّهم للعلم والبحث والإبداع.

3/10- تأصيل حبّ القراءة لدى المتعلّمين، وسرعة القراءة، وجودة الكتابة، وسلامة الفهم. وهذا يؤدّي إلى زيادة التحصيل العلميّ والتفوّق الدّراسيّ.

4/10- عدم حاجة التلاميذ في هذه المرحلة إلى التحو والصرف والاكتفاء بالحصص التي تجعل المتعلّم يدرك جمال اللّغة وبلاغتها وتعلّمه التّفكير وتسلسل الأفكار والبحث العلميّ والإبداع والتعبير الواضح عن الأفكار وكلّ أنماط المعرفة بشكل دقيق ومنظّم.

5/10- إتقان أفضل للمهارات الفنيّة والحركيّة بسبب إمكانية إعطاء هذه الموادّ زمناً أطول ممّا هو مخصّص لها في المناهج.

6/10- ترسيخ التّفكير باللّغة الأمّ التي هي لغة الكتاب والمعرفة وجعلها فضاء المعرفة لدى الأجيال، وليست العاميّة، وهذا ما يُخلّص التلاميذ من فوضى المصطلحات والمفاهيم، ويساعدهم على التّفكير الإبداعيّ.

7/10- تركيز المناهج على محتويات ونصوص حبّ الوطن والاعتزاز اللغويّ والمرجعيات الدنيّة والثوريّة والوطنية وكلّ ما يشدّ التلميذ للافتخار بوطنه.

8/10- إتقان أفضل للّغة الأجنبيّة حسب المنفعة، وبمبدأ "حيث ما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله". وإذا انتفت المصلحة يقع تغيير اللغة الأجنبيّة.

11- **الاهتمام باللّغة الوطنيّة المشتركة سبيل الخروج من التبعية والتخلف:** إنّ العربيّة لغة الأمّ + لغة الأمة تستدعي إعطاءها الصّدارة بسؤال التّنميّة البشريّة التي تفضي إلى تنميّة القدرات الدّهنيّة، والرّفح من المستوى

التعليمي والخبرة والثقافة والوعي. وفي هذه المرحلة نحتاج إلى قضاء المصالح المرسله بأريحية لا تحقّقها إلاّ اللغة العربيّة الفصيحة وهي اللغة الوطنيّة المشتركة؛ فمن حقّ التّاجر/ المعلّم/ السّائق/ السّائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعتة، وهي أسئلة مشروعة، فأين هذه اللّغة التي لها وزن في سوق التّداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة ونحن نعيش هاجس الحضارة والتّقدّم والاستقرار، فيمكن أن يهجر الإنسان لغته، ويعزف عن توريثها لأبنائه، فلا تشغله الهويّة بقدر ما يُشغله واقع المال والمصلحة. ومن هنا، علينا العمل على إضفاء القيمة المعنويّة والعلميّة للغة العربيّة الفصحى في مختلف المجالات، ولا يجب أن ننخدع بالدّعوة إلى قبول اللهجات؛ والتي تنشط إلى محليات، وفي الأخير يتصر من يضرّم النّار بين اللّغات الأخوات. ونعلم بأنّ سلاح اللّغة ذو حدين: يمكن أن يُوظّف من أجل لحمّة المجتمع كما يمكن أن يُستعمل لتمزيقه.

12- **ما قبل الخاتمة:** إنّ لا يمكن أن ينمو الرّأسمال المعرفيّ باللغات الأجنبيّة أبداً، بقدر ما تعمل الأجنبيّات على التّعطيل والتّبعيّة والتّفكير في غير خصوصيات الوطن؛ لأنّ لكلّ لغة همولة ثقافيّة تعبّر عن خصوصيّة مجتمع تلك اللّغة. ولهذا فبقدر ما يقع الاهتمام بنمو اللغة الوطنيّة المشتركة القادرة على تعميم التّعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطيئها وتعميق جذورها في المجتمع، بقدر ما تزداد في التّثميّة الجمعيّة وفي بناء مجتمع المعرفة. ومن وراء كلّ هذا؛ نريد الخروج بالعربيّة من سوسولوجيا الإخفاق القائم على التّرذد، إلى نشدان الحداثة والتّنوير والعقلانيّة، والعمل على إصلاح تربويّ واقعي مخطّط له من قبل التّخبة العاملة المتخصّصة، وبما تبذون

أنتم من أفكار إصلاح يأتي على تطوير العربية وفق الأطروحات التقنية التي يتطلبها العصر، مع الأخذ بالأسباب الموضوعية التي نجحت فيها الشعوب الآسيوية التي اهتمت بلغاتها الوطنية، وما يقوم به الغربيون في تطوير لغاتهم بالمنهج العلمي المستند إلى العقلانية وملاحقة الحداثة. وسندنا في هذا اعتماد اللسانيات التطبيقية لمسايرة الفتوحات الحديثة القائمة على OCR، مع قراءة علمية في تراثنا المتفتح على كل الثقافات؛ باعتماد نظام البيان العربي، ونظام الحجّة والبرهان، ونظام العرفان. ويجب أن ننقل لجيلنا القادم معالم هذه اللغة بأنّها خزّان المعرفة، والاهتمام بها أوّل خطوات الانطلاق والنهوض من جديد للوصول إلى الإبداع، وهذا ما يمكن أن تُغذّيه التّخبة الوطنية في مختلف الكتابات والإنتاجات الفكرية والأكاديمية في جامعاتنا. وكلّ هذا يتطلّب سلسلة إصلاحات في محمول الكتاب المدرسي، وفي البنية الفكرية في كافة حقول المعرفة، واعتماد العقل المجرد المسدّد المؤيّد، وهو ما يوصلنا إلى التّنوير اللغويّ في منظومتنا الثقافية العلمية، ولا تُحقّقه إلاّ اللغة العربية المشتركة في وطننا؛ لأنّ اللغات الوطنية الأخرى لا تحمل هذا المكنز الذي هو خاصّ الخاصّ، بله الحديث عن اللغات الأجنبية التي تحمل خصوصيات بعيدة عن واقعنا، ولها ثقافة ذات دلالات إيديولوجية تلحقنا بالتبعيّة المطلقة، ونحن بحاجة إلى التحرّر من كلّ تبعيّة لغوية واقتصادية، وعدم الاستسلام للأمر الواقع، وإلاّ سنكون في خبر كان، ومن الغرباء في بلدنا.

— الخاتمة: أيّها الجمع الكريم، أعضاء المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، أيّها المخطّطون؛ جنناكم لنشركم همومنا اللغوية التّخطيطية للغة الوطنية الجامعة المانعة المشتركة، اللغة العربية الفصحى لغة

الأمة، جئناكم لعرض أفكار المجلس التي يعمل بها مع الشباب الحامل للمشاريع، وقد رافقنا ولا نزال نرافق الكثير منهم، كما جئناكم لعرض أعمال المجلس في رحابكم، جئناكم لنقدّم أمامكم هذه المقترحات:

1- ندعو رئيس المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لعقد ندوة وطنية حول السياسة اللغوية في الجزائر، بحضور مختلف الشركاء الاجتماعيين.

2- نروم من مجلسكم الموقر إدراج في مقترحاتكم تخطيط تنموي للغة العربية المشتركة من أجل أن تنال موقعا في مخططات الحكومة عبر برامجها السنوية.

3- نرجو منكم الدعوة إلى تفعيل المؤسسات ذات العلاقة بخدمة اللغة العربية أو دمجها بغيره حسن الأداء وتقليل النفقات.

4- نطلب معاضدتنا في إعطاء المجلس الأعلى للغة العربية صفة المرافقة وإبداء الرأي في مسائل ذات العلاقة بتطوير اللغة العربية الفصحى.

5- نأمل العمل على الرفع المادي والتحفيز المعنوي لكل من يقدم أفضل الأعمال في اللغة الوطنية المشتركة، ورصد الجوائز الاعترافية والمادية للمنافسة في المجال اللغوي.

6- نأمل تشجيع المجلس الأعلى على ما يقوم به من خدمات في تطوير اللغة العربية على أعلى مستوى من الاحترافية والفاعلية.

مرّة ومراراً أقول: إنّ اللغة العربيّة الوطنيّة المشتركة هي البيت المشترك فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها، وكان علينا صونها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من عمل وجهد وقوانين، وأما اللغات الأجنبيّة فمحتاجها عند الضرورة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطور، ومعرفة الحاجات الملحة المعاصرة الحاملة لفكر في آخر ما تعرفه التكنولوجيات المعاصرة والإفادة منها، شرط أن يتم إعادة إنتاج ما يُستفاد من اللغات الأجنبيّة إلى اللغات الوطنيّة؛ بإعادة التعبير عنها باللغة الجامعة. ونقول: إنّ التّناميّة الشّاملة تكون باللغات الوطنيّة فقط، ولم نر الكبار الثمانيّة / G8 أنّهم أبدعوا بغير لغاتهم الوطنيّة، كما لم نر الكبار الاثني والعشرين / G22 أنّهم أعلنوا من اقتصادهم بغير لغاتهم، ولماذا نكون نحن التّكرة؟ فهلاًّ نعتبر! ولم يثبت أنّ أمة في العالم ارتقت بغير لغتها الوطنيّة المشتركة.

الهوامش:

¹ - عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلميّة، ص 35. بتصرّف.

² - علي القاسمي، محاضرة عنوانها (اللغة العربيّة والتّناميّة المستديمة) أُلقيت في رحاب مجمع اللغة العربيّة بدمشق، بتاريخ 16 أكتوبر 2009.

³ - عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلميّة، ص 19-37.

أفكار للصحافيين

حول حسن استعمال اللغة العربية

■ **الديباجة:** سيقع الحديث في هذه الكلمات المقترضات بطرح بعض الانشغالات التي استخلصناها من الدورات التكوينية، ومن خلال الاستبانة التي وزّعناها على الحضور، إضافة إلى بعض القضايا اللغوية التي نسمعها في التداول المكتوب والمسموع. ورأينا أن نقدّمها لكم في جملة من القول الوجيز وربما تكون من باب التذكير؛ ليحصل لنا جميعاً حسن الأداء اللغوي في لغتنا الجميلة؛ لغة الأدب والإبداع، لغة المتنبّي الذي ترك مآثر من صناعة الكلام:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصّغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

لغة عظيمة حاملة لعظمة حدّادي الكلام، فهي الحامل لها لما فيها من صور الاختيار وما في جعبة البديع من أحلى الكلام. وفي البداية أريد الانطلاق من مقولة (عثمان أمين) "من لم يشأ على أن يُحبّ لغة قومه واستهان بخصائص قوميّته، ومن لم يبذل الجهد في بلوغ درجة الإتقان في أمر من الأمور الجوهرية، اتّسمت حياته بتبلّد الشّعور، وانحلال الشّخصية والقعود عن العمل، وأصبح ديدنه التّهاون والسّطحية في سائر الأمور.

وإليكم بعض الأفكار التي نوّد تذكيركم بها:

1- الدّور الذي يشكّله الإعلام في التطوير اللغويّ

• أصحاب الوزارتين؛

• أصحاب الكلام الرّصين، والتأثير المبين؛

• رجال السّلطة الرّابعة، ومحترفو الخامسة.

قوة اللغة الإعلامية بوصفها سلطة: - تحمل خطاباً تأثيرياً. خطاب

مؤسّسات. لها سلطة التّغيير. تعمل على التّوجيه. لها قيود على حياة النّاس.
قوة اللغة الإعلامية بوصفها انحرافاً. ومظاهر ذلك يكون في الآتي: الانقلاب
على الفصحى. التشكيك في ذاتها+ وصفها باللغة الميّتة. عدم مسايرتها
للواقع. إضافة إلى جملة خصائص هي: التّوسع في الاشتقاق+ اعتماد الهجئة+
الاستهانة بالنّحو+ الكتابة بالعربيّني/ العربيّزي+ فسح المجال للمصطلحات
الأجنبيّة+ استخدام لغة ملتويّة+ تكريس الأخطاء الشّائعة+ عدم الأخذ
بالصّواب اللغوي+ التّوسّع الدّلالي وتحميل الألفاظ المعاني الجديدة في كلّ
مرّة...

2- اللغة الإعلامية ودورها في الانسجام الجمعي: يُقال إذا أردت غلق ملف

لغة ما، عليك الاستثمار تراتبياً في:

1/2- المدرسة. المدرسة وضع.

2/2- الإعلام. الإعلام انتشار.

3/2- الإدارة. الإدارة هويّة واعتزاز.

3- دور الإعلام في تطوير اللغة:

1/3- مواصلة تمّتين منظومة لغة المدرسة.

2/3- الانتشار.

3/3 - القوة الناعمة: باعتبار الثقافة هي الأثر العامل على التوجيه وعليه فإن القوة الناعمة تمزج بين:

- شرطة اللغة (قُلْ ولا تَقُلْ) وبين (قُلْ، ولا حرج عليك)؛
- القاعدة النحوية والاستثناء؛
- يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره؛
- وفي المسألة آراء واختلافات؛
- ترجيح الرأي المجمع عليه؛
- الالتجاء إلى الاستعمال الذي ترضيه الجماعة اللغوية الفصيحة.

4- الملاحظات التي بصرنا بها:

■ قياس بعض الصحافيين على الفرنسية (Membre) ويقولون: فاطمة عضو المجلس الشعبي وهو قياس لغة على لغة من غير ذات الأرومة وهذا قياس خاطئ، وفي هذا المجال تنص قرارات المجامع اللغوية العربية على عدم جواز وصف المرأة بدون علامة التأنيث في ألقاب المناصب والأعمال، وهذا هو القرار لا يجوز في ألقاب المناصب والأعمال - اسماً كان أو صفة - أن يوصف المؤنث بالتذكير فلا يقال: فلانة أستاذة أو عضو أو رئيس أو مدير" (مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص 128). وفي هذه النقطة أحياناً يقول صحافي أنثت (نايئة) لكن رئيس التحرير رفض ذلك، وادّعي فيها التسوية. والإجابة فيها واضحة، وهي إذا كان رئيس التحرير فقيهاً لغوياً، يأتي بالبيان، وإذا لم يكن، فعليه أن يُعيد الأمر إلى القواعد التي تجمع المتخالفين.

5- قياس لغة على لغة ليست من ثقافة واحدة:

المذكّر / مسجد ← la mosquée ، مؤنث

مؤنث / مقبرة ← le cimetière مذكر

1/5 - أوجه الاختلاف في ثقافة اللغات:

1/5 -1 كلمة (عم) في اللغة الإنكليزية أو الفرنسية هي (oncle /uncle) حيث إنه قد يعنى فى اللغتين (الخال) أيضاً. لذلك، فإنّ الأمر يتطلّب بعض التصرّف لنقل المعنى بدقّة إلى اللغة الأخرى دون تداخل أو التباس وتكون بإضافة كلمة (paternel uncle) وليس.uncle وحدها، أمّا إذا كان اللفظ (لخال) وليس (العم) يكون المقابل الأجنبيّ في هذه الحالة (uncle materna) وبذلك تتحدّد بدقّة ما إذا كانت صلة القرابة من جهة الأب أم من جهة الأمّ. فاللغات الأوربيّة لا تعرف كلمات تشير إلى العمّ والضرة والخال، لكن بالمقابل نجدها حاضرة في الثقافة العربيّة التي تشيع فيها هذه المفردات المرتبطة بنظام القرابة.

1/5 -2 على سبيل المثال؛ يأخذ القمر بعداً رومانسياً في الثقافة العربيّة ويستخدم في التعبير عن الجمال، بينما في الثقافة الإنكليزية/ الفرنسية يجسّد (القمر) مفاهيم الغباء وانعدام البراءة. وعليه، فإنّ عبارة الفتاة كالقمر في جمالها تقابلها جملة (the girl is very beautiful) دون أن يدخل لفظ (القمر) في الجملة.

5/1/3- كلمة (مهر) وهي الكلمة التي يقابلها dower في الإنكليزية و(Dot) بالفرنسية، إلا أن هذا المفهوم منتشر في بعض الثقافات العربية أغلبها؛ لذلك نجد أنه غالباً ما يلجأ إلى تفسير الكلمة بين قوسين "dower ; money paid by the husband to the wife's family" ، وبخاصة في اللغة الفرنسية حيث للكلمة عدة معاني :

- Une dot ; ensemble de biens meubles ou immeubles donnés par un tiers à l'un ou l'autre des époux dans le contrat de mariage.
- Apport que fait une future religieuse au monastère ou elle va entrer.
- Biens qu'une femme apporte en se mariant. (dictionnaire Larousse).

وهذا نظراً لاختلاف مفهوم هذه الكلمة لدى بعض البيئات والثقافات الأخرى التي يدفع فيها المهر من جانب الزوجة وليس من جانب الزوج.

5/1/4- تملك الفرنسية سلماً من الأزمان المتنوعة، لا تعبّر عن أقسام الزمن الثلاثة من ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، بل أيضاً عن الفروق النسبية للزمن ولا توجد إلا لغات قليلة لها ثروة اللغة الفرنسية في هذا الصدد فلا يكاد يوجد في الألمانية مثلاً إلا زمن واحد (ichliebte) (أحببت أو كنت أحب) وثروة اللغة الفرنسية أتت من اللغة اللاتينية التي كانت من جهة الأزمان مزودة بسلسلة زاخرة من الصيغ. أما الزمن بمعناه الحقيقي فلا يوجد فيه في السامية إلا اثنان غير التام والتام؛ وهما مشتقان من أصلين مختلفين ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذين الاسمين تام أو غير تام ما يشبه الأزمنة في الفرنسية.

5/1/5- تميّز العربيّة بين الجنس لغة واصطلاحاً؛ فالتذكير خلاف التأنيث، فالتذكير معادل للقوّة والأنفة والصّلابه، أمّا التأنيث فيلتصق باللّين والسّهولة والإنتاج والخصب، ويتسق هذا التّصوّر مع تصوّرات التّحويين الذين ذهبوا إلى كون التذكير أصلاً وأنّ التأنيث فرع، وهذا ما صرح به سيوييه الأشياء كلّها أصلها التذكير ثم تختصّ بعد، فكل مؤنث شيء والشّيء يذكر، فالتذكير أوّل وهو أشدّ تمكناً "لعلّ هذا الفهم التّحوي نابع من خلال قصّة الخلق الأولى، فكما أنّ الذّكر أوّل، وهو أوّل الخليقة فالأنثى ثانٍ مجترح منه، كذلك المذكّر في اللغة فهو عمدة الجنس والمؤنث فرع، لذا ظلّ الذّكر بدون علامة تذكير لأنّه الأصل وهو الأوّل، وإنّما ألحقت علامة التأنيث بالمؤنث غالباً لأنّه فرع التذكير". وفي لغة الماساي من شعوب أفريقيّة يوجد جنس لما هو كبير وقوي وجنس آخر لما هو صغير وضعيف وهذا ما يترجمه بعضهم تحكّماً بالمقابلة بين المذكّر والمؤنث (ol tungani) الرّجل الكبير (en dungani) الرّجل الصّغير.

6/1/5- أثلج هذا الخبر صدري "مقابله في الفرنسيّة" cette nouvelle m'a fait chaud au coeur وإلى الأنكليزيّة بـ "news It's a heart-warming". وذلك راجع للمعطى المناخي: فالمنطقة العربيّة منطقة صحراويّة ساخنة فاستعملنا (تثلج) للتعبير عن التأثير الايجابي، أمّا المنطقة الأوروبيّة فطقسها بارد؛ لذا يتمّ استعمال (chaud) و(warming). حتى المناخ والجغرافيا لهما تأثير على ثقافة الشّعوب.

ومن هنا نستنتج أنّ الاختلافات القائمة بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتيّة ودلاليّة وتركيبية، بل إنّها تنطوي على اختلافات في تفسير

العالم وفهمه، وتشكل آثاراً معبرة عن عقل الشعوب اللغوية، فكل لغة تنفرد في شكلها البنائي ومحتواها الثقافي، فهي بذلك تكشف عن عقل الأمة، ولأن اللغة هي عقلها، وعقلها هو لغتها.

6- **القياس التوهمي:** على وثائق الأمانة العامة للحكومة وليس فيها لغويون/ أغلب وثنائها ترجمة من الفرنسية. وهو قياس التوهم، على غير قاعدة، ويدخل هذا في باب التخلي عن قواعد اللغة/ علماء اللغة وفقهاؤها فنقيس على الاستعمال الخاطئ ظناً منا أن المتحدث/ المقال مبني على قاعدة.

7- ترداد المقولة الخطأ الشائع أفضل من الصواب المشهور" علماً بأن الصحافي كان يجب أن يعمل على التطوير مثل المعلم الذي يطور اللغة اليومية.

8- المقولة الشائعة للصحافي "أنزل إلى لغة العامة ليفهموني" علماً بأن هذا مردود؛ لأن وظيفة الصحافي ترقية السامع/ القارئ لا إبقاءه على لغة الدهماء والغوغاء.

9- المقولة الخاطئة (المهم الفهم) وهذا منافٍ لقواعد اللغة؛ لأن اللغة قواعد، قد يحصل الفهم بكسر القواعد وذلك ما يخلق الهجنة اللغوية.

10- عدم التفرقة بين المستويات اللغوية: المستوى الفصيح، والمستوى الأفصح، ومراعاة المتحدث إليه والحال والمقام ومقتضى الحال. وفي كل هذا يعود إلى ذكاء الصحافي الذي يعمل على اختيار الكلام الأعلى الفصيح/

الأفصح. وما يقتضيه الخطابُ من الجمهور المُوجّه له الكلام ويدخل هذا في باب تنويع الخطاب، فمتى تقول:

- الصّحافيّ ← الصّحافيّ.

- المهمّة ← المهمّة

- في قولهم أنّ ← في قولهم إنّ.

11- التفريق بين الموضوعات التي يقتضي فيها التّسامح اللغويّ، وما لا يقتضي ذلك. والتّسامح اللغويّ لا يعني الرّفْع حيث يجب التّصب، بل يكون في باب الجواز. وهنا يكون الصّحافيّ على دراية باستعمال ما يجوز، وعدم الاستعمال لما لا يجوز.

عدّة الصّحافيّ.

1- الاعتماد على المهارات اللغويّة الأربع:

1/1- السّماع.

2/2- القراءة/ المطالعة.

3/1- الحوار.

4/1- الكتابة.

2- إدراك جيّد لقضايا اللّغة الإعلاميّة: وهي التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العامّ، وهي قاسم مشترك في كلّ فروع المعرفة ولا بدّ من: الوضوح اللغويّ+ الملاءمة المناسباتيّة+ الجاذبيّة في الأداء+ المرونة في القواعد+ الاتّساع في الاستعمال+ القابليّة للتّنمية.

3- التحضير الجيد لما يقوم به من تنشيط.

4- بداية الاستهلال بحسن ما يجذب السّامع أو المشاهد، بتوظيف المسكوكات/ الآيات/ الشّعْر/ الأمثال/ الحكَم.

5- إضفاء روح الدّعاة العلميّة وما يدخل في تنشيط فعاليات الموضوع وهنا يجوز للصحّافي استعمال ألفاظ الحياة اليوميّة إذا اقتضى الوضع ذلك. ما يجب أن يُدرکه الصحّافي:

1- العلوم تعيش التّطور، والبقاء للأحسن، والطّبيعة تكره الفراغ.

2- علينا الوعي بأنّ الأداء اللغوي الجيد يخلق الجمهور الواعي والتّخبة، فتسعة من أصل عشرة يكرهوني، لا يهمّ إذا كان الواحد الذي معي مُسلّحاً.

3- الجمهور المتابع يذوب ويحنّ إلى الأفلام/ المسلسلات المدبلجة أو ذات الأصل الفصيح.

4- العيش ضمن عصر المنافسة، والتّبات للأصلح، ويبقى هو الأقوى.

5- هناك روح المنافسة، ولا حياة لمن لا يغامر بلغته من أجل البقاء.

6- هناك واقع الإعلام الجديد، وضرورة الاستثمار في التّقنيات وعالم الصّورة في الميديا الجديدة. فأن تكون لا بدّ من: التّفاعليّة+ القابليّة للحركة+ القابليّة للتّوصيل+ الشّيوع والانتشار+ التّدويل+ التّعقيد وكثافة الاستخدام+ الاحتماريّة+ اللاجمهوريّة+ اللاتزامنيّة... وهذا كلّه ضمن واقع الصّورة الإيجابيّة إذا تملك الصحّافي زمام اللغة، كي يحوّل الصّورة إلى ثقافة بوصفها

خطاباً يعمل على الرّفْع من سوِيّة التّخبة. ولهذا على الصّحافي الماهر أن يجمع بين حسن استعمال اللغة، وبين توظيف الصّورة.

ما المنتظر من الصّحافي؟

- 1- العمل على حسن استعمال العربيّة في كلّ الوسائط المعتمدة.
- 2- استعمال المستوى الأعلى في أعلى تجلّيات اللغة/ الأفصح.
- 3- العمل بمجدارة على ترسيخ الاعتزاز بالهويّة اللغويّة.
- 4- عدم السّكوت عن الخطأ مهما كان بسيطاً.
- 5- الدقّة في الكتابة بصفر خطأ (0) وبخاصّة في نشرات الأخبار؛ لما لها من جمهور عريض.
- 6- نشدان الصّحافي المبني المضيف، لا الصّحافي اللامبالي.
- 7- العمل على بناء مدارس صحافيّة في حسن استعمال العربيّة، تفوق ما نسمعه ونراه في القنوات الأجنبيّة.
- 8- تجاوز التّمطية في التعامل مع الأزمة والموازنة بين رغبة القائمين على اللغة في تسخير الإعلام منبراً لغوياً يجمع بين الأصالة والحداثة.
- 9- ضرورة مراجعة وسائل الإعلام سياستها المهنيّة، فتحوّل عن التعامل مع العربيّة من منطق الپراغماتيّة إلى منطق الشّراكة، وتصدّي لكلّ محاولات الإضرار باللغة.

10- مقاومة تغوّل العولمة على وسائل الإعلام باستثمارها والاستفادة من سيورتها، ويكون للشخصية العربية مقام في منطق اللغة القائم على الوعي بهوية الأمة.

11- الإسهام في المسابقات الوطنية والعالمية في تقديم الأفضل بلغة عربية رصينة.

12- التحضير والتّحضير ثمّ التّحضير الجيّد، وتمثّل اللغة العربية بخصائصها قبل التّسجيل والتّنشيط والتّقديم. وضرورة الاطلاع على حيثيات الموضوع، وحمل الزّاد المعرفي في الحدود العامّة للموضوع الذي تعمل على إنجازه.

توصيات عامة:

1- ضرورة تنفيذ الدّورات التّكوينية في مجال التّنمية اللغوية، والوعي بدورها في دعم الرّسالة الإعلامية، وذلك ما ينعكس بصورة إيجابية على التّشّاط الإعلامي.

2- الاستفادة من خصوصيات العربية وتشجيع الثقافة اللغوية لدى القائمين بالاتّصال، ودعم هذا التّوجّه في مجال الدّراسات والبحوث العلميّة.

3- تجسير العلاقة بين اللغويين والإعلاميين للإسهام الإيجابي في إثراء المعارف المشتركة وخلق المواكبة اللغوية، مع استخدامها في مجال الإعلام.

4- تنويع البرامج عبر الوسائط الإعلامية، ومراعاة تنفيذ تلك البرامج بتوافق تطوّر دلالات الألفاظ والمعاني والمفردات الإعلامية.

5- ضرورة انفتاح كليات الإعلام على علوم اللغة في مجاريها اللسانية القديمة والحديثة.

6- تجسيد مفردات تعليمية تتعلق بالتصحيح اللغوي + قضايا فقه اللغة.

العربية في شمال أفريقيا

قبل الفتح الإسلامي^٧

- **الديباجة:** سيقع الحديث عن وجود استعمال العربية قبل الفتح الإسلامي في قارة أفريقيا؛ ويعني استعمالها في شمال أفريقيا تحصيلاً؛ باعتبار بلدانها تعرّبت بعد الفتح الإسلامي بسهولة، وحدث الانسجام والتّصاهر بين الفاتحين والسّاكنة بشكل سلس، رغم ما ينكره بعض الباحثين من وجود استعمال العربية في أفريقيا قبل الفتح الإسلامي، ولم تكن للعربية مكانة في شمال أفريقيا إلا بعد الفتح العربي الإسلامي، ومن ثمّ تعولّمت العربية على كامل القارة الأفريقيّة. ويرى المنكرون بأنّ بلدان شمال أفريقيا تعرّبت بالقوّة، بعدما عرفت سلسلة من الحملات والمعارك العسكريّة التي خاضها المسلمون تحت راية الخلافة / الدّولة الأمويّة ضدّ الإمبراطوريّة البيزنطيّة ومن حالفها من قبائل البربر، بغرض التّعريب والأسلمة، وذلك على مدى 66 سنة تقريباً، وانتزعت على إثرها ولايات شمال أفريقيا الروميّة من يدّ البيزنطيين، ودخلت في دولة الإسلام. هذا فعلاً حصل؛ لما دخل الفاتحون، ولكن اللغة العربيّة في مفهومها التّواصلّي / لغة التّواصل والمصالح المرسلّة (Lingua Franca) في قضايا التّجارة كانت متداولة بشكل من الأشكال وليس في مفهومها الأدبيّ الذي عرفته في عصر السّاميات أو ما شهدته في العصر الجاهليّ في أعلى فصاحتها عندما خرجت من منظومة السّاميات.

^٧ مقالة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في الموسوعة الجزائرية مجلّد اللغات واللهجات

وكانت مستعملة في نطقها العام كما يستعملها أعراب شبه الجزيرة العربية في مختلف التّأديت التي لم تكن مُشتركة أو مُوحّدة على غرار توحيدها في لغة قريش. وهنا نطرح إشكاليّة وجود العربية قبل نزول القرآن الكريم أم كان أوّل ظهور لها بعد نزول القرآن الكريم فقط؟ وهل هي عربيّة القرآن التي نقرأ بها القرآن؟ أم هي عربيّة ساميّة -على ما يراه البعض- قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانيّة والبرانيّة والفنيقيّة والآراميّة والأكديّة بقسميها البابلي والآشوري، ثم الأجنبيّة التي هي (لغة قريش) حسب نقوش رأس شمرا؟ ... هي مجموعة من الإشكاليات التي اختلفت فيها الدّراسات؛ بحكم أنّ شبه الجزيرة العربية كان لها أثر في تلوين لسانها، وأنّ الدّاخلين تنوّعوا في ثقافتهم، فأثروا وتأثروا، وأدخلوا وتركوا بصمات لسانية تواصلية كان لها الأثر في تلك المنطقة، أضف إلى ذلك عامل شساعة المنطقة التي احتوت القبائل الأصيلة والقبائل التّازحة بحكم التّرحال للرّعي. فكانت للحجاز لغة، ولليمن لغة/ لغات، ولانقسام العرب إلى عشائر أثر في تلك اللغات ولكن الشّيء الذي يمكن أن نوّكده على أنّه مهما اختلفت لغات هذه القبائل هناك لغة جامعة في أبعاد حدودها، وإلّا كيف كانوا يتواصلون في ترحالهم وعيشهم وغزواتهم وعلاقاتهم الرّعيّة/ التّجاريّة مع بعضهم.

وأما اللغة العربيّة في معناها المعاصر بدأت تتعمّق وتتجدرّ في منظومة فكر ساكنة شمال أفريقيا بعد الإسلام لفهم الإسلام؛ على أنّ ما لا يتمّ به الواجب، فهو من الواجب. وفي ذات الوقت لا ننكر الجذور التاريخيّة للعلاقات العربيّة الأفريقيّة إلى ما قبل ظهور الإسلام؛ حيث كان المجتمع العربيّ الجاهليّ يزخر ببعض المجموعات الأفريقيّة التي استقرّت بين العرب

وانصهرت في القبائل العربية عن طريق الولاء والانتماء الكامل، وبعض هذه المجموعات شقت طريقها إلى الجزيرة العربية لعوامل غير الرق والغزو. وكان الأحباش (وهم سكان بلاد القرن الأفريقي في الصومال وبلاد الحبشة وإريتريا) أكثر من وفد إلى جزيرة العرب قبل الإسلام، وتأثرت هذه المجموعات التي وفدت من الساحل الأفريقي بالثقافة العربية. ومن هذا الباب أقبل الأفارقة وبخاصة البربر على اعتناق الإسلام، وتعلم لغة الإسلام شاركوا العرب في الغزوات والمعارك ضد الروم، واستمر البربر يدخلون في الإسلام تباعاً مع تقدم الفتوحات. ونتيجة ذلك حدثت الميثاقفة بطول الاختلاط، فاستعرب الكثير من البربر وبالأخص ساكنة الحضر/ المدن منهم، واستمر ساكنة الريف يحتفظون بهويتهم اللغوية الخاصة. وقد ظهرت عبر التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب أنّ كل الممالك البربرية الثلاثة عشر (13) حملت لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين وعن اللغة العربية مثل الأدارسة والفاطميين والمرابطين والموحدين والزيايين والمرينيين... كما أصبحت بلاد المغرب مراكز الثقل الإسلامي واللغوي في العالم الإسلامي.

1- الأوضاع العامة في شمال أفريقيا قبل الفتح الإسلامي: كانت الأوضاع السياسية في شمال أفريقيا مضطربة بسبب الحروب بين القبائل الجرمانية النازحة من القارة الأوروبية والبيزنطيين، وبين البيزنطيين والأهالي أنفسهم، وكانت شمال أفريقيا تُشكّل جزءاً من الإمبراطورية الرومانية منذ سنة 146 ق.م، عندما تمكّن الرومان من إسقاط مدينة (قرطاج) خلال أواخر الحرب البونيقية الثالثة، والقضاء على القوة العظمى الوحيدة في المنطقة القادرة على منافسة روما وعظمتها. وفي ظلّ هذا المخاض

عرفت المنطقة المذهب الدوناتي الذي كان رمزاً للمقاومة الشعبية، وازداد انتشاره بزيادة انتشار الفقر والبؤس بين الأهالي الذين ثاروا ضد الحكومة والطبقة الغنية، ودعوا إلى المساواة. وحاولت الحكومة مُجادلة أصحاب هذا المذهب، فكان القديس (أوغسطين) ألد أعدائه، حيث هاجم المذهب الدوناتي، وأباح للدولة استعمال العنف ضد أصحاب هذا المذهب لكسر قوة تصاعد شوكتهم، وإعادتهم إلى حظيرة الكنيسة. ولكن تحالف الكادحون والفقراء مع الدوناتية استمر إلى وفاة دونات سنة 355م واتخذ شكل الثورة الوطنية في طرابلس ونوميديا إلى سنة 375م. واستمرت بلاد المغرب خاضعة للرومان حتى سنة 435م تقريباً، ثم جاءت قبائل الوندال بأعداد كبيرة، ووقع استقرارهم في شمال أفريقيا، ومحووا آثار الرومان وحصل في هذه الأثناء أن تعاضم نفوذ قبائل البربر في مجموعات مشتتة، لم تجمعها إلا الوحدة القومية، وبدؤوا يُشكلون كتلة الولاء لقبائلهم وعشائرتهم، وارتد الكثير منهم عن المسيحية. وفي السنوات القليلة التي سبقت الفتح الإسلامي، عين قيصر الروم الإمبراطور (موريس) أحد قادته العسكريين (هرقل) قائداً أعلى على بلاد المغرب، وكان ذلك سنة 600م. ثم حصل أن خلع القيصر، وقتل على يد أحد ضباطه (فوقاس) وترجع هذا الأخير على عرش الإمبراطورية، وعاث فساداً باستبداده حتى تدهورت أوضاع الإمبراطورية البيزنطية بشكل كبير، الأمر الذي دفع (هرقل) حاكم أفريقيا إلى إعلان العصيان، وشجعه موقف سكان شمال أفريقيا من البربر الذين أيده نظراً لحكمه العادل مقارنةً مع باقي الحكام السابقين. وشهدت بلاد المغرب عهداً من السلام لم يعرفه الأهالي من قبل، وتمتع البربر بالكثير

من الحرّيّة والاطمئنان وعادت المسيحيّة تتسرّب إليهم. وفي أواخر عهد (هرقل) رجعت الاضطرابات لتنتشر في بلاد المغرب؛ بسبب مُحاولات الحكومة البيزنطيّة فرض مذهبها على كافّة أطراف الشّعب، فأخذ البربر والأفارقة يلتفون حول بطاركتهم للدّفاع عن عقيدتهم ضدّ الإمبراطوريّة وانتهى الأمر بأن نهض أحدُ القادة والقساوسة (جرجير) واستقلّ عن الدّولة وحكم مُستعيناً ببقايا جنود الرّوم وجُنود البربر، وضرب العُمُلات باسمه واتخذ من قرطاج عاصمةً له، ثمّ تركها وانسحب إلى الدّاخِل، وتحصّن في سُببلة خوفاً من أي هُجوم روميّ مُحتمل. أمّا في بقية البلاد؛ فقد تحرّر البربر من سلطان الرّوم، وتلاشت المسيحيّة من دواخل بلادهم للمرّة الثّانيّة. وفي كلّ هذا لم يكن البربر يستعملون لغتهم القوميّة (البربريّة) في القضايا الرّسميّة، ولا اللغة العربيّة، بل يميلون حيث لغة المستعمر، ويدينون بها في معاملاتهم الرّسميّة، وبقية لغتهم الوطنيّة (البربريّة) في الاستعمال الوظيفيّ حتى اليوم. ولكتّهم كانوا سريعيّ الفهم للغات الآخرين، وهذا ما جعلهم في سنواتهم الأخيرة قبل مجيء الإسلام يتفاعلون مع التّجار العرب في التّواصل بالعربيّة المعهودة آنذاك. ولم تُشر المصادر أنّ هناك ترجمة ينقلون الكلام بين التّجار العرب والسّاكنة، رغم ما يشير إليه صاحب كتاب (الجُمّان في أخبار الزّمان) أنّ بربر أرياف وأطراف برقة لما عرفوا بقُدوم القائد المُسلم إليهم أرسلوا إليه رُسلًا يعرضون عليه أن يدخلوا في الإسلام على يديه، وأن يُوالوا المُسلمين ويُعاونوهم في الفُتوحات، فاستطاع (عمرو بن العاص) أن يفهم ما يُريدون بواسطة مُترجم نقل إليه كلامهم، فأرسلهم إلى الخليفة (عمر بن الخطّاب) في المدينة المنوّرة الذي رحّب بهم أحسن ترحيب بعد أن عرف

أنهم ينتمون إلى القوم الذي أخبر عنهم الرسول مُحَمَّد... وبعث إلى (عمر بن العاص) أن يُقدِّمهم على الجُند. وهناك روايات تقول بأنَّ (عمر بن الخطاب) استقبلهم وقال لهم "ما لكم تُبربرون...". يعني تتكلَّمون بكلام غير مفهوم. وأمثال هذه التَّصوص يجب أن تؤخذ في سياقها، على أنَّ هناك زيادات، وبعضها جاءت بعد الفتح الإسلامي الذي نالت فيه العربيَّة أسمى تجلياتها كخطاب أدبيِّ عالٍ.

2- جذور الحضارات: ليس سهلاً تأكيد بعض القضايا التاريخية التي تعود إلى غابر الزَّمان، ولكن عندما نحتكم إلى بعض الأدلَّة يمكن تحليلها والبناء عليها وفق (قياس الماضي على الماضي) بأنَّ منابع الحضارات تتبع المياه، وأنَّ مصر وبابل وبعض مجاري الأنهار في آسيا كانت لها حضارات قديمة منذ فجر الحضارات والعصور، ولها معارفها في العلوم ونمط المعيشة، ولم تكن الحضارات الأوروبية إلاَّ رجع الصِّدى لها، بما فيها روما العظيمة التي تعدَّ مهد الحضارات عند الغربيين. وأمام ذلك التَّمدُّن كان الشَّرق مهوى العاشقين الرَّاغبين في الاستمتاع والتَّعلُّم ومقصد الهجرات من وإلى مهد الحضارات؛ وهي الحضارة الشَّرقيَّة؛ ومقرها الشَّرق العربي وآسيا. ولهذا تشير المصادر بأنَّه حصلت هجرة الكنعانيين الفينيقيين إلى هذه المواطن الحضاريَّة، كما تمَّت هجرات من الشَّرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشَّمال. ثمَّ حدث تبادل للهجرات غرباً شرقاً وشرقاً غرباً... ويسجِّل التاريخ أنَّه حصلت هجرة البربر من الجريد إلى مصر، وهجرة العرب من جنوب الجزيرة العربيَّة إلى سيناء مصر، ومن سيناء إلى شمال أفريقيا، ونقلوا معهم لغتهم العربيَّة التي تفرَّعت إلى لغات تدعى (اللغات العروبيَّة) ومنها

البربرية. إضافة إلى تلك الأقوال التي ترى بأن أصلهم من اليمن القديم وسافروا إلى أفريقيا عبر البحر، كما يسجل التاريخ بأن معظم سكان شمال أفريقيا من القبائل البربرية والقبائل العربية؛ فالبربرية تتمثل في: نفزاوة+ الزناتة+ أربة+ عجيسة+ هسكور+ جزولة+ أزداجة+ غمارة+ نفوسة+ لواتة أدريسة؛ وهم من قبائل (حام بن نوح) توافدوا على شمال أفريقيا عبر العصور؛ فمنهم من ذهب إلى اليمن. وبعد قرون تلتحق بشمال أفريقيا في عهد (أفريقش / أفريقس) قبائل أخرى من غرب اليمن وهم: صنهاجة+ هوارة+ لمطة+ كتامة. وبعد الفتح تلتحق جماعات عربية من بني هلال من أبناء (سام بن نوح) منهم قبيلة الأثيج+ بنو الرياح+ زغبة+ المعقل+ بنو عوف+ بنو دياب+ بنو زغب+ بنو الوليد؛ وكانت هذه القبائل متداخلة وبعد ذلك شكّلت البطون والأعراش والأفخاذ. ويميل (ابن خلدون) إلى أنّ البربر من ولد (كنعان بن حام بن نوح) عليه السلام، فالكنعانيون ليسوا عرباً وليسوا من أبناء (سام)، في ما يذهب اتجاه آخر إلى ربط سكان هذه المنطقة بالشرق وجزيرة العرب حيث إنهم نزحوا من هناك إلى شمال أفريقيا نتيجة لحروب أو تقلبات مناخية وغيرها. وهناك من يقول إنهم ربّما جاؤوا من أوروبا أو مناطق البحر الأبيض المتوسط القديمة، في ما يذهب رأي آخر إلى اعتبار أنّ أصل البربر في هذه القارة أصيل لم يهاجروا، ولم يحتكوا بغيرهم لأنهم يخافون الدوبان في غيرهم... هي آراء وأفكار بعضها صحيح، وبعضها مجانب للصحة، وبعضها مغالط، ونريد أن يثبت الباحثون الحقائق بموضوعية وتأتي التصحيحات من العلماء الذين يعملون البصيرة ومن المتسلحين بالعلمية لإخراج المسألة اللغوية من ليّ بعض الآراء التي تريد إحداث العزلة

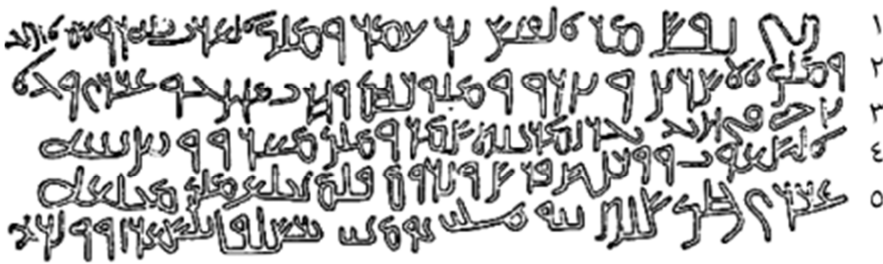
في ما هو متداخل، والتفرقة بين ما هو جامع، أو البحث عن صفاء الدّم من أجل إحداث الفتنة والقطيعة بين الأصل الواحد. وما يجب وعيّه أنّ البربر لهم جغرافيّة كبيرة، ولهم تاريخ من الوجود يعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف (3000) سنة، وهم من ساكنة شمال أفريقيّة، استعملوا في تواصلهم الرّسمي لغات المحتلّ/ لغات الوافد، ولم يوظّفوا (البربريّة) إلّا في الجانب الوظيفيّ اليوميّ البسيط، وتعدّدت لغاتهم المحليّة لدرجة أن وصل عددها إلى خمسة وثلاثين (35) أداءً. وهم ساكنة سيوة المصريّة شرقاً إلى المحيط الأطلسيّ غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسّط شمالاً إلى الصّحراء الكبرى جنوباً. وهم سكان الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا وشمال مالي وشمال النّيجر وبوركينا فاصو، وجزء من غرب مصر، ويوجدون في جزر الكناري.

3- **العربيّة لغة خارج السياق المحلي:** هي عربيّة بما لها من تواجد خارج إطارها الجغرافيّ (شبه جزيرة العرب) ومصاحبته لأهلها إلى قارة أفريقيا في نسق المنظومة السياسيّة/ التجاريّة ليكون لها موقع استعماليّ كلغة وسيط حاملة لمنظومة تواصلية، ويكون لها حضور في لغات أفريقيا المتعدّدة، وتكون بديلاً في لاحق من الزّمان بما لها من همولة دينيّة. ويبقى أنّها اللغة التي استطاعت أن يكون لها وجود بين أكبر عدد من الشّعوب الإفريقيّة بفضل امتداد نفوذها التجاريّ، وما صاحبها من المرجعيّة السياسيّة للعرب؛ وهم يثبتون قوتهم وشوكتهم أمام الإمبراطوريات الإفريقيّة ذات المرجعيّات اللغويّة غير المتجانسة. وفي كلّ ذلك أصبح للعربيّة موقع في الانتماء الوطني البربري، والتحدّث بها كلغة الثقافة والفكر، فحصل في ظرف وجيز أنّ فئة

من البربر تحمست لها وذابت في الثقافة العربية بسهولة بعد الفتح الإسلامي ومن ثم انتشارها السريع بعد دخول الإسلام إلى ممالك أفريقيا بكل أريحية.

4- عربية ما قبل الإسلام: لا شك أن العربية التي كانت مستعملة في العصور القديمة، وما كان من لغة عربية قبل العصر الجاهلي ليست هي عربية العصر الجاهلي، ولا هي عربية الإسلام، ولكن ليست بعيدة عن بعضها بوجود القواسم المشتركة، وبقدر ما فيها من بعض الاختلافات التي تعود إلى التكوين والتكوين الذي حصل فيها عبر القرون مع أخواتها الساميات، وهي تلك العربية التي خرجت من بيئة العرب ونالت الانتشار عبر الهجرات والتجارة. وهنا يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل كان العرب قبل الإسلام يتحدثون لغة عربية نمطية واحدة؟ في الحقيقة لم يكن العرب يتحدثون لغة عربية واحدة، حتى عرب شبه الجزيرة العربية اختلفت لغاتهم ولهجاتهم، وكانت لهم لهجات عربية، وقد ذكر (الطبري) ذلك في تفسيره مثل اللسان العربي الجنوبي + الحميرية + الأمهرية. وهناك نصوص معينة وحيانية وثمودية وصفوية، وهي تختلف في كثير من مداليلها عن عربية شبه الجزيرة العربية، وربما ما يجملها هو كتابتها بخط المسند. ولكن ما يقع الاتفاق عليه هو وجود بعض التقارب مثل ما هو موجود الآن بين العربية والمهرية/ الأمهرية، والعربية الجنوبية، وبعض اللغات الأفريقية، والعربية والقبطية... وعلى كل حال إنّ عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية، وعن عرب الإسلام، في اللغة والدين والأدب والأخلاق ولكنهم ليسوا منقطعين عن أسلافهم مهما اختلفت بيئاتهم، وكان الحبل السري بينهم اللغة العربية في حدودها الوسطى تجمع بين عرب ما قبل

الجاهليّة وعرب الجاهليّة وعرب الإسلام باختلاف الحضارات وما تدرّه من ألفاظ وما ينقرض فيها من أساليب. وحسب ما تنصّ عليه الدّراسات اللسانية هناك قواسم مشتركة بين لغة الحمورابيين ولغة الأشوريين، وهذه الأخيرة أقرب إلى عربيّة مُضر التي استعملها عرب قريش وسائر الحجاز... وقسّ على هذا ذلك التلاقي اللغويّ بين لغة مُضر ولغة عمالقة العراق في الفرق الذي ظهر بين لغة عرب الشّام في أوائل القرن الرّابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة، وبين لغة مُضر عند ظهور الإسلام؛ وذلك أنّهم عثروا في أطلال التّمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربيّة بالخطّ النبطيّ نقشت في أوائل القرن الرّابع للميلاد أي قبل الإسلام بثلاثة قرون، وهذه صورتها:



كتابة عربيّة بخطّ نبطيّ على قبر امرئ القيس بن عمرو سنة 328م. وإليك نصّها كما تقرأ كلّ سطر على حدة:

- (1) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج.
- (2) وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء.
- (3) يزجو (؟) في حيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.
- (4) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

- (5) عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.
- هذا لسان عربيّ تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهّمها إلى إيضاح، وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربيّة الفصحى؛ وهو:
- (1) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلّهم الذي تقلّد التّاج.
- (2) وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج إلى اليوم وقاد.
- (3) الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معداً واستعمل بنيه.
- (4) على القبائل وأناهبهم عنه لدى الفرس والرّوم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- (5) إلى اليوم... توفي سنة 223 في يوم 17 أيلول (سبتمبر) وفق بنوه للسّعادة.

وكان أهل الشّام وهوران وما يليهما يؤرّخون في ذلك العهد بالتّقويم البصريّ؛ نسبةً إلى بصرى عاصمة حوران، وهو يبدأ بدخولها في حوزة الرّوم سنة 105 للميلاد، فإذا أضيفت إلى 223 كان المجموع 328 للميلاد وهي السنّة التي تُوفّي فيها هذا الملك.

5- مدنيتا شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام: ما لا يمكن أن نخفيه بأنّ شبه الجزيرة العربيّة عرفت مدنيّة بمفهومها الزّمنيّ، رغم ما يوصم به العصر الجاهليّ بالجهل، وكان الجهل في أمور الدّين، وانشغالهم بالغزو ولكن ليسوا بالهمج، لأنّه وصلنا منهم أدب راقٍ لشعراء حكماء على غرار شعر زهير بن أبي سلمى، ووصلتنا حكّم عاليّة الجودة على غرار حكّم: أبو العاص بن أميّة + أبو رغال + عبد المطّلب + أبو عامر الفاسق + أبو براء العامريّ + أبو

أزهر الدوسي... وهناك فلاسفة... وهناك ارتقاء في السياسة والعمران... وصاحبت العربية هذا الارتقاء في المدنية، وكانت خير معبر عما في أذهانهم. ومن الثابت أن العربية لا تتولد فيها كلمة إلا للتعبير عن معنى حدث في أذهان أصحابها... فإذا وجدنا في لغة من اللغات اسماً لنوع من اللباس نحكم حكماً قاطعاً بأن أصحابها عرفوه أو لبسوه، أو نوعاً من الأطعمة عرفنا أنهم أكلوه، وبالعكس ذلك خلّوها من أسماء بعض الأدوات، فإنه يدلنا على جهلهم إياها... وإنّ عربيّة ما قبل الإسلام كانت من أغنى لغات الأرض بما توفر لقاموسها الكبير من مسكوكات وحكم وأمثال ومصطلحات... وحصل فيها الثراء في المترادفات التي تدلّ الكلمة فيها على عشرات/ مئات على معنى واحد/ معان متشابهة/ تضاد، وتوسّعت العربية في مدلول اللفظ حتّى تعدّدت معانيه بالقوّة والفعل. وصاحبت العربية عرب ما قبل الإسلام في تجارتهم واقتصادهم، بكثرة الألفاظ الدالة على المال، وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة من أسماء التقود والذهب والفضّة، وقسّ على ذلك أمثالهم وعباراتهم ولطائف لغتهم في الفنون العقلية التي تحتاج إلى تفكير ومنطق كالأحاجي والألغاز وفُتيا العرب... وفي ذلك المخاض الاحتكاكيّ أعطى العرب كما أخذوا ونقلوا وتركوا، وأبدعوا بلغتهم التي تركت بصماتها حيث ارتحلوا، وحيث أقاموا. إنّها عربيّة التأسيس التي جاءت على إثرها عربيّة الترخيص بما لها من مقومات جديدة، ولكنّها هي أفكار وآداب لا ينبغي تحقيرها بمصطلح (الجاهلية) على أنّها صحراء قاحلة. ألم يظهر فيهم الثابغة+ الشاعر الفحل+ شاعر الحكمة+ علامة... وما وصلنا إلا القليل من الشعر، وهناك الخطابة والعلوم ومختلف الفنون التي ضاعت بفعل

الاستقرار، والحضارة لا تحصل إلا بالاستقرار. ... وكانت العلوم التي أخذوها جزءاً منها عن اليونان والفرس، وكذلك الرياضيات، أما علوم ما وراء الطبيعة، فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل، فنقدم الكلام في الأهم منها، وهذا ما يقوله صاحب (تاريخ التمدن الإسلامي) ج5، ص 56.

6- العربية قبل الإسلام: تشير المصادر بأن العرب سكنوا شبه جزيرة العرب منذ غابر الزمان، وكانوا بدواً رَحَلاً يسعون وراء الكلاً والغزو وكسب مئات الجمال في صحراء لا حدود لها، ولم تكن لهم لغة واحدة مشتركة، فتنوعت لهجاتهم الضيقة رغم بعض القواسم الخاصة التي تتعلق بالماء والرعي وتبادل المصالح. ولكن الشيء الذي أكدته المصادر أن تلك اللهجات تبعد قليلاً عن عربية اليوم، وكانوا يسمونها بعربية الجنوب مثل الحميرية، إضافة إلى لهجات مثل المهريّة والشحرية وتختلف عن بعضها البعض، كما تختلف عن عربية العصر الجاهلي. ومما لا خلاف فيه أن بجوار هذا اللسان العربي كانت القبطية في بلد الأقباط، وتزامها اليونانية. والقبطية هي لغة المصريين وقد سبق استعمالها قبل الفتح الإسلامي وظلت اللغة القبطية منذ ظهورها لغة الكلام والعبادة بالمسيحية، وهي في بعض الآراء تطوّر للغة المصرية القديمة. ولكن وجود استعمال العربية بشكلها اللهجي كان موجوداً في بلاد مصر من خلال تنقل التجار العرب والدليل أن الفتح الإسلامي لمصر كان سهلاً ودون مصاحبة التراجمة وحصل القبول الطوعي، ولم يحدث الصراع اللغوي بتاتاً، فقد أصدر والي مصر (عبد الله بن عبد الملك) أمر إحلال العربية بدلاً من القبطية، وحصل التعريب الكلي

دون مضايقات. ومع ذلك ظلّت القبطية في الكنيسة وكتّتها حصل أن تأثرت بالعربية ووقع فيها التعديل في بعض الحروف وكتبت التعاليم المقدّسة بالحرف العربي بعد الفتح الإسلامي. وفي شمال أفريقيا وجدت اللغة البربرية؛ وهي إحدى اللغات القديمة التي تنتمي إلى عائلة اللغات الأفروآسيوية، بينما كانت اللاتينية هي لغة الكتابة، وقد قاومت البربرية الهيمنة الرومانية عدّة قرون، وظلّت لغة الثقافة في شمال أفريقيا. وبعد الفتح الإسلامي انتشرت اللغة العربية بسهولة، وإن احتفظت البربرية بمكانتها في التواصل اليومي. كما كانت الآرامية لغة بلاد الشام ولغة الثقافة بين العراقيين حتى القرن السابع الميلادي حين دخل الإسلام وتمثّل هذه اللغة مزيجاً بين اللغتين الأكديّة العراقيّة والكنعانيّة السّورية ورغم سيادة الإمبراطوريّة الفارسيّة على المنطقة، ومحاولات الفرس فرض لغتهم وديانتهم؛ فقد ظلّت اللغة الفارسيّة لغة البلاط ورجال الدّين المجوس هناك فقط، وحافظ العراقيون على لغتهم وديانتهم. وبعد الفتح أصبحت العربيّة لغة ساكنة الشام والعراق؛ بسبب التقارب اللغويّ فضلاً عن التقارب الكبير بين عرب الجزيرة والعراقيين؛ بسبب الاتّصالات السّكانية والحضاريّة، ونعلم الدّور اللغويّ الرّياديّ الذي قدّمته مدينتنا البصرة والكوفة للنّحو العربيّ.

ومع كلّ ما يمكن أن يقال، فإنّ العربيّة أشهر اللغات السّاميّة على أرجح الأقوال، وفيها آراء متباينة حول نشأتها وتطورها، واختلفت الآراء، ولكن الشّيء الذي نستقرّ عليه بأنّها لغة العرب القدامى؛ لغة قحطان ارتبطت بالشّعراء القدامى أمثال: المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس بن حجر، وذهب

بعضهم إلى القول بأنّ عمر الشّعر العربيّ سبعة قرون قبل الإسلام. والمهمّ هناك عربيّة نالت تسميات عديدة لغة مكّة والحجاز/ لغة اليمن/ لغة الشّعر الجاهليّ/ اللغة الصّافيّة... والمتتبع للدراسات اللغويّة المقارنة يرى بأنّ عربيّة العصر الجاهليّ تضمّ عناصر لغوية قديمة لا توجد في غيرها من لغات جزيرة العرب القديمة، كما أنّ بعض النّقوش التي خضعت للدراسة: نقش أمّ الجمال/ نقش النّمارة/ نقش زبد/ نقش حران/ نقش أمّ الجمال رقم 2/ نقش قرية ذات كاهل، كتبت بلغة عربيّة صريحة تخالطها بعض الطّواهر اللغويّة النّبطية الآراميّة. وأنّ العربيّة الفصحى بدأ ظهورها وانعزالها عن أخواتها منذ القرن الثالث الميلاديّ، وعرفت مسار طفولتها حتى وصلت مكتملة في العصر الجاهليّ ووقع الإبداع فيها وبها ومنها في أرقى قصائد المعلّقات، عند قبائل شبه الجزيرة العربيّة. وبها نرى الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ يقدّم لنا صورة متكاملة للغة العربيّة المتطوّرة التي عرفت مراحل التّهيئة والتّرقية والتّطوير بصورة المكتوب والمنقول والشّفاهي. وحصل للعربيّة الكثير من الثراء اللغويّ عبر محطّات زمنيّة في بيئة مفتوحة، وعبر لهجات تقاربت من أجل الإبداع، وضرورة الاحتكاك للتّفاهم، في صراع البقاء للغة الأقوى؛ والتي تُستعمل في مواسم الحجّ والمعاملات التجاريّة والأسواق واللقاءات الخاصّة، وفي الحروب والغزوات وأيام العرب وما إليها. وعندما اشتبكت في صراع لغويّ كان النّصر فيها للغة مشتركة استمدّت أبرز خصائصها من لهجة قريش التي طغت على سائر اللهجات الأخرى. وكانت للمناظرات الأدبيّة في أسواق مكّة/ سوق عكاظ/ ذي

المجاز/ المجتة... دور مهمّ في صقل وتهذيب اللغة العربيّة الفصحى، والارتقاء بها إلى ذلك المستوى المتأدّب.

7- تعريب الساكنة مع الفتوحات الإسلاميّة: يقصد به التأثير العربيّ منذ الفتوحات الإسلاميّة للمناطق غير العربيّة، ممّا أدّى إلى اعتمادها التدريجيّ للغة العربيّة/ دمجها في الثقافة العربيّة والهوية العربيّة والإسلام، وهذا خارج شبه الجزيرة العربيّة من خلال الفتح الإسلاميّ/ التجارة. وكانت العربيّة مصدراً رئيساً للمفردات لمختلف اللغات. بلغت هذه العملية ذروتها في القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وهي نقطة الثقافة العربيّة وحصل هذا بالقوة بعد الفتوحات الإسلاميّة، وقبلها كان بالقوة التّاعمة المصحوبة بالمال والغذاء وتبادل المنفعة، وقد مسّ التعريب مناطق محاذية لبلاد العرب، إلى جانب تلك المناطق التي وصل إليها العرب على غرار شمال أفريقيا وشبه جزيرة إيبيريا والبرتغال، وإلى بعض الدّول في آسيا، كما مسّ دول السّهل/ السّاحل والسّودان وتشاد والتّيجر ونيجيريا والكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى. ولم يقع التعريب في مفهومه استعمال العربيّة في مختلف الأنشطة التّواصلية إلاّ بعد مجيء الإسلام، فتعرّبت مصر والسّودان بشكل كامل، حتى صلوات الأقباط تتلى بالعربيّة، كما تمّت عمليّة تعريب شمال أفريقيا، وجاء ذلك في نصوص دساتيرهم وفي موثيقهم الرّسميّة.

8- حجج استعمال العربيّة في أفريقيا قبل الفتح الإسلاميّ: هناك الكثير من الدّراسات ترى بأنّ العربيّة كانت موظّفة في شكلها البسيط ذات العلاقة بقضاء المصالح المرسلّة، على غرار استعمال بعض مصطلحاتها

ومسكوكاتها في طريق الحرير، باعتبار العرب تجاراً لم يتركوا بلداً إلاّ وأقاموا معه أسواق المقيضة وتبادل المنافع، وكيف بهم أن يصلوا إلى أقاصي آسيا وبلاد السند والقوقاز، وتفصلهم البحور، ولا يدخلون أفريقيا التي يأتونها براً وبحراً، عن طريق بلاد القبط/ مصر. وما يجب أن نعلمه بأنّ موقع العرب الجغرافيّ وأفريقيا لا يفصل بينهما إلاّ البحر الأحمر ومساحة ضيقة جداً. ولذلك كان العرب والأفارقة على تواصل دائم عن طريق تبادل المصالح المرسلّة التي تجسّدت في التجارة عن طريق الملح وهذا قبل مجيء الإسلام. وذكر (ابن خلدون) هذا الأمر إنّ اللغة العربيّة دخلت إلى إفريقيا قبل خمسة آلاف سنة عبر المداخل الجنوبيّة والشّماليّة لساحل البحر الأحمر، وأطلقوا على ساحل أريتيريا آنذاك، اسم بلاد الحبشة وبلاد (الزليع) وكان عرب شبه الجزيرة العربيّة عامّة، وعرب اليمن، وحضرموت وعمان خاصّة، هم أوّل من عرف منطقة شرق أفريقيا، قبل غيرهم من الأمم الأخرى، وحتى قبل ظهور الإسلام بعدة قرون. فقد استطاع العرب—ومن خلال رحلاتهم البحريّة—أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور، وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقيّ الأفريقيّ من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً، وحتى موزمبيق ومدغشقر جنوباً¹. ولما جاء الإسلام، فقد كان للمسلمين أوّل لجوء سياسيّ إلى بلاد الحبشة، واستقرّ بعضهم هناك وتفاهموا بلغة مشتركة وهي العربيّة. ولما بدأ الإسلام يشتعل، وصلت دُفعات كبيرات من العرب عن طريق شمال أفريقيا، باستخدام مسالك تجاريّة قديمة عبر الصّحراء الكبرى، وقد عبد التجار طريق التّلاقي والتّفاعل بين الأفارقة في الشّمال (البربر) والأفارقة في الصّحراء/ الجنوب/ السّهّل مع (الزّنوج) وبدأ

يمسّ القارّة الأفريقيّة عامّةً مسلك ورقلة إلى صحراء مالي وما قامت به مدينة تيهرت من مدّ جسور التّواصل إلى الصّحراء الكبرى بغرض التّجارة... كما ضمنت تيهرت وصول السّلع السّودانيّة إلى مدن إفريقيّة² وحصل تفاعل بين الحواضر العلميّة، مع ما صاحبها من حركة انتقال العلماء والطلّبة، وبذلك حدثت روابط ثقافيّة عبر القرون، وهذا التّفاعل تمّ بقوة ناعمة خلال العصور الوسطى القديمة حتى عمّ الإسلام كلّ القارة. كما شهدت المدن السّاحليّة حركةً تجاريّةً نشيطةً في جلب الدّافع بين التّجار العرب والأفارقة.

وعلى العموم كان للعربيّة موقعٌ استراتيجيٌّ معاصرٌ بما لها من موقع سابق في دول السّهّل / السّاحل وعمق أفريقيا وفي شرقها، فالأمور متفاوتة من مملكة أفريقيّة إلى مملكة، وما يمكن تأكّده أنّ العربيّة كانت بشكل من الأشكال من بين لغات الخطاب التجاري العامّ. ولقد بصّرت بمجموعة من الحجج التي ترى وجود استعمال العربيّة بشكلها البسيط لقضاء الأغراض التّواصلية:

الحجّة الأولى: تشير كتب التّاريخ أنّ الجزيرة العربيّة واليمن مقصد العلماء، وبخاصّة ما تأكّد في القرن الخامس الميلاديّ الذي عرف مدنيّة وكانت العربيّة راقيةً في أساليبها ومعانيها وتراكيبها وأمثالها وحكمها واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم، وأنّ مبلغ اللغة العربيّة الرّاقية حصل لها بتوالي الأدهار، وهذا ما أبانته الاكتشافات الأثريّة من بقايا التّمذّن في اليمن قبل الإسلام بقرون، فضلاً عمّا ظهر من فضل العرب وأعرافهم في المدنيّة والعلم، مما قرأوه من آثار بابل وآشور، وما تركته دولة (حمورابي) من

سبق المدنيّة في ما وصلت إليه شرائعهم وقوانينهم. وأنّ الحمورابيين/ عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصّغار على نحو ما هو جارٍ الآن، وقد كشفوا في آثار زيارا أنقاض مدرسة لتعليم الأطفال... فإذا صحّ أنّ هذه الدّولة عربيّة، كان العرب أسبق أمم الأرض إلى سنّ الشّرائع وتنشيط العلم وأنهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ إليه معاصروهم، وأدركوا من الرّقي الاجتماعيّ مدارك الأمم المتمدّنة. ولا ننسى (سفر أيوب) والمرجّح عند المحقّقين أنّ صاحب هذا السّفرة في التّوراة عربيّ الأصل، نظم ذلك الكتاب شعراً عربيّاً في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورابيين من بين التّهرين ثم ترجم إلى العبرانيّة وعدّ من الأسفار المقدّسة، وضاع أصله العربيّ كما ضاع أصل كليلة ودمنة الفارسيّ. فإذا ثبتت عربيّة (سفر أيوب) كان العرب أسبق الأمم إلى قرض الشّعريّ؛ لأنّه نظم قبل إلبادة (هوميروس) بألف سنة وقبل (مهابهاراتة) الهند بعدّة قرون. وهذا يعني أنّ بلاد العرب كانت مقصد التّعليم قبل الإسلام، وكانت العربيّة لغة التّعليم، وأنّ المتعلّمين يأخذون علمها إلى بلادهم، ويعملون على نشره بلغة التّعليم.

الحجّة الثّانيّة: عامل الهجرات، وكانت هجرة العرب إلى أفريقيا قديمة قدّم اختلاط الشّعوب واحتكاكها. ويقول حلمي الشّعراوي إنّ في القرنين السّابقين للميلاد، انتقلت جماعات من العرب عبر سيناء إلى مصر، متتبعه السّاحل الشّمالي، وبعضها اتّجهت غرباً، ثم جنوباً عبر الصّحراء الكبرى³ وذكر إبراهيم طرخان ما يفيد أنّ أصل مؤسّسي دولة غانة من وادي دجلة والفرات. والمعلوم أنّ تأسيس إمبراطوريّة غانة القديمة يرجع إلى ثلاثة قرون قبل الميلاد. وتنصّ بعض كتب التّاريخ على وجود اليمينيين في كوكيا -

الواقعة في الشرق من جمهورية مالي الحالية- في وقت مبكر ويرجع إلى بداية القرن السابع الميلادي". إذن لا غرابة إن اعتبرنا حجة عامل الهجرة دامغة في إيصال العربيّة إلى أفريقيا، وبواسطتها تمّ الاندماج الكلّي والتزاوج بين الأفارقة والعرب، فدخلت بذلك عدة مفردات وتعابير عربيّة في تلك المناطق. وتشير كتب التاريخ - دون القطع في المسألة- بأنّه حدثت هجرة العرب لشمال أفريقيا بما قبل الميلاد، ولكن ما وقع تأكيده هي هجرات قحطانيّة من جنوب الجزيرة العربيّة، قبل آلاف السنين، والذي سجّله التاريخ كذلك هجرة الكنعانيين والفينيقيين في منتصف الألف الثانيّة قبل الميلاد وأقاموا مُدناً ساحليّة تجاريّة، وأخرجوا عن طريقها بني عمومتهم البربر من العصر الحجريّ، وأدخلوهم التاريخ وأسّسوا إمبراطوريّة قرطاج التي يعتبر تأسيسها تزاوجاً بين الكنعانيين والبربر.

الحجّة الثالثة: الهجرة إلى بلاد الحبشة، ولم تكن لتحصل إلاّ بمهدّات سابقة، ولهذا كانت هجرة المسلمين للحماية والرّعاية في كنف ملك الحبشة المسيحيّ، ولا شكّ أنّ العلاقات التجاريّة كانت سائدة، وأنّ وسيلة التفاهم ثابتة. وتشير كتب التاريخ بأنّ العرب أنشؤوا أسواقاً تجاريّة في بلاد الحبشة وكثر عدد الوافدين العرب إليها، وأدّى الاختلاط إلى سهولة التّواصل وذلك ما مهّد للفاتحين الانتشار في الهضبة الحبشيّة وإريتريا وبلاد البجّة وقامت الإمارات الإسلاميّة على ساحل البحر.

الحجّة الرابعة: انتشار العربيّة بمُصاحبة الهجرات: إنّ عربيّة العصر الجاهلي كانت راقية ولم تكن مكتملة، ولا شكّ أنّها عرفت تهيئة عبر الاستعمال لدى أهلها وعند غير أهلها، وإنّ تاريخها الطويل الذي كشفه

علماء اللغات بأنّها قديمة جداً، وسارت في مضارب الأرض، ويقول (عباس العقاد) في كتابه (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين) "... المقابلة بينها وبين أخواتها السامية يدلّ على أنّ التطوّر لا يتمّ في بضعة أجيال، ولا بدّ له من أصل قديم يضارع أصول التطوّر في أقدم اللغات، ومنها السنسكريتية وغيرها من اللغات الهندية الجرمانية". ولهذا حصل لها الاستعمال في أراضي العرب وفي غير أراضي العرب حتى أصبح لها قانونها التحويلي، وأحكامها في الإعراب، وصيغ المشتقات وأوزان الجمع والمثنى وجموع الكثرة والقلّة، وحروف الجرّ والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة، وتولّدت فيها مداليل جديدة، وانفصلت إثر ذلك عن أخواتها السامية. وما يُعزّز هذه الحجّة أنّ العرب كانوا من ساكنة الصحراء المحيّن للهجرة والترحال قبائل بدو كلّ مستقلّ عن غيره، وكلّ ينظر بعين طليقة من القيود، وكلّ في بيئة تجري دون حدود؛ حيث كانت الدّخيرة العقلية عندهم ما تتوارثه القبيلة جيلاً عن جيل. وإذا كانت اللغة من الدّخيرة التي تدلّ على الحياة العقلية لأمة من الأمم، لا شكّ أنّها سايرت الهجرات، وتنامت عبرها الكلمات، وظهرت فيها المسكوكات التي عمّلت على الحفاظ على فكر هؤلاء العاشقين للهجرات، تناسب بيئتهم، وتعبّر عن انشغالاتهم في كلّ مقاماتهم. والتأظر إلى اللغة العربية، والأدب العربيّ، في ذلك العهد يراها نتيجة طبيعية لتلك الحياة، وصورة صادقة لتلك البيئة فألفاظ اللغة في منتهى السّعة والدقّة، إذا كان الشّيء الموضوع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية التي تعرف الترحال باستمرار، وتعبّر عن كلّ البقاع التي سكنها أهلها البدو.

الحجّة الخامسة: التقت مصالح العرب الاقتصادية عبر طرق التجارة والحجّ، فالبضائع والسلع التي كانت تنقل من الشرق إلى الغرب، وكانت تعبر معها الثقافة كجسر للتواصل بين العقول، وبذلك توسّعت المدارك وانتقلت المعرفة من مكان لآخر. وهذا ما نقرأه من وجود ثلاثة مسالك رئيسة كانت معبراً للسلع وللدين: صحراء سيناء إلى شمال أفريقيا+ البحر الأحمر إلى بلاد النهرين+ المحيط الهندي إلى أفريقيا الشرقية، دون الحديث عن طريق الحرير القديم، الذي كان يربط أعرق حضارتين في العالم؛ الحضارة الشرقية وتمثلها العربية، والحضارة الصينية وتمثلها اللغة الصينية. وعبر هذا الطريق تشير الروايات بأنّ الخليفة (عثمان بن عفان) أرسل مبعوثه إلى الصين في عام 651م لنشر الدين الإسلامي وعبره أيضا انتقلت الاختراعات بين الجانب العربي والصيني، مثل صناعة الورق واختراع البوصلة والتمهير في فنّ الطباعة، وتطوّرت العلوم الطيّبة. ويضرب التواصل بين العرب والصين بجذوره إلى أعماق التاريخ، وهو تواصل حضاري يمثّل الحوار الإيجابي الذي لم يشهد صدمات ولا صراعات، وإنّما شهد تبادلاً اقتصادياً وثقافياً، وتعاوناً سياسياً، عبر طريقي الحرير والعطور، اللذين ربطا الصين والعالم العربي بعضهما بعضاً. وإنّ عامل التجارة مهمّ في الجانب اللغوي وما يعرف عن العرب أنّهم أصحاب تجارة، وكانوا ممارسين لها بشكل كبير بحكم وجودهم في أرض قاحلة ليس لها الخيرات التي ينشغلون فيها مثل الفلاحة والزراعة، وتبقى التجارة هي الملاذ الآمن في الغذاء اليومي. وبذلك ساحوا في بلاد الله، واختلطوا بغيرهم، وكانوا يقصدون البلدان والأسواق. ومهدوا طرقاً تجارية عبر الصحراء الكبرى. ولقد كانت لهم أرض أفريقيا

موطن شراء/ بيع العبيد، فقصدوها في تجارة الرقيق والملح حتى سمّوا الطريق الذي يسلك به (طريق الملح). وعامل التجارة شهد به القرآن في سورة قريش في قوله تعالى ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش 2. ولقد كانت رحلات القرشيين التجارية شتاءً وصيفاً، وما كان يُقام على مقربة منهم من كلّ عامٍ من مهرجانات أدبية كسوق عكاظ والمجاز وذبي المجنة، والكعبة التي كان يهجّ إليها من العرب ومن غير العرب في الجاهلية سنوياً ويسعون إليها من كلّ فجٍّ عميق. وبذلك لم تكن العربيّة محصورة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، وبعد الإسلام زاد انتشارها معه شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، من أواسط جبال الهند إلى جبل طارق، ومن البحر الأسود إلى بحر العرب ودخلت في صراع مع ثقافات ولغات أخرى كالفارسية والهنديّة، والقبطيّة والبربريّة. وخرجت من هذا الصّراع منتشرة أكثر ممّا كانت عليه قبل الإسلام، بل حلّت محلّ اللغات المحليّة بمجداة.

وإنّ حجّة/ عامل التجارة من أهمّ العوامل التي جعلت لغة العرب تنال الانتشار، وبخاصّة في الأسواق المعروفة آنذاك على غرار سوق مدينة عيذاب وهذه المدينة هي إحدى مدن وموانئ البحر الأحمر الشهيرة بفعل اعتمادها على حركة التبادل التجاري، وكانت محطة رئيسية رابطة بين كل من بلاد الحجاز ومصر وبلاد السودان، وتعدّ من أكبر مرافئ الحجاز من العدوّة الأفريقيّة. ثمّ مركز (مرزق وزويلة) الذي كان له فضل التّواصل التجاريّ مع بلاد البرنو وشعب الهوسا، فضلاً عن علاقته الجوارية مع طرابلس وغدامس عن طريق مصر، وكان محطة تجارية مهمّة تتجمع فيها القوافل التجاريّة من أنحاء بلاد المغرب وتتجه إلى كانم وبرنو وتمبكتو. وسوق مدينة

(أوذغست) في مدينة السودان الغربيّ وكانت تعتبر حاضرة من حواضر غانة. وسوق مدينة (تمبكتو) على الحافة الجنوبيّة من الصحراء الكبرى وتعتبر حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء، وشهدت هذه المنطقة حركة تجاريّة كبيرة اختلطت فيها الأجناس، وكان حضور العرب التّجار كبيراً.

-الحجّة السادسة: عامل التّجارة قبل وبعد الإسلام؛ وهي مسلمة عليّ تأكيدها بحكم ما لها من أثر في دخول قارة أفريقيا؛ حيث يعود التّواصل العربي مع شرق القارة الأفريقيّة إلى عصور ما قبل الإسلام، مع نشاط حركة التّجارة في خليج عدن وعبر بحر العرب والمحيط الهندي. كما أشارت الدلائل في فترة الأمويين إلى تسارع التّواصل والتّفاعل نحو أفريقيا، وكان معظم التّجار من قبيلة الأزد، أضف إلى ذلك وصولهم إلى ساحل الزّنج. وكانت الهجرات العربيّة موعلة في القدم، وعرفت دفعات وربّما موجات بفعل الانتقال هروباً من القحط أو التّوازل... والذي يهّمنا أنّ عامل التّجارة أدّى إلى التّواصل العربي الأفريقيّ على شكل أفراد وجماعات قديمة متلاحقة عبر الأزمنة، وتمّ ذلك عبر منافذ الشّرق والشّمال والغرب، فمن ناحية الشّرق نزحت بعض القبائل العربيّة وسكنت السّاحل الشرقي المقابل للجزيرة العربيّة، وتجاوزته إلى السودان الأوسط والغربي أحياناً، بينما نزح بعضها إلى الشّمال عن طريق وادي النيل، ونزح بعضها إلى الشّمال الغربيّ أو الطّريق الليبي الذي كان مصدراً لكثير من الهجرات القديمة والحديثة. والمكسب من هذا أنّ الصّلات العربيّة الأفريقيّة كانت قائمة قبل / بعد الإسلام، ولم تنقطع وازدادت بقوة بعد الإسلام، وأدّى ذلك إلى ازدياد وشائج الاتّصال العربيّ الأفريقيّ؛ لأنّ الإسلام أمّدّ العرب بسياج دينيّ وفكريّ ساعدهم على خلق

وحدة وطنيّة وازدهار نهضة ثقافيّة، ومنذ البدء صار الإسلام الرّكيزة الأساسيّة للثقافة العربيّة الجديدة، كما أصبحت اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم، حاضنة الفكر الإسلاميّ والثقافة الإسلاميّة، وتحت راية الإسلام خرج العرب صوب الشّرق والغرب والشّمال لإعلاء كلمة الله. وكان مسلك العرب في ربط العلاقات التجاريّة عبر طريق الشّال السّاحليّ والذي يربط آسيا بأفريقيا بواسطة برزخ السويس، وطريق منخفض بينويه الممتد من وادي نهر لوقون حتى بحيرة كوار (تشاد)؛ فقد كان هذا الطريق بمثابة حلقة وصل تربط بين المحيط الأطلسي وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط سواء عن طريق المنفذ البحريّ أم السّاحل أو المنفذ البريّ عبر طريق القوافل الصّحراويّة، وطريق جنوب شرق أفريقيا، فيما بين البحيرات طريق دخلت منه القبائل العربيّة، حتى وصلت إلى جنوب أفريقيا ووسطها، منذ قرون طويلة، وهناك طرق فرعيّة أخرى كثيرة ليس من الضّروريّ الإشارة إليها. والمهمّ أنّ القبائل العربيّة تزور وتتاجر مع الأفارقة حتى مكّنت العلاقات الثقافيّة التي مهّدت لموقع وجود استعمال العربيّة في أفريقيا.

- الحجّة السابعة: تُعزى سرعة انتشار الإسلام في صُفوف القبائل البربريّة إلى التّشابه الكبير في ظروف الحياة والعادات والتّقاليد بين العرب والبربر، فكلا الطرفين كانا من ساكنة مناطق قاسية الطّبيعة والمناخ، وبعضهم عاش حياةً مُتطابقة تقريبًا، كبربر الصّحاريّ وبدو العرب. إضافة إلى جموحهم في الحماسة والدّفاع عن النّفس، وحبّ الحرّيّة والرّغبة في الحروب والجهاد والمغامرة، وهذا ما جعلهم في ظرف قصير يتشرون في بلاد العالم بل

يحتازون جبل طارق إلى أوروبا؛ لذا جاء التفاهمُ البيئيُّ سريعاً بين بربر أفريقيا وأعراب شبه الجزيرة العربيّة.

- **الحجّة الثامنة:** الخليط العرقي بين ساكنة أفريقيا، ففيها العرق البونيقيّ والرّومانيّ والزنجيّ والمازيغيّ والأبيض الصّافيّ والأوربيّ واليهوديّ وقد استوطن أفريقيا الكثير من الأجناس والقبائل، وهناك أقليات عربيّة وكلّ هذا الخليط حصل بفعل الهجرات والتّنقلات ومضارب الأكل ومجاري المياه وهذا كلّ عمل على المزج السّريع في التّقاليد والخليط اللغويّ الذي لم يظهر بالقوّة إلّا في البربريّة في شمال أفريقيا. وهي من الحجّة التي عملت على امتزاج البربر بالعرب في شمال أفريقيا بعد الإسلام بشكل كبير، ويعني هذا العودة إلى نظرية الأصل الواحد، ومن الصّعب التّفرقة بين المكوّن البشري لكثرة الاختلاط، حتى ضاع صفاء الدّم.

- **الحجّة التاسعة:** لما ضيق على المسلمين في أوّل عهدهم بالإسلام أمرهم الرّسول بالهجرة إلى بلاد الحبشة / (Abyssinie) التي لا يُظلم فيها أحدٌ. وبلاد الحبشة بلد أفريقيّ، وله لغته، ولكن كان العرب يقصدونه في جاهليتهم، وتركوا أثراً في التّواصل البيئيّ، ولذلك لم يجد أميرهم وكبار المسؤولين الحبشيين صعوبة في فهم المرافعات بين المؤمنين الهاربين للحبشة والكفار الذين قدموا لاسترجاعهم لأهل مكّة.

- **الحجّة العاشرة:** ويسمّيها البعض نظريّة العودة إلى الأصل، وتتعلّق بساكنة شمال أفريقيا فقط، وهي نظريّة لها ما لها من الصّواب، ولا تخلو من نقائص نظراً لتضارب الآراء فيها، ولبعض الآراء التي تنبع من العاطفة.

ولكن لا بدّ من ذكرها في هذا المقام؛ حيث عنصر اللغة هو العنصر الحيّ الباقي بين أيدينا، وهو الذي يؤكد بعض الخلافات وربّما ينفّيها. فكلّمة (السّامية) لا تنطبق على العربيّة، بل العربيّة لغة كنعانيّة، مع ما لها من قواسم منطقيّة مع اللهجات السّامية الأخرى، لأنّ بلاد العرب لم يخضع يوماً من الأيام للمستعمر. وهذه التّسميّة لا تستند على حجة علميّة. كما أنّ الكنعانيّة الفينيقيّة كانت تستعمل لدى ساكنة البربر، وهذه اللغة لها علاقة باللغات العربيّة في مجموعاتها: المجموعة الشّرقية: الأكديّة والبابليّة والأشوريّة. المجموعة الشّماليّة: العموريّة والآراميّة. المجموعة الجنوبيّة: المينيّة والحميريّة والسبئيّة والأثيوبيّة والعربيّة والأمهريّة. المجموعة الغربيّة: الكنعانيّة والفينيقيّة والموابيّة والعبرانيّة والبربريّة. وهكذا نرى لغة شمال أفريقيا من جسم الكنعانيّة العدنانيّة التي نزل بها القرآن الكريم. ويعني عروبة البربر في الأصل بفعل المهجرات التي تقول إنّهم من اليمين الذين نزحوا إلى شمال أفريقيا بعد انهيار سدّ مأرب. كما نقرأ في كتاب (التّوميديون أصلهم وكتابتهم ولغتهم) للباحث أوتو روسلر / (Otto Rössler) يقول: إنّ اللغة التّوميديّة لغة سامية انفصلت عن اللغات السّامية في المشرق في مرحلة مغرقة في القدم. وهناك نظريّات لا تسير في هذا الاتجاه مطلقاً. وهناك بعض الأفكار التّيّرة التي ترى أنّ الثّقافة اليونانيّة والثّقافة الرّومانيّة اللاتينيّة ما هما إلّا شرفة صغيرة في صرح الثّقافة العربيّة الكبير، وأنّ التّزعة التّعصبيّة الأوروبيّة أخفت هذه الحقيقة لتبرز زوراً أنّ جذور الحضارة الأوروبيّة يونانيّة». ينظر بيير روسي / .La Cité D'Isis histoire Vraie des Arabes, (Pierre Rossi)

-الحجّة الحاديّة عشرة: خطبة طارق بن زياد: هي خطبة راقية عالية معنى ومبنى، فإذا كان البربر الذين دخلوا الأندلس يعرفون العربيّة لا شكّ أنّهم يفهمونها ويتفاعلون معها، بل يستجيبون لحماستها، والخلاف بأيّة لغة ألقيت؟ وهل كتبت له أم من وضعه؟ وما لا خلاف فيه أنّ (طارق بن زياد) رجل فدّ؛ يعني مدرك وعسكريّ وحكيم، ويعرف اللغات، وهو مطلع على قضايا السياسة، والدليل كان مهندس فتح الأندلس. فلا يُعقل أن ينسجم مع المسلمين ويصبح مسلماً، وعمره يتجاوز العشرين سنة، ولا يعرف العربيّة ولو في الخطاب التّواصليّ، ومن خلال الشيوخ والمفسّرين للقرآن؛ يعني امتلك ناصية اللغة العربيّة، كما يعني أنّ حبّ الدّين الإسلاميّ يجعلك تفهم لغته في ظرف وجيز، وتستطيع أن تدبّج كلاماً حماسياً من ثراء العربيّة بسهولة، رغم أنّ الموقف حماسيّ، ولا يعني الفهم الدقيق، بقدر ما يعني ربط الفتح باللغة العربيّة. وهنا سرّ ذكاء (طارق) في نسج الخطبة الرائعة، والتي يقول فيها أيّها النّاس أين المفرّ؟ البحر من ورائكم، والعدوّ أمامكم، وليس لكم والله إلاّ الصّدق والصّبْرُ واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام في مادبة اللّثام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته. وأقواته موفورة وأنتم لا وزرَ لكم إلاّ سيوفكم، ولا أقوات إلاّ ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم ولم تُنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم، وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية المقرّي، نفح الطيّب 1/ 240. وفي ما تعني هذه الخطبة أنّ (طارق بن زياد) وأمثاله من الفاتحين يمتلكون طاقة لغويّة جبّارة في الثّقافة الإسلاميّة بسرعة، نتيجة الاختلاط

السابق بالتجار؛ لدرجة أنهم أصبحوا ظهير الإسلام المتين في شمال أفريقيا وأصبحوا من حُماة الدِّين، وهو يجهلون لغة هذا الدِّين. فلا يُعقل أن يحصل هذا في ذلك الظرف بالنسبة لخاصة الخاصة، وليس لعموم الناس، ونعرف بأن مسار التعريب كان بطيئاً. فبعد مرور قرن ونصف على حملة (عقبة بن نافع) أصبح الإسلام الدِّين الغالب في مناطق البربر، ومن ذلك عكس التعريب تمكّنه بمرور الوقت.

-الحجّة الثانية عشرة: من المعروف أنّ الدِّين الإسلاميّ والعربية دخلا معاً إلى أقاصي آسيا، ومسّ بلاد السند+ بلاد آسيا الوسطى+ أجزاء من أوروبا الشرقية+ أطراف من أوروبا الغربية+ قارة أفريقيا، وتفاعل الدِّين مع العربية في مناطق حدث فيها التعريب على غرار: الأهواز+ دولة العثمانيين+ شمال أفريقيا، ولكن في ظرف وجيز نال الإسلام مجده وبقية في كل تلك البلاد، بينما اللغة العربية عادت إلى شبه الجزيرة العربية وبقية في شمال أفريقيا ببقاء الدِّين الإسلامي، وهذا ما يتكئ عليه الباحثون بأنّ العرق واحد بين العرب الذين نزل في منطقتهم الدِّين الإسلاميّ، وبين العرب الذين هاجروا من منطقتهم، ويعني أنهم عرب مستعربة، وليسوا بالعرب العاربة الذين بقوا في ديارهم. يعني بقاء الدِّين مع العربية في بلاد المغرب، وظلّ عرب مصر في مصر، فصارت اللغة العربية لغة أهل البلاد جميعاً، وتوقفت عملية التعريب في إيران وفي تركيا العثمانية، وعاد الناس إلى لغتهم الأولى وقبسوا من العربية حروفها وأخذوا من ألفاظها ألوفاً، وأخذوا كذلك أساليبها البلاغية وعروض شعرها.

9- العربية في واقعها الأفريقي الحالي: بعد هذه الحجج التي تُرنا وجود استعمال العربية في شمال أفريقيا، وهي ليست لغة أجنبية، بل هي لغة طبيعية تعيش في موطنها، وتعتزّ بناطقيها، ونراها اليوم بين هوى المعتدي وشغف المهتدي، وتعيش القهقري أحياناً، وتوصم ببعض الصّفات التي لا تشرفها أحياناً، ولكنها صامدة حيّة تعيش صدمات عنيفة، وفي كلّ مرّة تنتصر. ونرى القارة الأفريقيّة تضمّ أربع عشرة (14) دولة عربيّة وهي: الجزائر+ تشاد+ جزر القمر+ جيبوتي+ مصر+ إريتريا+ ليبيا+ موريتانيا+ المغرب+ السودان+ تونس+ تنزانيا+ الصومال+ الصّحراء الغربيّة. وهذه القارة تصنّف بين قارات العالم السّبع، كثاني أكبر قارة من حيث المساحة وعدد السّكان بعد آسيا، والتي توجد فيها أكبر صحراء رملية في العالم وتتميّز بغنى أراضيها بالثروات الباطنية والمعادن الثّمينة وفي مقدّماتها النّفط والغاز والذهب، والماس. في حين تتألّف من 54 دولة، ومجموعة جزر ألحقت بها. وعدد الدّول التي تستعمل العربيّة لغة رسميّة هي اثنان وعشرون (22) دولة. دون أن نتحدّث عن اثني عشرة (12) دولة تستعملها لغة أجنبيّة أولى وأنّ ستّة وعشرين (26) دولة تستعملها لغة أجنبيّة ثانية وهذا كمّ معتبر من العرپوفونيّة العالميّة التي تعرفها العربيّة في الفضاء العالميّ وفي وسطها الدّولي كلغة أميّة، برتبة خامسة، وكلغة شبكيّة برتبة ثانية، ولكن هناك خلل...

ومع هذا الموقع المائز، فإنّ العربيّة تنتحر في أفريقيا؛ فنرى ثلاثاً وأربعين (43) دولة، من بين ثلاث وخمسين (53) دولة أفريقيّة تستخدم اللغات الأورپيّة كلغات رسميّة؛ حيث اختارت اثنان وعشرون (22) دولة أفريقيّة اللغة الفرنسيّة لغة رسميّة لها، بينما توجد تسع عشرة (19) دولة أفريقيّة

تستخدم اللغة الإنكليزية لغة رسمية لها، في حين اعتمدت خمس (5) دول أفريقية اللغة البرتغالية لغة رسمية لها، أما اللغة الإسبانية فقد أقرتها دولة واحدة لغة رسمية. وهناك بعض الدول اختارت لغة أفريقيا كلغة رسمية أولى، أو ثانية إلى جانب إحدى هذه اللغات العالمية. ليس بالأمر المدهش إذا علمنا بأننا لم نحافظ على فعل الأجداد رغم أن الوضع الحالي تحسّن منذ خروج المستدمر من قارة أفريقية، ورغم الإقرار بأنّ العربية بدأت تستعيد بعض عافيتها في بعض البلاد، وهي مرشحة لنيل مقامات أحسن إذا وقع رفع مضايقاتها المتمثلة في: ضعف الحضور المحلي والعالمي، ومزاحمة اللهجات القطرية، وتهميشها في التعليم الجامعي والبحث العلمي، وعلاج عزوف الجيل الجديد عن تعلّمها وقرها الواضح في المعلوماتية. وهذا كلّه يستدعي البحث في فرص وإجراءات جديدة لنجاحات مستقبلية بأنّ يكون للعربية موقع بين لغات العلم، وتقوم بوظائفها في جميع فروع المعرفة والعمل الجاد لعودة عولمة الحرف العربي في لغات القارة الأفريقية.

إذاً هناك واقع مؤسف يحتاج إلى علاج، وهناك واقع مُغدق مرصود وأمل مُشرق منشود، وعلينا الاستثمار في الواقع المأمول، وهو واقع يحتاج إلى تجديد ومرافقة، هناك جهود وطنية أفريقية؛ علينا تثمينها والبناء عليها من أجل غدّ جيّد. ولتكن لنا خريطة فعل الأجداد؛ وهي الاستثمار في هذه البلاد لغوياً ومادياً، وحمل راية المزيد على فعل السلف الصّالح عن طريق العمل على التفقّه بالمنعّة للوصول إلى درجة الاجتهاد؛ بتكوين شخصيات تفتخر بتراتها، وتخلص في إسلامها ولغة الإسلام؛ تطبيقاً لمبدأ السلف "ما لا يُفهم به الواجب فهو واجب". فما هو مستقبلها في أفريقية؟ علينا الاستثمار

في العربية بقوة في قارة أفريقيّة، وعلينا ألا ننسى أنّ هناك حوالي أربعين (40) لغة إفريقية من جملة 2035 لغة تلعب دوراً مهماً بوصفها لغات تواصل مشتركة (Lingua franca). ومن حسن الحظّ أنّها لا تتمركز في منطقة محدّدة من القارة، ولكنها تشمل القارة بمناطقها المختلفة، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ووسطها. علينا الوعي بأهميّة ثلاث لغات: العربيّة والسّواحلية والهوسا، لما لها من سعة الانتشار جغرافياً، وأنّها ذات أكثرية متكلمة، وأنّها لا ينحصر التّكلم بها في إثنيّة معيّنة. وأنّها ذات أدب وثقافة مدوّنة، يمكن وصفها بالتّفوق والتميز. وعلى ساكنة بلاد المغرب الوعي بأهميّة اللغة البربريّة/ المازيغيّة، فهي مكملّة لرصيدنا العربيّ وانتمائنا الشّرقيّ، وهي لغة الأجداد، وعلينا المحافظة على إرثها الكبير، ومدوّناتها العربيّة التي تشكّل جزءاً من حضارتنا. وعلينا الانتصار للمازيغيات من أجل مرافقتها بدل اتّخاذها حصان طروادة للاحتماء فيها وبها من أجل مطالب سياسياويّة. ونترك الباحثين التزيهين يعملون على ترقيتها بما يرونه من طريقة لا تحيد عن فعل الأجداد النّاجح، فهي حالياً لغة رسميّة في المغرب والجزائر، وهي لغة التّواصل اليومي، ولها تأثيرها على اللهجات العربيّة في بلادنا. دون أن ننسى أنّ ناطقيها في ما مضى من الزّمان هم الذين رافقوا العربيّة وأبدعوا بها، ولم يتخلّوا عن البربريّة في خطابها التّواصلية. وهم الذين نقلوا العربيّة إلى شبه جزيرة (إيبيريا/ Péninsule Iberia)، وإلى بلاد السّهل/ قارة أفريقيا التي كانت المجال والفضاء الأقرب جغرافياً، وقد تفاعلوا وتواصلوا معه على مختلف المستويات، وعبر تاريخ طويل؛ حيث وصل العرب أفريقيا استكمالاً لما تمّ قبل الفتح الإسلامي، حتى أضحت التّصف الأفريقيّ من العالم العربي

يشكّل الجزء الأكبر منه اليوم، على مستوى السّكان والمساحة. وبفضل ساكنة شمال أفريقيا الأصليين تمّ تعزيز التّواصل العربيّ الشّرق الأفريقي بعد صعود حكم النّباهنة في جنوب جزيرة العرب، وتمثّل ذلك في إمپراطوريّة سونغاي + سلطنة دارفور + سلطنة وادي؛ وفيها نسبة معتبرة من العرب الذين لهم كَلِمَتُهُمْ في أعيان هذه الممالك، ولهم مناصبٌ رفيعةٌ واحترامٌ قلّ نظيره.

إنّ ساكنة شمال أفريقيا وحكّام المغرب الأوسط والأدنى والأقصى بذلوا جهوداً معتبرة من أجل توسّع العربيّة في أفريقيا، وعملوا على وطنتها أو عودتها إلى ديارها، بل عملوا على نشرها خارج في أوروبا، على غرار فعل (طارق بن زيّاد) وكلّ الفاتحين الذين تركوا بصماتهم في إسبانيا، ولا ننسى أنّ التّاريخ يسجّل لمنقذ الأندلس القائد العسكري (يوسف بن تاشفين) وهو من رحم البربر الذي لبّى نداء ملوك الطّوائف وأوقف التّوغّل الصّليبيّ مدّة وهو من الخالدين الذين حملوا لقب (أمير المسلمين) ولم يشأ أن ينازع العباسيين سلطانهم، فترك لهم لقب أمير المؤمنين. وهذا الأمير العسكريّ ترك بصمات في الفتوحات الإسلاميّة. ويقول الإمام الدّهي في سير أعلام النّبلاء: كان (ابن تاشفين) كثير العفو مُقرباً للعلماء، وكان أسمرّاً نحيفاً خفيف اللحية، دقيق الصّوت سائساً حازماً. هذا الأمير وغيره من الذين عملوا على توسيع الفتوحات الإسلاميّة لتبلغ الفتوحات مع العربيّة المناطق الصّحراوية العتيقة، وكلّ بلاد موريتانيا الحاليّة، وأجزاء من السنغال وقطاعات واسعة من المملكة المغربيّة الحاليّة، وأجزاء كبيرة من الجزائر. وكانوا للعربيّة عارفين ولمدارسها بانين، ولعلمائها مُكرّمين.

10- اللغة العربية والمزيغية مصير مشترك: هناك من يرى أنّ الإقرار بالمزيغية لغة وطنية ورسمية سيجعل البلاد في كفّ عفريت، وستعرف البلاد المصير المجهول، وهذا يشكّل زحزحة العربية من الاستعمال العلمي، ويتيح للفرنسية -عن طريق المزيغية- أعلى المقام... ويبدو لي أنّها نظرة سوداوية ليس إلاّ لأنّ للعربية مقاماتها التّواصلية العلميّة وللمزيغيّات مقاماتها التّواصلية التّراثية، وهذه تُكمّل الأخرى، وهكذا. فلا خطورة في الأمر اللغويّ ما دام هناك الإقرار بالمواطنة اللغوية؛ لأنّ العربية أخذت شرفها من الإسلام، ومن القرآن الذي احتضنها ونزل بها وستبقى رائدة سائدة لا تُنازعها لغة أخرى، وأنّ المزيغية أخذت شرفها من عودتها لبيتها من الباب العريض إلى جانب شقيقتها التي لم تعرف معها الصّراع. لأنّ المزيغيّين الفاتحين للأندلس حملوا العربية حبّاً فيها وفي خصوصياتها، فلا داعي لإثارة الأفكار المثيرة للجدل، ومن الضّروري تأكيد مسلمات وصفة الأجداد في التّعامل اللغوي المضيف على أنّ لكل لغة مرتبة، ولكلّ لغة وظيفة والمشارك هو خدمة التّواصل في سيرورته التّكاملية لا الصّراع الوهمي الذي يثيره أصحاب وهج أيام الأمازيغ، بل علينا النّظر في المصير المشترك للغتين هما مصيرنا التّنموي، بدل فتح المجال الدّاخلي لعودة لغة المستخرب التي عطّلت التّنمية في كلّ بلاد الأفارقة التي نالتها (الفرنسية) عكس الإنكليزية التي شهدنا نوعاً من التّنمية في (جنوب أفريقيا + الرواندا) لعدم الخضوع للفرنكفونية. إنّ المصير المشترك، وهذا المصير يحتاج إلى تمّتين أركانها عن طريق الرّباط الجامع الذي التفّ حوله المزيغيّون والعرب وهو الإسلام ولغة الإسلام إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشّدة والرّخاء، وتؤلّف بينهم في العسر

واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمّه الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتّحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله؛ وما أسالوا من محابرههم في مجالس الدّرس لخدمة العلم، فأيّ قوّة بعد هذا يقول عاقلٌ تستطيع أن تفرّقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأمانى الخوادم، يا عجباً! لم يفترقوا وهم الأقوياء؛ فكيف يفترقون وغيرهم القوي؟ كلا والله بل لا تزيدهم كلّ محاولة للتفريق بينهم إلاّ شدّة في اتّحادهم وقوّة لرابطتهم. ” ومن هذا المقام فإنّ التّنوع الثّقافي مسلّمة إلهيّة جيّدة، هي فتح على لغات أخرى، وهي من سبيل التّواصل الإنساني، وقيمة مضافة في التّكامل بلغتين وطينتين، فلم يسجّل علينا أنّنا اختلفنا في المسألة اللغويّة قبل وبعد الفتح الإسلاميّ، فكيف نختلف الآن بعد التّفّتح على مظاهر التّواصل بصورتها العامّة. ولا ينبغي أن نضحّم المسألة من جانب أنّ صراعاً سيحدث في المسألة اللغويّة، بل هناك وصفات التّكامل التي تحتاج إلى احتدائها والسّير ضمن حكمة السّلف الصّالح. لا مشكلة في هذه المسألة عندما ننقل الوعي الدّينيّ واللغويّ لأبنائنا لنقول لهم: إنّ الإسلام هو الذي حرّر المازيغيّ الحرّ النّيبيل من ظلّم الوندال والرومان، ولا يمكن أن يكون الإسلام المحرّر عاملاً من عوامل الاستغلال أو عنواناً للعنصريّة على أساس الجنس والعرق، لأنّ الإسلام بشهادة خصومه هو الذي أسقط نظرية العرق الأنقى والأبقى لقول الرّسول ﷺ « يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتّقوى».

- الخاتمة: ما لا يمكن أن نختلف فيه أنّ قوافل العرب في العصور السّابقة لظهور الإسلام كانت تنطلق من الجزيرة العربيّة إلى بلاد الأقباط، مصر الحاليّة، وعن طريقها إلى بلاد السّودان وتشاد، ومن شمال أفريقيا إلى الجنوب حاملة معها البضائع مصحوبة بأنواع العلوم والمعارف، وبهذا شكّلت هذه الصّلات التجاريّة بين العرب والأفارقة البدايات الأولى لانتشار اللّغة العربيّة والثّقافة العربيّة في أفريقيا قبل ظهور الإسلام، ونمت هذه الصّلات وتطوّرت بعد ظهور الإسلام بشكلها السّلمي. ونرى بأنّ ذلك من الصّلة العميقة التي حصلت فيها العربيّة على مرتبة عليا أكثر من غيرها من لغات السّوق الأفريقيّة، وكان من السّهل على التّجار الأفارقة التقاط هذه اللّغة عن إخوانهم التّجار. وهكذا استطاع العرب أن يؤثّروا في شعوب تلك البلدان التي دخلوها وحلّوا بين أهلها. ومّا لا شكّ فيه أنّ العربيّة لها حضور قويّ في قارة أفريقيا، وأصبحت أفريقيا تلقّب بـ (قارة لغة العرب) حيث تعولّم خطّها ونال التعشيق -في شمال أفريقيا- مقاماً مزجياً بين المسند ونقوش الخطّ البربري، وهذا يرجع إلى تمازج الشّعبيين في منطقة جغرافيّة واحدة لتخرج إلى الوجود حضارة متميّزة بطابعها الخاصّ. وفي مناطق البربر حصلت سرعة كبيرة في الإقبال على الإسلام، ولغة الإسلام التي أصبح تعلّمها جزءاً من دينهم الجديد، وبذلك وجدت العربيّة بصحبة الإسلام مكاناً في قلوب السّاكنة، ولم يكن ذلك ليحصل لولا التّصاقها بالإسلام وكونها لغة الدّين والدّولة والدّنيا، ولغة الفتوحات العلميّة التي أسّست لحضارة الغرب في الفردوس المفقود، وأنّ التّزيهين منهم يقرّون بأنّ الثّمانيّة (8) قرون من وجود

العرب والبربر باللغة العربية في إيبيريا كان فتحاً علمياً عليهم، وقد استفادوا في تطوير علومهم من قاعدة اللغة العربية.

وفي المحصلة؛ كانت بعض البلاد الأفريقية تعرف لدى العرب قبل الإسلام باسم (بلاد السودان / بلاد التكرور) مثل نيجيريا، ووصل العرب إلى هذه البلاد عن طريق التجارة، ولم يترك العرب التجار منطقة من مناطق أفريقيا التي لم تكن تعرف الحدود، وأخذت تسميات عديدة من مثل: المنطقة المجهولة / بلاد الوحوش + أرض القفار + بلاد الخيرات... وتفيد المصادر التاريخية بأنّ العلاقات التجارية فتحت البلاد أمام العلاقات الثقافية التي مهّدت للإسلام وأنّ التجار العرب كانوا يتاجرون بقوة، ويبقون فيها مدداً في مفاوضات وتبادل للسلع، بل إنّ البعض منهم يستقرّ ويتصاهر ويصبح من الساكنة. ومن بعد الإسلام كانوا السّباقيين لقبوله ونشره وأصبحوا يحملون الإسلام ولغة الإسلام؛ حيث كان لمعاملاتهم وتصرفاتهم الدّينية أثر في ساكنة هذه البلاد في نشر العربية وثقافتها. ومن بعد الفتح الإسلامي دخل الإسلام مصحوباً بالعربية رتقاً ملتصقين يصعب فتحهما، وهذا ما أعطى القبول والتصاهر والتلقي إلا بالعربية، وبلغ ذلك درجة الدّوبان. وبفضل التعريب الذي عرفته المنطقة عبر الرّحلات العلميّة للعلماء في مضارب العرب، وبلاد المغرب وأرض الأندلس، وما عرفته التّزوحات العربية من بني هلال وبني سليم في أعداد كبيرة انتشروا في بلاد الصّحراء... بالهجرة والإقامة الدائمة، وتصاهروا مع سكانها واختلطت دماؤهم وأنسابهم وامتزجت، وعمّروا السّهول والواحات وفيافي الصّحراء وعربّوا أهل البلاد الأصليين، وانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم، وغدت هذه البلدان بلداناً عربية إسلامية، ثمّ

انطلقت منهم هجرات إسلامية نحو السنغال والنيجر وبجيرة تشاد، واستقرت هذه الهجرات واحتفظت بأصولها العربية. وذلك ما أعطى جيلاً من المسيرين الأفاذاذ على غرار (ابن تاشفين) (عبد الرحمن بن رستم) (عبد المؤمن بن علي) وما شهدته حواضر (بجاية+ تيهرت+ تلمسان+ الصّحراء) في حواضرها من نجاح باهر، وكان بجهود علماء كبار اعتنوا بعلوم الدين والأدب، والباغة وبرعوا في مختلف العلوم والآداب والسياسة، وكانت اللغة العربية لسان إبداعاتهم. فهذا الشيخ (أبو سهل) البارع في العربية والبربرية، وأكبر المؤلفين بالبربرية وهذا (يهود بن قريش التاهرتي) المتضلع في عدة لغات كالعربية والبربرية والعبرانية والأرمنية والفارسية، وقد اهتم بالبحث المقارن في اللغات وسعى إلى إنشاء أسس النحو التنظيري (المقارن). وهذا (بكر بن حماد التاهرتي) الأديب الشاعر. وهذا (يحيى بن معطى الزواوي) صاحب (الدرة الألفية في علم العربية). وهذا (ابن الرمانه) وقد روى عن أبي (الفضل التحوي) التازي، وتعلم على يد مشايخ ذلك العصر، كما التقى (ابن رشد) بالأندلس، وتولى القضاء والتدريس. وهذا (الحسن بن علي التيهرتي) اللغوي الذي تخرج على يده الكثير من العلماء... والقائمة تطول وتطول بالمجد الذي عرفته العربية في بلاد المغرب والأندلس وفي عموم أفريقيا. وكل هذا يعود إلى الجهود التي كانت تبذلها ممالك البربر من أجل بناء المدارس والمساجد والحواضر والزوايا والمعمرات، وإلى تلك التشجيعات التي طالت كل الطلبة والشعراء والعلماء واللغويين. تلكم هي مسيرة العربية في نجاح مستمر وهي تنتصر على الرومية والإسبانية والعثمانية والفرنسية، وتبقى عملية تعميمها قائمة على الدوام، واستعمالها الآن أضحى من القوام.

المصادر:

- ¹ -ع/ الشّابكة، موقع جوجل (العربيّة في أفريقيا) بتاريخ: 30 جوان 2019م.
- ² - عبد الباسط المسقين "التّلاقح الحضاريّ بين حواضر المغرب الأوسط والسّودان خلال العصرين الوسيط والحديث" مجلة آفاق الثّقافة والتّراث. الإمارات العربيّة المتّحدة، دبي: 2017، مركز جُمعة الماجد للثقافة والعلوم والتّراث، السّنة الخمسة والعشرون، العدد السّابع والتّسعون، ص 62.
- ³ - حلمي الشعراوي "المغتربون العرب في غرب إفريقيا العرب في إفريقيا، مجلّة كلية الآداب، جامعة القاهرة: 1987م. ص 308.

المازيغية / تمزيغت والعربية

في الجزائر[♥]

- الديباجة: يتحدث هذا الموضوع عن سيرورة اللغتين: المازيغية/ تمزيغت والعربية بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، ودراسة حالة اللغتين في الجزائر، منذ تجاوزهما خلال الدول المازيغية الثلاث عشرة (13) التي فصلت في أمر اللغتين؛ العربية لغة رسمية في الخطاب السياسي ولغة العلم والأدب، والمازيغيات لغات وظيفية للمصالح البسيطة في البيوت، وفي تفسير القرآن/ الحديث، وفي الخطاب المسجدي، وفي المعاملات اليومية، وكان التفاعل البيئي قوياً (المازيغيات + العربية) لغات الهوية، ولكل واحدة منهما وظيفة تؤدّيها في الحياة اليومية حسب المقام وعاشتا في وئام ودّي تعايشاً متكاملًا ودون خلاف، وهذا بفعل وصفة الأجداد الأوائل الذين أعلّوا مقام العربية على المازيغيات؛ لارتباط العربية بالدين الإسلامي. هذا الدين الذي دخل فيه ساكنة شمال أفريقيا بقوة ولفهمه والعمل به من الواجب فهم/ تعلّم لغته، وما لا يفهم به الواجب فهو من الواجب. ذلك ما جعلهم يعتزّون بالدين الإسلامي، ويحتضنونه ويعملون على انتشاره في جزيرة إيبريا، وعمّر الدين ولغة الدين ثمانية (8) قرون في الفردوس المفقود الذي ضاع لعبث الحكّام. قرون من الحضارة الشرقية التي فتحت علومها لتطبيقات الغربيين الذين أخذوا علوم المازيغيين والعرب المبدعين، وأضافوا إليها في تطبيقاتهم التي أبدعوا في تأسيس الفكر الغربي الذي أصبح مبدعاً في ثورة

♥ مقالة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الموسوعة الجزائرية مجلّد اللغات واللهجات

البُخار وانقلب السّحر على السّاحر. وهكذا نرى تجلّيات ماضي اللغتين في تكامل أعطى الثّمار اليانعة في ذلك الماضي المُغدق.

1- دور القبائل المازيغية في استكمال الفتوح الإسلامية، وإقامة

الكيانات السياسيّة في الشّمال الأفريقي: كان للمازيغيين دور كبير في إكمال فتوح بلاد المغرب، كما كان لهم دور كبير في فتح بلاد الأندلس بقيادة قائدهم (طارق بن زياد) ثمّ في فتح جزيرة صقلية/ إيبيريا في أيام دولة الأغلبة التابعة للخلافة العباسية، وكان لها دور عظيم في نشر الدّين الإسلاميّ في كافة أفريقيا، وكما يعود الفضل للتّجار والفقهاء والشيوخ الذين أبلوا البلاء الحسّن من أجل تثبيت الدّين الإسلاميّ؛ مصحوباً بالعربية ليُفهم الدّين فهماً صحيحاً. كما لا ننسى تلك الجهود العظيمة لعلمائهم في نقلهم الدّين الإسلاميّ إلى بلاد السّودان، وساكنة غرب أفريقيا، وعبر شمال تشاد إلى قبائل السّونكة، وبلاد السّهل الأفريقي... ويذكر (أحمد بن المقرئ) التلمسانيّ صاحب (فتح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب) نحواً من مائتين وخمسين (250) ترجمة لمن رحلوا عن الأندلس إلى المشرق من العلماء والأدباء والفقهاء، ويذكر أيضاً ما يقرب من خمس وسبعين (75) ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس. ولا بدّ من استنطاق التّاريخ الذي يقول: إنّ عدد الفاتحين للأندلس 12000 جنديّ، يقودهم المازيغيّ (طارق بن زياد) منهم 2000 من العرب الأقحاح الذين وفدوا من المشرق، والباقي مازيغيّون. وبعد الفتح عاد معظم العرب إلى المشرق وبقي المازيغيّون تحت إمارات مشرقية: أموية/ عباسية... ولكن الحاشية بربرية. وبهؤلاء البربر سادت الثقافة في الأندلس وعمّ الرّخاء، وانتشرت المدارس، وامتزجت الثقافة

العربية بالممازيغية وبأولئك العلماء الذين أبدعوا في مختلف الفنون، وحصل الازدهار لبلاد الأندلس، وتطوّرت العربية التي أضحت لغة العالم؛ ينشدها الأجانب من كلّ حدب وصوب وكان ذلك تحت رعاية ملوك العرب، وما كانوا يغدقون به على المبدعين والصّناع...

2_ المصاهرة التامة بين الممازيغيين والعرب: لقد عملت الدولة الإدريسية

على خلق انسجام جمعيّ تبنته كلّ الدول البربرية المتتالية فحدث انصهار تام لا فرق بين من يستعمل الممازيغية ومن لا يستعملها والمسألة تعود إلى الساكنة البعيدين الممتنعين عن الاختلاط اللغويّ في الجبال الذين بقوا على لغتهم وأما الذين تمرّ عليهم القوافل فقد اندمجوا مع الحدث اللغويّ الجديد وهو حدث لغة الإسلام فتعلّموها وبدؤوا يستعملونها بصورة عفوية وافتقدوا لغتهم الأصل، تبعاً للانجذاب اللغويّ آنذاك، لا تبعاً للمحو اللغويّ. فلا توجد إثنيات، ولا مزاعم هويات من خلال تعدّد اللغات وهي وتيرة اجتماعية تواصلية سواء كانت رسمية أم شعبية. وفي المقابل لم يأمر العرب الأمازيغ بتغيير انتمائهم وهويتهم عبر التاريخ، وكان للبربرية وجود بخصوصية الثبات اللغويّ والأصالة التي انبت عليها منذ القديم، ووجدت تآلفاً كبيراً مع العربية، فكانت لها الشقيقة. وقد ترسّخت بذلك ثوابت المكارم بين الساكنة التي لا تستطيع التفريق بينهما بحكم توظيف اللغة العربية العامة. وبذا يجب الجزم في القول في ظلّ التمازج الاجتماعيّ والصّهر المتواصل لا يمكن تحديد من هم الممازيغيون، ومن هم العرب إلاّ توهماً، كما أنّ مزاعم الهوية الوطنية الأحاد غير صحيحة فهناك هوية بلغتين: الممازيغية+ العربية، ولا يمكن الانسلاخ عن أحدهما وهي الأصالة التي رسّخها

السلف. وافتخر كجزائريين أنّ سلفنا طارق بن زياد، وموسى بن نصير وعقبة بن نافع، والوغيلسي، والمشدالي، وابن باديس، والشّيح بيّوض... عاشوا في وئام ودون أن يفسد للودّ قضية، ولا يجرّ المسألة للهاوية، وكانت كلّ الأمور مرتّبة، بحكم العلاقات القائمة قبل الفتح في أرومة واحدة. ويسوق الدّكتور (محمّد بن عبد الكريم الجزائري) (في كتابه الثّقافة ومآسي رجالها) ص 169 أدلّة وبراهين كلّها تؤكّد العلاقة الوطيّدة بين العربيّة والمازيغيّة؛ منها:

أولاً: ثلث مفردات المازيغيّة عربيّة النّزعة.

ثانياً: وجود حروف في اللغة المازيغيّة لا وجود لها في غير اللغة العربيّة. ثم لا تكاد تجد حرفاً من هذه يعسر النّطق به في تلك، مثل حرف الضّاد والعين والغين والطاء، وبخاصّة حروف الإطباق التي لا توجد في اللاتينيّات وجميع الحروف التي تفرّدت بها لغة الضّاد.

ثالثاً: هذه اللغة هي لغة ذات ضاد؛ كالضّاد العربيّة تماماً.

ويخلص إلى القول بأنّ البربريّة ليست مستقلّة بذاتها، وإنّما هي عربيّة في أصلها قد تحرّفت بطول الزّمن، حتى أصبحت أكثر بعداً عن العربيّة الفصيحة من هذه اللهجات العاميّة المختلفة التي تتكلمها الشّعوب النّاطقة بالضّاد». وهذا ما قرّره دائرة معارف "Universalis/ يونيفرساليس" مؤكّدة: أنّ اللغة البربريّة امتداد لصيغ اللغة العربيّة وأنّ الآداب البربريّة مستمدّة من المشرق العربيّ، وأنّ جميع اللهجات البربريّة مطبوعة بطابع اللغة العربيّة. وتبقى هذه الآراء لأصحابها، ولكن المهمّ في الأمر أنّه لا

صراع لغويّ قائم، ولا خلاف في الرأىّ الجامع. وهكذا نرى بأنّ مسألة الهوية اللغويّة في الجزائر مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين هذه البلاد، فلقد تخصّصت كلّ لغة بمجال معيّن وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه، فهنا نقول: إنّ المأزيغية والعربية صنّوان متكاملان غير متصارعين يكملّان بعضهما البعض، ويتوجّهان لمستقبل مشترك، ووحدة المصير.

3- علماء مأزيغيون أعلّوا الثقافة العربيّة: ونشير لبعض العلماء الذين كانت لهم وقفات تبصّريّة في ظلّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وقد خدموا اللغة العربيّة، وارتقوا بثقافتها في مختلف الفنون، وأصبحوا لمعاً في سماء العلم والعالم: يحيى بن معطى الزواوي + ابن آجروم + محمّد بن سعيد بن حمّاد البوصيري + أبو العبّاس أحمد الغبريني + أرزقي الشرفاوي + الشّيخ زكري + ابن باديس الصنّهاجي + الفُضيل الورثلاني + أبو القاسم البوجليلي + علي شنتير + الشّيخ بيوض + الشّيخ أطفيش + السّعيد الياجري + محمد الحسن فضلاء + الشّيخ أعليلي + الشّيخ عسلة + أحمد بن إدريس البجائي + رابع بونار + محمّد بن قاسم الزواويّ + يحيى بوعزيز + أبو القاسم البهلولي + أبو إسحاق الأجدابي + الطّرابلسيّ + الحمزاوي + محمّد بن يحيى الباهي + سيدي يحيى العيدلي + الشّيخ إدريس السّحنوني + المهدي السّكلاوي + الشّيخ المقراني + الشّيخ الحدّاد + الشّريف بوبغلة الشّريف + لالة فاطمة أنسوّم + سيدي أحمد بن إدريس + محمّد الشّريف قاهر + سيدي أحمد أويحيى + السّعيد البيباني بوتفجرت + إبراهيم بن بوبكر الونوغي اليلماني + عبد الرّحمن الوغليسيّ + الطّاهر الجزائريّ + أبو يعلى الزواويّ + مولود قاسم + محمّد بقن

يعقوب المنقلاتيّ+ الإيراثنيّ+ سي بلقاسم البويريّ+ عبد الرّحمن شيبان... علماء عمالقة من المشدّالين الذين قيل فيهم لولا المشدّاليون ما كانت بجاية الحضارة والعلوم ونشير إلى: نصر الدّين المشدّاليّ+ أبو الفضل المشدّاليّ+ موسى بن عمران المشدّاليّ+ محمّد بن أبي القاسم المشدّالي، وهؤلاء كان لهم الحضور في: تلمسان وبجاية وتونس وقبرص وغرناطة والشّام والحجاز والقدس. وهؤلاء العلماء المازيغيّون كان لهم شرف نصره الدين وحمله ونشره وشرف حمل رسالة الإصلاح والجهاد والاندماج الجمعيّ، وشرف الدّفاع عن المشترك اللغويّ. ولقد كانت العروبة عندهم هي اللسان لا في التّسب فقد أبدعوا بالعربيّة المعجزة. هم علماء ما ينظرون بعقولهم إلى الأمور بل يُحلّلون ويُبدعون، عرفوا الحقيقة وما وقعوا في الغريقة. هم علماء ما ضاقت عليهم الدّنيا وتماهوا في اللغة العربيّة التي تَبَنّوها قناعة، في الوقت الذي كانت فيها لغات أخرى، لكنهم عرفوا سرّ العربيّة، وعلموا أنّ أقوى لغة يومها كانت اللاتينيّة وتحوي سبعمئة (700) جذر لغويّ فقط وما احتوتوها، بل احتواوا العربيّة المعجزة التي فيها ستة عشر ألف وثمانئة (16800) جذر. وهذه اللغة التي ارتضاها الأجداد لأنفسهم وأوصونا بها وقالوا: العربيّة من المقدّس بمولتها الدّينيّة، فوجبت عليكم المحافظة عليها لأنّها تمثّل معلماً أساسياً من هويتكم، فلا يأخذتكم بال لغة أجنبيّة، ولا تستبدلوا الذي هو أعلى بالذي هو أدنى. بالفعل كانت وصيّة الأسلاف في محلّها، فهي اليدّ التي تُعطي، ولا تأخذ قدر ما تعطي، فهي التّبّع الذي لا ينقضي، ألم يكن الغربيّون يأتون الأندلس أيام كانت الأندلس فردوساً للعلماء والعلم ليدرسوا فيها العربيّة وبالعربيّة، وعلى يدّ العرب والمازيغيين؟

ألم يأخذوا علم الفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والجبر من حضرتي: بجاية وتلمسان؟ ومن ثم بنوا قواعد علومهم من العربية وطوّروا لغاتهم التي لا تزال فيها آثار العربية شاهدة في مصطلحاتهم، وندعو المختصين العودة إلى كتاب Nos ancêtre les Arabes; Ce que notre langue leur doit للباحث المنصف (Jean Pruvost) الذي يقرّ بهذه الحقيقة وهو الذي يقول "لولا تلك القرون التي ساد فيها العربُ بلد الأندلس ما عرفت أوروبا نهضتها الحالية". ولكن ذلك من الماضي، وعسى أن يكون الاتعاظ للخلف؛ بضرورة الإفادة من فعل السلف، وكيف تعاطوا مع الفعل الثقافيّ دون تُلّف.

4- الصفات المائزة لهؤلاء العلماء المازيغيين: إنّ معظم هؤلاء العلماء

كانت لهم المواصفات التالية:

1/4- الموسوعيّة في العلوم.

2/4- التّشبع بعلم العربيّة، وحفظ القرآن، ومتون التّحو العربيّ.

3/4- ربط القول بالفعل، والتّضحية بالأهل والولدان، والارتحال في سبيل

العلم..

4/4- ربط الدّين بالدّنيا والدّولة، وعدم التّعارض في المصالح المرسلّة.

5/4- ربط المحسوس بالملموس، ودون الاعتماد على نزعات التّفوس.

6/4- التّماهي في الإيمان، ونشر الفضيلة والأخلاق، والعمل دون هوادة

من أجل بلوغ الرّضا.

7/4- تقديم العلم في صورته الواضحة الميسرة حسب مقتضيات البيئة وعقول النَّاس.

8/4- تأسيس الزوايا والجمعيات الدينيَّة والخيريَّة، والتَّسابق إلى أفعال الخير، وتقديم الوعيِّ على الوعظ.

9/4- تدريس وتأليف الكتب وتكوين الرِّجال والمريدين لمواصلة فعل التَّأسيس.

10/4- التَّماهي في المجتمع والعيش مع الجماعة، وتكوين خلايا الإصلاح.

5- **موقع العربيَّة عند هؤلاء العلماء:** ولعلَّ أهمَّ سؤال يتبادر إلى الدَّهن هو: كيف رُجحت الكفَّة لصالح اللغة العربيَّة؟ هل تمَّ ذلك بقمع البربريَّة/ المازيغيَّة؟ يجب العلم أنَّ إقبال أجدادنا على تعلُّم العربيَّة والإبداع فيها كان طوعاً باعتبارها لغة القرآن والإسلام الذي وصلهم للانعتاق من العهود الماضيَّة الاستعماريَّة، إضافة إلى نقص الاهتمام بتطوير الكتابة المازيغيَّة وعزوف أهلها عن تعييدها وترقيتها، الأمر الذي جعلها تندرج إلى خارج الاهتمامات الفكريَّة والعلميَّة. وهكذا ما دام الإسلام قد ملأ قلوب أجدادنا المازيغيين؛ فمن الطَّبيعيِّ أن يقبلوا على تعلُّم العربيَّة إلى درجة امتلاك ناصيتها، ثم القيام بنشرها في أوروبا وأفريقيا بأن صاروا أقلاماً لها، فأسسوا المدارس في بجاية والأندلس وتلمسان والقاهرة والشَّام والقرويين والقيروان ووقع الازدهار في عهد أبي عبد الله بن تومرت، ويوسف بن تاشفين، وأيام الموحدِّين والزَّيانيين والحماديين. وهكذا أنجبت منطقة الزَّواوة علماء كثيرين

سار بذكرهم الرّكبان، وكان لهم الحضور في بلاد المغرب، وفي المشارق، وفي أفريقيا.

6- **التصاهر المازيغي العربي**: هو تصاهر منسجم ألغى بالاختلاط صفاء الدّم، ومحا وجود الإثنيات، وحصل الدّوبان الفعليّ بين السّاكنة والفاحين وكان مصيرهم واحداً في تأسيس الدّول الوطنيّة القويّة على غرار (دولة الفاطميين+ الموحدّين+ الزيانيين+ الحماديين+ إمارة كوكو+ المرينيين) وما يقابلها من دُول لها صفات العروبة (الدّولة الحفصيّة). قرون من التّآخي والتّكامل الذي أذاب كلّ صفات الخلاف والتّميّز، وذلك ما جعل سكان المغرب الأوسط والأقصى والأدنى يتحدون أحياناً ويختلفون أحياناً في الحكم والسيّادة، ولكن لم يُسجّل التّاريخ أنّهم اختلفوا في سيادة اللغة العربيّة كلغة هويّة بما لها من حمولة دينيّة، وقيمة المازيغيات بما لها من تراث الأجداد وكلتاها تتكاملان بما لكلّ واحدة من وظيفة. ولقد عاركت الدّول الوطنيّة البربريّة/ المازيغيّة المستخرب الإسپاني ولم تقبل بلغته، كما لم تدبّ في اللغة العثمانيّة، وأبانت عن عراكها القويّ أمام المستدمر الفرنسيّ الذي عمل على المسخ والمسخ للهويّة اللغويّة وللتّاريخ المشترك لكلّ الجزائريين. وعن طريق ذلك عمل المستدمر الفرنسيّ على استدراج المجتمع الجزائريّ إلى الصّراع العربيّ-القبائلي لتمكين اللغة الفرنسيّة على غرار ما هو موجود في العديد من المستعمرات الأفريقيّة، وخلق نخبة وطنيّة مُشبعّة بفكر فرنسا القائم على سياسة (فرق تسدّ) وعند ذلك بدأت بعض التّعرات على شكل مطالب للهويّة البربريّة، وهذا منذ 1949م. ولكن رجال حرب التّحرير استطاعوا جمع العموم على التّحرير الوطنيّ وهو القاسم المشترك، إلى جانب

تلك الحدود المانعة للاختراق الهوياتي التي سيّجتها الحركات الوطنية ومختلف هيآت الإصلاح، وبخاصة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين أثناء المستدم الفرنسيّ على وحدة الهوية، وتمثّل أسسها في الإسلام دينًا والعربيّة لغةً وهذا ما ظهر في ذلك الإجماع من بيان أوّل (1) نوفمبر 1954م الذي يُعتبر مرجعيّة الجزائريين بمختلف عشائهم وسكانهم وألوانهم السياسيّة والأيدولوجيّة على اعتبار الجزائر دولة مسلمة، حيث بيّن الهدف الأوّل من الثورة وهو إقامة الدّولة الجزائريّة الديمقراطيّة الاجتماعيّة ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلاميّة، وأضاف البيان هدفاً خارجياً مفاده تحقيق وحدة شمال أفريقيا في داخل إطارها الطّبيعيّ العربيّ والإسلاميّ. ولهذا بقيت بعضُ الأفكار التي طرحت قبل الثورة من مثل مطالب بربريّة سنة 1949م، لم تتحقّق؛ لأنّ ما جاء بعدها جبّ ما قبلها. ولم تسكت المسألة مع رجال الثورة لكنهم أرجؤوا أمر بعض الخصوصيات بشكل عامّ إلى مقام الأريحيّة بعد الخروج من قهر المستدم الفرنسيّ، ولم تُحسم بعضُ المسائل في مؤتمر طرابلس. ولكن دستور سنة 1963م، أكّد الإسلام دين الدّولة في المادة الثّانيّة، والعربيّة لغة رسميّة في المادة الثّالثة. وبالفعل حلّت القضايا اللغويّة في الحقيقة، ولكن هناك غليان يجري أحياناً مُسبباً بعض المضايقات، وهذا بدءاً من 20 أفريل 1980م حيث حصل منعُ إلقاء محاضرة (مولود معمري) في المركز الجامعيّ بمدينة تيزي- وزو، وكان الشّرارة التي جعلت ولاية تيزي-وزو تتنفّض وتبدع في تسميّة (الرّبيع الأمازيغيّ/ الأمازيغيّة) ويظهر بعض المستور والمخفي في المناداة بالهويّة الأمازيغيّة، وتكبر المناداة مع تأسيس حزب (التّجمّع من أجل الثّقافة والديمقراطيّة) وما والاها من مشاكل داخلية

في عشر (10) سنوات من التدمير الأعمى، وحدث فيها تعطيل قانون تعميم استعمال اللغة العربية، وصاحبها تلك المظاهرة التي جرت في العاصمة ضدّ التعريب. من هنا وهناك، بدأت المسألة اللغوية تظهر في الجزائر وخلال ذلك وقع الإقرار بوطننة المازيغية كلغة وطنية بعد إضراب المحفظة سنة 1994م ومن ثمّ جاء ترسيم الأمازيغية لغة وطنية في دستور 6 فبراير 2016م، حيث صادق البرلمان بأغلبية ساحقة على مراجعة جديدة للدستور نصّت على أنّ الأمازيغية لغة رسمية، بينما اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية وتظلّ اللغة الرسمية للدولة. بدأ تدريس المازيغية منذ نهاية القرن العشرين بصورة محتشمة، بما وجدته من معارضة في بعض الولايات، ولكن بدأ الأمر يتحلل، وتأخذ المازيغية مكانها في بعض المدارس وعلى مستوى بعض الولايات، وفي قليل من المتوسّطات، وفي قليل قليل من الثانويات، وفي بعض الجامعات، وفي معاهد تكوين الأساتذة، وتأسيس بعض المخابر ذات العلاقة. ولحدّ الآن لا توجد معارك لغوية بين لغتين وطنيتين، ولهما مصير مشترك بحكم ما تعيشانه من مضايقات. العربية ضعيفة أمّا لغات العولمة والمازيغية فقيرة جداً أمام العربية، وأمام اللغات الأخرى؛ لأنّها تحتاج إلى تهيئة الوقت ليس في صالحها أن تنتظر مدداً، فما مصيرها الآن وعوامل الجذب قائمة بين العربية؛ وهي أختها ومن عائلة واحدة ولكنها فقيرة علمياً وأمام الفرنسية وهي ليست من حضارتها ولا من أرومتها، ولكن المازيغية تربّت على يدّ نخبة فرنكفونية، وعلى أثير باريس لا يزال يفعل فعله، وجالية كبيرة تعيش في فرنسا، وتعلّمت هذه اللغة فأصبحت تتعامل بها، وتنظر إليها

مكسباً كبيراً (غنيمة حرب) ولا يمكن التسامح فيها. فنلاحظ بأنّ مصير المازيغية ينتظر الجديد.

ينتظر الجديد لأنّ المسار الذي عرفته المطالب اللغوية أخذت أبعاداً أخرى، وهي الدّخول في الجدل الهوياتي المرتبط بالجدل اللساني، وهذا يصعب السيطرة عليه أمام منطق العولمة، وما سوف تأخذه من نصيب التدريس، وما يراه البعض بأنّها منافسة للعربية، والبعض يراها تقوية للفرنسية، ومتعلقات كتابتها بالحرف اللاتيني مشكلة، وما كان من أثر سلبيّ في المطالبة بإغلاق مقرّات الدّرك الوطني، وتحوّل المظاهرات إلى أعمال شغب، ومواجهات العنف، وتأسيس لجان العروش، وظهور بعض الأفكار التطرفية (الاستقلال / الحكم الذاتي) من قبل بعض جزائري الخارج. والمهمّ لم تعالج المسألة اللغوية في وقتها؛ فأخذت بعداً سياسياً وزاد الإعلام الأجنبيّ من صبّ الزيت على النار، وبخاصّة ما سبّته الأكاديمية البربرية / أگراو إيمازيغن / (L'Académie berbère) وهي ذات اتّجاه راديكالي تشتغل على صقل المنتسبين إليها بشخصيات ذات توجه سياسيّ متطرّف في كلّ ما يتعلّق بالقومية البربرية والهوية الأمازيغية. وهذه الأكاديمية نالت الدّعم من بعض عناصر من الجالية الجزائرية، ومن الإعلام الفرنسيّ الذي وفرّ الجوّ الديمقراطيّ لفئة الشّباب والمغنين للمطالبة بالإقرار بالهوية المازيغية. والمهمّ في الأمر أنّ هذه الأكاديمية عمّرت عشر (10) سنوات، ولكّنها أوجدت فئة لا تزال ترافع عن المازيغيات، وتخلق قلاقل في الجزائر وفي المغرب، وبعضهم تحوّلوا إلى مجموعات MAK.

7- **التنوعات اللغوية الأولى في الجزائر:** منذ للفتح الإسلامي هناك لغة عربية أدبية واحدة، وبدأت تخرج منها لهجات عربية، وقد سادت تكلماتها كما سادت في الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى حدوث مستويات لغوية فيها حسب المقام والحال، وبقيت العربية الأدبية لغة كتابية إدارياً واللهجات شفوية في خطابات الأوس العادية. وهناك العديد من التنوعات المازيغيات في الجزائر، ونذكر أكبرها وأكثرها استعمالاً وهي: القبائلية+ الشاوية+ الميزابية+ الشنوية+ الترقية+ الزناتية+ الشلحية. ومع ذلك تعتبر القبائلية أكثر انتشاراً في الجزائر، وقامت الكثير من الأبحاث فيها وعنهما، بالإضافة إلى الاهتمام بها خارج الجزائر؛ وبالخصوص لدى الجالية الجزائرية في فرنسا، وفي مخابر فرنسا وألمانيا، وما تملكه من وسائل إعلام ناطقة بها في الداخل وفي الخارج. ومع هذا؛ فإن المازيغية تعرف الكثير من المضايقات، ونشير إلى بعضها:

1/7- **تعدد المازيغيات.** وحسب الدراسات هناك ما يقرب من خمسة وثلاثين (35) أداء/ لهجة مازيغية، وهي على امتداد أربع عشرة (14) دولة بين قارتي: أفريقيا وأوروبا.

2/7- **مضايقات المصطلح بشكل عام:** وهي أزمة كبيرة؛ لأن المازيغية لم توضع في سوق التنافس/ الإنتاج/ الاستعمال العلمي، فبقيت تابعة للحاكم الذي يأتي بلغة أخرى/ يتبنى لغة، والمازيغيات تابعات فقط. وهنا عرفت نقصاً كبيراً في المصطلح، ولا نتحدث عن المصطلح العلمي الذي تعرف فيه العدم، وهو جوهر التقدّم في واقعنا الحالي. وهل يمكن أن تكون المازيغيات لغة العلم/ مجتمع المعرفة؟ وكم تحتاج من وقت لأن تتحوّل إلى لغة قادرة على مواكبة تطورات العصر؟ في حين يتّجه العالم اليوم إلى طمس

وإلغاء العديد من اللغات واللهجات المحليّة، وهل المازيغيات لا ينالها (كوليرا اللغات) أمام الفقر المدقع في كلّ المجالات، وهذا ما سوف نعرفه أمام خريطة اللغات في سنة 2030م، دون الحديث عن الخريطة القادمة التي لا يبقى فيها إلا القليل القليل من لغات العالم مع سنة 2050م.

7/3- الدعوة إلى مساواتها مع العربيّة: لنكن واقعيين في التعامل مع نفس المسافة بين اللغتين، وهل يعني أن نوقف عجلة التطوير في العربيّة لتلحق المازيغيات؟ ولا تلحق إلا بعد ربح كبير من الزمن، وهل يمكن بالفعل أن يحصل التساوي بين اللغتين، وهذا غير ثابت مطلقاً في آية دولة تعتمد لغتين/ أكثر. والمناداة بالمساواة كمن يطلب العنقاء في الصحراء وهم من أوهم صنف المتاجرين السياسيين للمازيغيات، والذين يُعادون العربيّة في الوقت الذي تحتاج المازيغيات إلى البحثة والأكاديميين.

7/4- الشفاهيّة: مشكلة كبيرة جعلت المازيغيات تعيش (شذر مذر) غياب الكتابة، فبقيت في الصّدور، وذلك ما جعلها تخلو من الصّفاء الصّوتي/ اللغويّ، بحكم الرّواية الشّفاهيّة التي تنتقل بها كلماتها عبر الزّمان والمكان، وتخضع للتأثير الحركيّ/ الصّوتيّ/ الحضاريّ، وتأخذ الكلمات الأجنبيّة بقوة.

7/5- غياب توحيد الخط: ما يعرف عن خطّ التيفيناغ أنّه الخطّ الذي كتبت بها في أوّل عهودها، وعدد رموزه ثمانية عشر (18) حرفاً، وكان أحفورياً غير حرفي، ولا يخضع لسرعة الكتابة اليدويّة، ولذلك احتواها الخطّ العربيّ بسهولة، وكتبت به كلّ المخطوطات بعد الإسلام، ولا تزال الكتابة

بهذا الخطّ قائمة، رغم منافسة الخطّ اللاتيني الذي بدأ يشتغل بعد الربيع الأمازيغيّ فقط. وهذا من العوائق التي تحدّ من ترقيتها، وينظر لها من منظور احتوائها لخطّ ليس من حضارتها، وما الفائدة من قطف ثمار ترسيمها ويستولي عليها الحرف الذي حورب من كلّ الجزائريين. وبذا لا تزال تُعاني عدم الاستقرار على مستوى الكتابة، في حين يبقى تداولها على الألسن غير كافٍ لاستمرارها كلغة المستقبل لدى الأجيال، وهو ما يترجم الصّراع الخفيّ بين دعاة الحرف اللاتينيّ/ الفرنسيّ والعربيّ، وهو صراع أيديولوجيّ أكثر منه تمكينا لتمازيغت وإعادة الاعتبار لها كلغة تحتاج إلى الرّعاية والتّطوير.

8- مسار التّكامل: إنّ المسألة اللغويّة في الجزائر عرفت مسار التّكامل هو مسار العربيّة الرّسميّة، ومسار المأزيغيّات المنسيّة بحكم الانبهار اللغويّ الدّيني في المقام الأوّل، وهذا الأمر جاء في إطار التّكامل والتّعايش بين اللغتين الشّقيقتين، بدل الصّراع والتّنافر؛ لأنّهما عرفتا مساراً/ سكةً واحدة عبر تناميها في الاستعمال وفي التّدريس، وعرفت العربيّة مقامها في الاهتمام المحلّي/ الاهتمام العامّ/ الاهتمام الدّولي والفرد يتأثر باللّغة التي يسمعها ويقرؤها ويتكلّمها أكثر؛ بحيث يمتدّ هذا التأثير ليشمل نمط تفكيره وتصوّراته ومشاعره، وهذا ما يجعل اللّغة هي الفكر نفسه، فليس ثمة فكرٌ مجرد بغير رموز لغويّة. وهذا مسار العربيّة التي أصبحت عبر الزّمان رمزاً للهويّة المأزيغيّة العربيّة في نموذج لغة وطنيّة مشتركة لا جدال فيها. هي وصفة الذين أبدعوا بها وفي ذاتها، وحقّ علينا اتّباعها، وأما مراجعة/ التّراجع عن هذه الوصفة هو خلق صراع بين لغتين وطنيتين لصالح التّمكين للفرنسيّة التي خلقت المشكلة من أجل نفوذ الفرنكفونيّة، وليس قصد نيل المأزيغيّات

مقامها في الواقع المحلي، وهي في الاستعمال وفي المدرسة وفي بعض المصالح المرسله بصورة عادية والأمر في غاية التفاؤل، ولا بد أن تأخذ الوقت المناسب في التهيئة. وكان علينا أن نعرف أن المازيغيات والعربية حوربتا من قبل الفرنسيين بما وضعوه من قوانين وتدابير رديّة في منع استعمال اللغتين منذ سنة 1838م، ولما عرفت فرنسا أمر الجزائريين في أنهم يؤسسون المدارس وبينون الزوايا بدأت في اللعب على الوتر عربيّ - قبائلي، وقد أطلقت في 7 مارس 1944 مشروع قانون أصدرته اللجنة الفرنسية للتحرير برئاسة (شارل ديغول) لمنح شهادات تعليمية باللهجة البربرية للجزائريين واعتبروا تقوية اللهجة البربرية بديلاً واقعياً لهيمنة اللغة العربية الفصحى (بعد جهد جمعية العلماء المسلمين في ذلك الوقت) وعمل المشروع الذي أعد له جيداً بنيت طرد اللغة العربية من كامل التراب الوطني بعد نجاحه بمنطقة القبائل التي ركزت عليها فرنسا كثيراً. دون أن ننسى بعض المزايا التي تقدّم للتخبة الوطنية التي تنحو منحى تصنيف السّاحة اللغوية في الجزائر إلى: العربية الفصحى + الفرنسية + العامية الجزائرية + القبائلية. وهنا نلاحظ أن المسألة اللغوية وما يتبعها من المسائل الثقافية أصبحت في صراع حول اللغة العربية/ التعريب وفي معناها العام يعني الصّراع حول صياغة الوعي الجماعي الذي يمثّل التعبير الأرقى عن معادلة الجمع بين الماضي والحاضر/ القطيعة عن الماضي ويعني القطيعة مع التراث العربيّ/ القطيعة مع مرجعية العربية (القرآن الكريم) وهنا لبّ المشكلة التي لا تزال بعض الأطراف تعمل على تغذيتها بمصطلحات خادعة، أو بنمطية الحضارة المعاصرة، وبأسماء ثقافية كبيرة بدعوى التفتح الذي لا يكون إلاّ عبر لغة فرنسية لها عمق في المجتمع

الجزائريّ وأنّ مشروع التعريب فشِل في بلاد العرب، فكيف ينجح في بلاد المغرب؟

هي أفكار دعاة الفرنكفونية، وتعدّ عند نشطاء الثقافة والهوية الممازيغية مرجعية من أجل إعادة الاعتبار لهذه الهوية المفقودة - حسبهم - بإرادة سياسية، حيث راحت اللغة الممازيغية ضحية الخيار الاشتراكيّ الذي تبنته الجزائر كأيديولوجية سياسية واقتصادية بعد الاستقلال مباشرة، فالخيار الاشتراكيّ ألزم القادة السياسيين الاتجاه للمشرق العربيّ لصياغة اشتراكية إسلامية، وأصبح المنادون باللغة الممازيغية ضمن المغضوب عليهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ عدم الحسم في بداية الاستقلال في قرار تعميم استعمال العربية، كان سبب تمكين الفرنسية في معظم القطاعات وفي مواصلة الهيمنة اللغوية من قبل لغة العدو الذي خرج اقتصادياً، ولا يزال ثقافياً بموروثه اللغويّ، وما نعيشه من مراجعة وتراجع أحياناً، ولكن في ذات الوقت لا ننكر التعريب المرحليّ لمسار المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال، وما جاءت به من أفكار تحسينية خلال الإصلاحات التربوية والتي صاحبها الثورة الثقافية، وتأسيس المدرسة الأساسية، ومقتضيات تعريب العلوم الإنسانية في الجامعات، وتعريب المدارس العليا، والقضاء على التبعية في الميدان الثقافي، وبروز الشخصية اللغوية الوطنية...

9- هل هناك صراع لغويّ؟ لقد حدث صراع على الأرض وعلى الحكم في شمال إفريقيا، فحاربت الكاهنة الفاتحين، وصمدت سنوات وسنوات رافضة الحكم العربيّ، كما حصلت مناقشات كثيرة في بعض المناطق ويعود بعضها إلى رفض الحاكم العربيّ، وبعضها إلى السيطرة على الثروات، وتشير

كتب التاريخ بأنه حدث صراع حربيّ بين عقبة بن نافع وأكسيل / كسيلة الملك البربري، وارتدّ البربر في رواية (ابن خلدون) اثنتي عشرة (12) مرّة واستقرّوا في عهد موسى بن نصير على الإسلام. والمهمّ في كلّ هذا أنّه لم ينقل لنا التاريخ أنّه حصل في بداية دخول الفاتحين الصّراع اللغويّ، ولا بعد ذلك، فلقد قبل المازيغيون العربيّة قبولهم الدّين الإسلاميّ؛ فحصل أسلمة بلدان المغرب العربيّ في ظرف قصير، وهي المهمّة الأساس عندهم. إذن لم يطرح الصّدّام بين العربيّة والمازيغيّة إلاّ مع دخول فرنسا التي أقصت المازيغيّة والعربيّة من الاستعمال والتّوظيف بشكل نهائيّ، وبقرار من الحاكم الفرنسيّ، وتشهد المصادر بذلك القرار لسنة 1899، الدّاعي إلى إغلاق الكتاتيب القرآنيّة وتدمير المساجد، وتحويل الكثير منها إلى كنائس، بل وصل الأمر إلى منع الحجّ على اعتبار أنّهم يحتكّون بالعرب الذين يحملون اللغة العربيّة، أضف إلى ذلك ما تعرّضت له الصّحف المعرّبة من غلق وملاحقة أصحابها وهذا كلّه يدخل في إطار الضّمّ التّ نهائيّ، وتذويب الجانب الثّقافيّ في الجزائر في كيان فرنسا، وإضعاف الشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة ومقوماتها الدّينيّة. ولقد عملت المدرسة الاستدماريّة على بثّ التّشكيك في لغتنا وهويتنا وعرقنا، وحاولت أن تُعيدنا إلى البربريّة الوحشيّة؛ حيث الصّراع بين الأهالي بسبب من هو الأصيل؟ من هو البربري؟ من هو العربي؟ من صفا عرقه؟ ولم يطرحوا هذا على أنفسهم، رغم أنّ التاريخ يقرّ بأنهم أعراق وديانات متباينة وأجناس شتى، فهل نعتبر!

إنّ المازيغيّة لم تصارع العربيّة؛ حيث تحدّدت مجالات كلّ واحدة منها بشكل طبيعيّ، كما لم يمنع القرآن ولا الحديث الشّريف استعمال اللغات

والألسنة الأخرى، وبذا عاشت العربية بلهجاتها، والمازيغية بلهجاتها وتأدياتها جنباً إلى جنب طوال القرون الماضية، ولم يحصل بينهما أي صراع بقدر ما كان التكامل والتداخل تلاحقاً وتبادلاً في الأدوار والوظائف. وفي الوقت المعاصر لا تعادي المازيغية ولا اللغة العربية اللغة الفرنسية كلغة علم، فالفرنسية لغة راقية يجب الاستفادة من علومها ولا يمكن نكران بأن لها باعاً طويلاً في علوم الطب والسياسة والسياحة والقانون، ولكن لا تبقى لغة هيمنة وهوية عندنا، أو اللغة التي يجب المرور منها للوصول إلى كل شيء اللغة الوسيط. وأما ما حصل من صراع في مسألة التعريب، فهو رد فعل للتعريب، صراع بين لغتين إحداهما أجنبية تصرّ على احتلال مكان السيادة في البلاد، ولغة وطنية ترى أنّ شرعيتها قد انتهكت، ومكانتها سُلبت فتطالب بردّ حقها، وهذا شيء تقرّه الحقوق اللغوية لكل اللغات ومن حقوق اللغة العربية عدم الاعتداء على شرفها.

10- الواقع اللغوي بالجزائر: قبل وصف الواقع اللغوي الحديث علينا

تأكيد ما ذكرناه من أنّ منطقة شمال أفريقيا عرفت التعددية اللغوية قبل الفاتحين، وأنّ اللغة المحلية/ البربرية لم تُسُد عند ملوك البربر قبل الفتح الإسلامي، ولم يكن لها مقام إلا في التفاهم العائلي، واستمر ذلك التعدد اللغوي بعد الفتح الإسلامي، إلا أنّ الغلبة كثيراً ما سجلت للغة العربية رغم أنّ البربر القدامى لم يمتلكوا ناصية اللغة العربية الفصيحة؛ إلا أنّهم أحبّوها واستعملوها في حديثهم كونها لغة دينهم، ولم تُمح المازيغيات من التداول، مع الاختيار الحرّ لوصفة الأجداد بتبنيهم العربية لغة العلم والتعليم. وهكذا نرى أنّ الازدواجية/ التعددية قائمة، ولعب فيها العامل

التاريخي الحسم المنجز لصالح اختيار لغة واحدة تكون مشتركة؛ وهي العربية الفصحى، وأصبحت لغة الدولة، ومع ذلك فإنّ الواقع المعيش لم يحافظ على فعل الأجداد، ونشهد تعدّدية من نوع آخر؛ حيث استعمال اللغات غير مُتجانس: مجموعات لغويّة مختلفة، تاديّات مازيغيات لا تفاهم بينها عربيات/ دوارج الشّارع فيها هجين لغويّ غير علمي، هجمة فرنسيّة إقصائيّة للغات الهويّة، لغة رسميّة غير مستعملة، لغة أجنبيّة غير رسميّة مهيمنة... ساحة من الفوضى اللغويّة التي لا توسم بالتعدّدية المعروفة؛ وهي إنزال كلّ لغة مقامها، وهناك تكامل بينها في كثير من المهام. وكلّ هذا يفسّر بشيء واحد وهو أنّ رزوح الجزائر تحت دمار طال أمده (132) سنة أصاب اللغات الوطنيّة في المقتل، وأنّ التّوجّهات الفرنسيّة ركّزت على اللغة والثّقافة الفرنسيّة، وأن مشروع فرّسة الجزائر حلم لم يتحقّق، وعليها أن تترك الأثر في اللاستقرار لغويّ. وهي سياسة تركّ البؤر/ التّخبة الفرنكفونيّة التي تدافع عن الفرنسيّة كلغة تفتّح وحضارة وعلم، وهذا ما نراه قائماً الآن في تدريس مجالات الطبّ والهندسة والعلوم والثّقانة بالفرنسيّة، رغم ابتعاد الفرنسيّة علمياً عن بعض المجالات، وهي تعيش مضايقات تقنيّة كثيرة في بلادها التي تبعد عنها، وتستعمل الإنكليزيّة في التدريس في مجالات الثّقانات، وما له علاقة بالتواصل العالميّ.

وإنّ الواقع اللغويّ يكشف عند الجزائريين أنّ هناك تعايشاً بين العربيّة والمازيغيات في حدود لزوم المنتوج العلميّ والاستعمال العفويّ، ويحتاج هذا التّعايش إلى التّمتين عن طريق القوانين والعمل على التّهوض باللغتين اللتين تعيشان القرابة اللغويّة والافتقار العلميّ، ومصيرهما المستقبليّ واحد، وهو

تعدّد مُتجانسٍ حميميّ اجتماعيّ مُنسجم، وهذا ما سوف يضمن التّجّاح للمرحلة الجديدة في جزائر التّغيير، جزائر الإقرار بالتعدّدية التّامة التي تقرّ بكلّ الأطراف ضمن شراكة قوّة ما تعطيه إحدى اللغتين والابتعاد عن النّظرة السّلبية لما تقدّمه آية لغة في الوقت الحاضر الذي نعرف تأخراً فظيماً في لغات الهوية، ولكن هي أوّل الخطو، يليها مسألة نزع الهيمنة التّخويّة الفرنسيّة لناطقِي الفرنسيّة، وما لها من سوء الازدواجيّة اللامتكافئة في زيادة ترسيخ الفرنسيّة التي تشتعل في الإدارة والبحث العلميّ، وهي ازدواجيّة مُتوحّشة تعطي الأفضليّة للفرنسيّة بشكل عفويّ، وذلك ما يعطي لمستعمليها شارة الفخر والتّعالي على أنّهم أرقى من التّاطقين بلغات الهوية. وخلاصة الكلام؛ هناك تعدّدية لغويّة غير مُحكمة الإتقان، تحتاج إلى تخطيط في السياسة التّربويّة، وإلى الخروج من وهن بيت عنكبوت الفرنسيّة التي تريد أن نعيش الصّراع اللغويّ لتبقى لها السّيادة. وهذه اللغة هي التي جعلتنا لا نتقدّم، ولم نُنل منها إلاّ السّرّاب والوهم والوهن، والخليط اللغويّ، وعدم التّحكّم في آية لغة، فنسمع لغات شوارعنا، ونجد الخليط اللغويّ والهجنة كأننا أمة بلا لغة. هي معضلة عويصة، مصحوبة بداء ينخر عظام لغات الهوية؛ لذا يجب حثّ الخطى في اقتلاع هذا الدّاء من جذوره. وعلينا جميعاً السّياسيّ والتّخبة والمعلّم والمجتمع الاستماع إلى بعضنا البعض في حوار هادئٍ للتّشاور، وبناء أفكار الخروج من الصّراع الوهميّ الذي لم نُحسن فيه إدارة التعدّدية اللغويّة، ولم نُحسم أمر الاستفادة من اللغات الأجنبيّة، ومن مختلف الثقافات. وفي ظلّ هذا الواقع؛ فإنّ العربيّة عند الجزائريين تنال موقع الرّضا، وهي عنصر

أساس في هويتهم وشخصيتهم وفي طريقة تفكيرهم وهذا يحكم ما لها من قيمة رمزية وطنية ودينية.

وإنّ العربيّة صاحبت الأطوار التاريخيّة للمجتمع الجزائريّ وعملت على تطويره فكرياً، وكانت لغته الحضاريّة، فلا يتسامح المجتمع الجزائريّ في لغة لها كلّ الرقيّ العلميّ الذي نالته أمام اللغات الأُمّية رغم ما يلحقها من بعض العثرات التي لا تُنقص من قيمتها العلميّة والحضاريّة. وإنّ العربيّة لغة ليست ككلّ اللغات، وسوف تلحق بركب لغات العلم، وهي منها، رغم ما تعرفه من مُضايقات المصطلح العلميّ، وما يوقف ضدها في عمليات استعمالها، ومحاربة تعريب التّعليم، والعقبات المفتعلة عن عجزها العلميّ، وهي لم توضع في الاستعمال؛ حيث طغيان الفرنسيّة بوصفها لغة جاهزة، والعربيّة أبعثت لأنّها غير جاهزة/ عاجزة، ونجهل شهادات العلماء الكبار الذين يقولون "... العربيّة أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الحقل الدّوليّ، وعنصر جوهريّ للسّلام في مستقبل الأمم والشّعوب". فقيمة العربيّة كبيرة لو كُنّا على وعي بها ومجمولتها الحضاريّة والدينيّة لو كُنّا نعتبر، وإنّ كلّ تقصير فينا وليس فيها. وما يثير في النفس ألمًا أن تُحظى اللّغة العربيّة بهذه المكانة، ثمّ ترمى بشتّى التّعوت، ويُنظر إليها بمنظار الشّؤم والسّخط، على أنّها سبب التّخلف والعجب أنّ أشباه المثقّفين ينافحون من أجل الفرنسيّة، ولا يقومون بأيّة خطوة من أجل العربيّة. وأما موقع المازيغيّات في الواقع الحاليّ فهو متذبذب بسبب ما يلّمسه المجتمع الجزائريّ من واقع حقيقيّ خارج لغة الهوية، وحسب المصادر والدّراسات التي أجريناها؛ فإنّ المجتمع الجزائريّ ينظر إلى نجس القيمة اللغويّة للمازيغيّات بسبب عاملين:

10 / 1_ العامل الأول هيمنة مازيغية على المازيغيات، وهذا يعني السعي لاحتواء التأديبات المازيغيات الأخرى، وما يلحقها من إلغاء كل ما يمت بصلة لواقع القاموس المشترك بين العربية والمازيغيات في حدود ما يقر به الباحث (سالم شاكر) يصل إلى 49%، إضافة إلى تلك الممارسات من قبل غير المختصين في تصفية عرقية لقاموس المازيغية من كل ما هو عربي/ قريب من العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الإتيان بكلمات اصطناعية غير مازيغية ومن افتراض باحثين يرمون لنا الكلمات من مازيغية وهمية افتراضية صناعية. وبذلك ستصبح المازيغية في لاحق من الزمان إسبرنتو/ Esperanto اللغات، وهذا سوف يقضي عليها، وهذا لا يجب أن يأتي من السياسيين، وأن يدلى في المسألة اللسانيون المختصون وعلماء فقه اللغة، وهم الذين يقترحون عوامل النمو اللغوي.

10 / 2_ العامل الثاني: كتابتها وتدريسها الحالي بالحرف اللاتيني، وهذا منقصة كبرى في غياب حرفها (التيفيناغ/ العربي، ويعني إحياء/ بعث المازيغية لصالح اللاتين، واللاتينيون في غنى عن المازيغية، كما يعني احتواءها من قبل اللغة الفرنسية بما لها من نطق فرنسي دون غيرها من اللاتينيات. ومن يلاحظ عن بُعد هذه الكتابة يقول إنها لغة فرنسية، وهذا ما يجري في التدريس؛ حيث يكون درس النحو عن المازيغية، وبلغة الشرح الفرنسية فقط، وهذه طريقة المستشرقين عندما يدرسون لغة من اللغات الأجنبية فيتخذون منها الأمثلة فقط، وهذا يصلح بالنسبة لتدريس اللغات الأجنبية والمازيغية ليست أجنبية في الجزائر. ومن هنا يرى المجتمع الجزائري في غالب فئاته أن هذه اللغة لا تُعبر عن هويته لأنها لم تُحتو من حرفها/ الحرف

العربيّ الذي أعطى لها صفة الوجود خلال خمسة عشر (15) قرناً، وكلّ مدوّنتها مكتوبة بالخطّ العربيّ إلاّ قليل القليل الذي كُتب باللاتينيّ في نهاية القرن العشرين. وهكذا نرى حرص المجتمع الجزائريّ على لغته الوطنيّة ويعدّ في نظر اللّغويين من الأمور الطّبيعيّة التي تحتمها ضرورة المحافظة عليها من كلّ تأثير أجنبيّ، فإنّ هذا هو خير هجوم قبل الدّفاع الذي سيتضاعف حين يكون الخطر على اللّغة العربيّة مع المازيغيّات بما لهما من تجاور وتكامل حضاريّ لما يتّحدا في الكتابة التي تُعيدهما إلى أرومتها المشتركة، وإلى الحضارة الشّرقية. ولهذا يراهن أغلب المجتمع الجزائريّ على التّهوض باللّغتين في المدرسة؛ كونهما عاملاً استمراراً للتّاريخ والحضارة، وعدم قطع الاستمراريّة والصّلة بأثار الأجداد، ممّا يؤدّي إلى ظهور شعب يجهل تاريخ ماضيه، ولا يتعرّف إلاّ على ما يُترجم له إلى اللّغة الجديدة، وبالتالي يتمّ القضاء على إحدى مَقومات شخصيته، ويسهل التأثير عليه. وإذا ما أردنا الإصلاح المجتمعيّ علينا تربيّة المدرسة، وتغذيتها بالهويّة والخصوصيّة، وكلّ مَقومات الشّخصيّة من عقيدة ولغة وثقافة وتاريخ وقيم ومفاهيم لتثبيت الهويّة على أحسن ما يُرام، وذلك لا يكون إلاّ بلغة جامعة، ولا يعني إلغاء اللغات الأخرى، بقدر ما يعني إنزال اللغات مقاماتها وحدودها فقط.

11- **العربيّة والمازيغيّة صراع إيديولوجيّ:** لقد مُنيت اللّغتان ببعض من التّخبة الوطنيّة التي أسهمت في عرقله مشروع التّعريب، كما لم ينجح مشروع نيل المازيغيّات مقامها في الاستعمال، فهذا الصّراع عرف ثلاث فئات: الفئة الأولى عروبيّة ترى أنّه لا بديل عن العربيّة في الجزائر وتبقى اللّغة الوحيدة والرّسميّة دون غيرها من اللغات، وضرورة التّعريب الشّامل والكلّي في كلّ

مرافق الدولة. والفئة الثانية مزوغية ترى ضرورة إقصاء العربية، ولا بد من التمزيع الكلي بديلاً عن التعريب الكلي، وهو العودة إلى الهوية البربرية الأصيلة، وأنّ العرب نوع من أنواع الاستعمار. والفئة الثالثة بينية ترى ضرورة تقريب الممازيغية من العربية والتّمكن لها كلغة لا كأيدولوجية، ومن الأحسن احتوائها بدل اتّخاذها لبوس الفرنسية، وسوف تعود الفرنسية من خلالها، وعلينا الاتّعاظ من الإقصاء الذي يولّد التّطرف، وهذا ما يلاحظ في بعض المناطق من وجود الحميمة بين الفرنسية والممازيغيات في الاستعمال وفي عدم منع الفرنسية وفي تقريب كتابة الممازيغيات بالحرف اللاتيني، في حين ترفض بعض الفئات كلّ تواصل بالعربية، أو كتابتها بالحرف العربي، وهنا الخطر الذي يجب أن نحتاط له في منشئه قبل الاشتعال.

ومن المنطق المتفاوت، والذي لم يقع الفصل فيه في الكثير من العلاجات بما له من حساسيات، وما له من ركام تاريخي يصعب علاجه وفتح هذا الملفّ المثقل بحمولته التراكمية، رغم أنّ الدساتير الوطنية أبانت عن وصفة مقام العربية بشكل صريح، ولم يتّضح الأمر بالنسبة للممازيغية إلا مؤخراً ومع حسن نوايا السياسيين في الوقت المعاصر يمكن أن نقول إنّ الملفّ الممازيغيّ حالياً حظي باهتمام بالغ من السّلطة السياسيّة، ومن بعض التّخبة الوطنيّة البينية، وبدأت الكثير من الأمور تعرف الحلول عن طريق تأسيس المجمع الجزائريّ للغة الممازيغية الذي نروم أن يقدّم على خطوات علمية جريئة في إطار التّكامل الوطنيّ، والتّظرة المستقبلية التي تدعو إلى الوحدة والمصير المشترك، والابتعاد الكليّ عن الإيدولوجية التي لا تبني البلاد، كما أنّ الواقع يفرض على جميع الباحثين المستقلّين فكراً العمل على استجلاء

الخلفيات التي انبنت عليها مواقف كل فئة بما تراه مناسباً لها، واقتراح خطة طريق استشرافية لهذا الملف الذي يحتل مكانة جديدة في حياتنا السياسية والأدبية والثقافية في هذه الفترة الزمنية الحرجة.

12- هل المازيغية خطر على الأمن اللغوي الجزائري؟ هناك من يطرح

أفكاراً تخوفية من ترسيم الأمازيغية لغة وطنية، وأنها سوف تكون منافسة للعربية في التدريس، أو على مستوى الانفصام الشخصي للمتعلم الذي يكتب بخطوط مختلفة، وبلغات عديدة، وأن المازيغية لا فائدة فيها ولا تحمل العلم، وسوف تخاطر بالمتعلمين في ضياع وقتهم... ولا بد أن نقول إن الأمن اللغوي جزء من الأمن العام، وهو مثل الأمن الغذائي والمائي وأن احتواء اللغات الوطنية يدخل في باب الأمن العام، وتحتاج المسألة إلى إقامة روافد احتياطية وتدابير وقائية للمحافظة على التوازن اللغوي والمسألة لا تشكل الخطورة مطلقاً. فنحن البربر شحنتنا مختلف الأزمات بالثورات ضد الظلم وثرنا ضد المستعمر الروماني والوندالي، والفينيقي والبيزنطي، وقبلنا العرب، ورضينا بالإسلام ديناً، وباللسان العربي لساناً ولغة، كما أن الإسلام لم ينكر بأن ما أثبتته التاريخ بأن الأصل أصل والفرع فرع، والإسلام هو الذي علمنا بأن التمسك بالإنية التي تُعطي مستوى التديّة، ولم يحصل ما يدخل في باب التفرقة أو الكراهية بين شعبين اتحدًا بفعل القرآن الكريم. ولا ينكر عاقلٌ فضل اللغة العربية على ساكنة شمال أفريقيا، والذي يشمل بلاد المغرب الأوسط، الذي حقق المنعة والحماية والأمن بهذه اللغة التي رفعت من ملوكها حتى دخول المستخرب الأجنبي الذي عمل على استبدالها بلغته، ودمر نسيج الأمن اللغوي بما تركه من خلاف مرجعي، الذي كان

سبب الخلاف على التراث والموروث. وأنّ إحياء هذا الموروث بوصفة الأجداد لا يمكن أن يشكّل الخطر، بل يكون مبعث تمّتين الوحدة الوطنيّة بتحقيق الأمن اللسانيّ والهوياتيّ حسب مقام كلّ لغة لننطلق لتجسيد مشاريع التّثميّة اللغويّة، وأنّ التّعددية اللغويّة قائمة منذ زمان، وهناك شعوب تحتكم إلى أربع لغات رسميّة، وتعيش الازدهار اللغويّ مع ما يقابلها من تعميم اللغات حسب مناطقها، أو تعليم اللغات حسب نفعيتها وقطبها وما تقتضيه المصلحة العامّة. فلا خطورة من ترسيم المازيغية، ولا تشكّل خطراً على الأمن العامّ مطلقاً؛ إذا أحسن إدارة المسألة اللغويّة، وقد يحصل الخلاف في المنهجية وهذا طبيعيّ جداً، والمهمّ تسطير الهدف مسبقاً، والاتفاق على الخطوط التي لا يقع تجاوزها. وبناءً على هذا نرى ما يلي: عدم ربط المازيغية باللغات الأجنبيّة؛ وخاصة لغة المستدر (الفرنسيّة) التي تدهورت قيمتها وتراجعت مكانتها بما يتعلّق بالدكاء الاصطناعيّ والرّقمنة والشّابكة والبرمجيات، والابتعاد عن الثقافات الأجنبيّة، وبخاصّة ثقافات ما وراء البحر في برامج التّدرسيّة المتعلّقة بالمعاهد والمدارس والأقسام التّربويّة. ومما نوّكده إبعاد المازيغية عن الأيديولوجيات الغربيّة وضرورة ربطها بالدّين الإسلاميّ، وبعادات وتقاليد وأعراف المجتمع الجزائريّ. وكتابتها بالحرف العربيّ لما فيه من ميّزات خاصّة ومرونة لاحتواء الحروف والأصوات، وخير شاهد التراث الذي وصلنا من الكتب والمخطوطات المترجمة من العربيّة إلى المازيغية والمرسومة بالحرف العربيّ، مع إمكانية تحويره في بعض الأصوات واحتوائه في وعاء الحضارة الإسلاميّة الشّرقيّة، وأن لا تخضع المازيغية لموقع المنافسة التّديّة مع العربيّة، وألا تُعطى لها أكبر وأعظم ممّا لا تستحقّ، وأن تلتزم

المازيغية بمازيغيات الوطن، كلّ منطقة بمازيغيته في حدود تواصلها تدرّساً وإعلاماً لغاية التوحيد الذي لا يكون بين عشية وضحاها. ولا بدّ في هذا المقام تأكيد جانب التحلّي باليقظة والتّباهة، والابتعاد عن الخلفيات القوميّة والرّكائز العرقيّة والأطروحات الإيديولوجيّة، وأن يكون الجزائريّ الوطنيّ الغيور مسلّحاً بالعقيدة السّليمة وبالمنهجية الأكاديميّة العلميّة، التي تعطي لنا موقع التّديّة التي سُلّبت منّا في أيام الاستعمار الفرنسيّ الصّليبيّ الغاشم، وحوّرت وكوّرت ثمّ ألّبت لباس الوطنيّة الزّائفة، ثمّ صدرت إلينا باسم العلميّة والموضوعيّة في قالب المعلّمين النّاصحين. لذلك علينا وعلى كلّ من صدرّ نفسه لدراسة هذه القضايا أن يكون نبيهاً ذكياً حكيماً ولا يُخدع بالمظاهر وبالشّعارات الرّتّانة، فقد استمال العسكر الفرنسيّون الباحثون ومن سار سيرهم في تصدير المعلومات الكاذبة والمغلوطة لجيل من الشّباب قد مضى، ولكن الشّبهات والأكاذيب باقيّة، ومن هذه الأغاليط بأنّ العربيّة لغة أجنبيّة للجزائريين، وأنّ الفرنسيّة هي اللغة الأمّ... فافتنع بهذه الدّعوات بعض من الجيل السّاذج، وينطبق عليهم قول (ابن خلدون) المغلوب مولع بلغة الغالب. وأن يكون تعليم وتدرّيس المازيغيات وفق برنامج تربويّ بحيث لا يؤثّر على الاكتساب اللغويّ، ولا يتصادم تعليمها مع تدرّيس العربيّة وخاصة في المرحلة الابتدائيّة "والحقّ يُقال أنّه من غير المعقول منطقيّاً/ علمياً/ ديداكتيكياً أن نبرمج ثلاث (3) لغات لطفل في المرحلة الابتدائيّة تزامناً مع اكتسابه للعلوم المختلفة". وهكذا لن تكون المازيغية خطراً على الأمن العامّ إذا التزم الجزائريون بالوطنيّة الصّحيحة وتحلّوا بالعقيدة السّليمة، وتولّوا الدّفاع عن مقدّسات الوطن وهي لغته العربيّة والمازيغية ودينه الإسلام

وحدوده الجغرافية والتاريخية المعروفة بمساحة 2382000 كم². ومن الضروري بثّ روح ومبدأ أننا في الجزائر لا نعيش صراعات وحروباً لغويةً ونعرف أنّ العربية مكانها التعليم والإدارة والعلوم الإسلامية، وغيرهما من وظائف الدولة والمعاملات اليومية... وأننا أمة واحدة ونطق بها الصنهاجي المازيغيّ (ابن باديس) إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء وتؤلّف بينهم في العُسر واليُسْر، وتوحّدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم في أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمّه الجزائر وأبوه الإسلام.

إذاً المازيغية تشكّل الخطر إذا لم نحميها وتطويرها بما ذكرنا سابقاً، ولم نجعلها تعيش ألفة تكامل مع العربية لا تنافر، ولهذا، فأبى قلاقل لغوية يمكن أن يدخلنا في حرب اللغات، وهذا ما يجب التّحرّز منه مسبقاً بمعطيات الحماية اللسانية الشاملة التي تأتي من المدرسة، ومن أتباع وصفة الأجداد كي لا نعيش الحاضر المقلق. وبالفعل فإنّ علامات الخطر في ذات الأمازيغية على نفسها قائمة وليس على الأمن العامّ، وهذا ما يهدّدها.

13- المازيغية في خطر: سبق أن كتبنا مقالة في ذات العنوان عندما لاحظنا

ما يحدث بها من إيديولوجية توجيهية تصارعية، وقلنا إنّ المازيغية لا تذهب بعيداً، وسوف تعيش الخطر بحكم بعض العاملين عليها يقومون على إلقائها في الخطر نتيجة الممارسات التي تتعلّق بترقية المازيغية. وباعتبارنا معنياً بقضية المازيغية كمواطن ونخبة ووطنية، والمازيغية أداة تواصل وطني، فالأحرى بها أن تكون في مستوى الحدث الوطني الذي يرحوه المجتمع الجزائري، ولا يجوز لأحد أن يقول: دعوا المازيغية للمختصين، أو دعوا المازيغيين للمازيغيين

فمن هؤلاء المختصّون؟ ومن هؤلاء المازيغيون؟ بالفعل يجب أن يكون المنطلق من أنّ المازيغية كان الأخرى أن تُعالج بشكل علمي من المدرّسين ومن النّخبة، ومن العلميين ومن رجال السّياسة ومن يهتمهم الأمر، شرط أن يترفع المعنيون عن التّوجيه التّعسفيّ أو تنميطها تنميطاً لا يليق بمقامها، ولا يلين قناتها أو يكسّر إرادتها، ودون أن يشكّل ذلك عقدة للغة من اللغات المتعايشة في المجتمع الجزائريّ، أو يُحدث صراعاً لغوياً مع اللغات المستعملة في واقعنا، أو يشكّل وجود لغة ما يعني محو لغة أخرى فنحن لا نعيش حرب اللغات، بل هناك تكامل اللغات، فلا توجد لغة أخذت مواطنة لغة أخرى لكن توجد لغة مُهينة في الواقع الاجتماعيّ بفعل ما عشناه من استعمار ثقافيّ طويل، فنالت لغته (الفرنسيّة) كلّ شيء، وهنا العقدة اللغويّة في وطننا، وهذا هو الوضع اللغويّ الحالي الذي جعل الأمر ينحو نحو التراجع، فما يزال الوضع يراوح مكانه بعدما أصبحت المازيغية في 8 أفريل 2002 لغة وطيّة والتراجع قائم في أنّ تدريسها منذ 1995 يقرّ بمحصيلة الانتكاس، وهذا على لسان (يوسف مراحي) من المحافظة السّامية للمازيغية (يوسف مراحي، جريدة الوطن EL Watan بتاريخ: (16 أفريل 2010). كما نرى تقاعس النّخبة والانشقاق بينها في الصّراع حول الحرف الذي تكتب به، ومكانها الاجتماعيّ أمام العربيّة، والعربيّة هي اللغة الجامعة كما يقول الأكاديميّ (محمد العربي ولد خليفة) وتلك رؤية الباحث اللسانيّ (عبد الرزاق دوراري) في استحالة تشكّل لغة مازيغية موحّدة بسبب أنّ العربيّة تلعب دور اللغة المشتركة في الجزائر وفي البلاد المغاربيّة، ومن الضّروريّ. إذاً أن يقع تدريس هذه اللهجات كلّ واحدة في الجهة التي تتكلّمها... وأمام الوضع

العشوائي فتح الباب لظهور أفكار غريبة عن المجتمع الجزائري. وهنا يأتي الخطر على المأزيغية من هذه الأبواب:

1/13- بداية الخروج عن وصفة الأجداد في أنهم لم يقوموا بترجمة القرآن الكريم إلى المأزيغية؛ لأنّ اللسان العربيّ كان كافياً ومجيباً عن أغراضهم أكثر من (أموال أو مازيغ).

2/13- أجدادنا وضعوا سلماً تراتبياً لوظيفية اللغتين:

1/2/13- العربية لغة التّعالى والحكم والسّلطان والعلم.

2/2/13- المأزيغية: لغة المهّن والمحيط الضيق، ولغة المعاملات البسيطة.

3/13- تدريسها تدريساً شبه كلّى بالفرنسيّة، ولا أثر لاستعمال المأزيغية حتى في القوائم الاسميّة للمتمدرسين أو للإعلانات، وتجد نفسك في قسم البربرية مكرّر قسم اللغة الفرنسيّة.

4/13- غياب تامّ لحرف التّيفيناغ/ العربيّ في الكتابة في المحاضرات والمحاضر والإعلانات وما له علاقة بجدول التّقاط والامتحانات...

5/13- مخابر تهينة وتدرّس اللغة المأزيغية لا توجد فيها المأزيغية، بل تنميط للفرنسيّة وبالفرنسيّة، وبخطّ اللاتينيّة، وبكلّ إسراف وتبجح، وما يصحب ذلك من منشورات الأقسام والمخابر كلّها بالفرنسيّة وتجارب فرنسا/ كندا في التّعليميات.

13 / 6- أساتذة يعاقبة / (Jacobites) أكثر دفاعاً عن الفرنسية من قولتير / (Voltaire) وبقوة جان دارك / (Jeanne D'arc)، ويفتخر ريشيليو / (Richelieu) بأن لغته تنتفخ في أقسام المازيغيات إلى جانب أقسام الفرنسية.

13 / 7- عباءة الاحتواء ظاهرة في برنوس لغة المستدمر الفرنسي قائمة ورأينا بأن المازيغية جميلة ولكنها أصابها السّل والمرض، انحراف في المازيغية كبير، أليس هذا خطراً في ذات اللغة التي يطلب ودّها فيها وليس في غيرها فهل هذا ما ترضيه قواعد التعليم في أية لغة؟ وقد بصُرنا بلغات التّضاد فقط: العربية ⇔ الفرنسية. الفرنسية ⇔ العربية. المازيغية ⇔ العربية الفصحى.

هذه صورة سوداوية، ولكنها صورة حقيقية، وفيها خطاب متوارٍ يحمل رسالة كلامية بليغة ومباشرة، أمست اليوم أبلغ وأسرع إيصالاً من أيّ تعبير. ومن هنا فما السبيل إلى إحياء المازيغية التي نراها في خطر وتعيش انتحاراً يومياً، ونشاهد احتضارها جرّاء الممارسات غير العلميّة التي تقوم بها بعض المؤسّسات التّربويّة، أو من يقوم على خدمتها؟ ذلكم ما نقترحه كما يلي:

- ضرورة تدريس المازيغية بالمازيغية على قول العالم اللسانيّ فرديناند دو سوسير / (F. De Saussure). اللغة تدرس في ذاتها ولذاتها، وليس من خارجها.

- تدريسها بالرجوع إلى تراثها القديم، وبعث منظّريها الأوائل، وتمجيد نصوصهم وجعلها شواهد على التّقييد. ويا له من مخزون التّراث المازيغيّ المدوّن في المخطوط العربيّ، وما يزال في التّراث اللغويّ الشّفاهيّ، وتلك

المكوّنات المركزيّة في الذات والوجدان الجزائريّ، وما يزال يسهم في تقوية روابط الهوية والإخاء والتّواصل بين الأفراد والجماعات. وعلى الباحثين التّزول لجمع مدوّنة حكايا الجدّات + أغاني الهدهدات + المدائح الدّينيّة + مدائح الأسواق + الفكاهات والأحاجي والألغاز... وضرورة التّزول إلى بوادي الجزائر وأريافها واستطلاع مختلف التّكلّمات التي عرفها المجتمع الجزائريّ في مختلف الحقب الزّمنيّة، وإجراء التّحريات اللغويّة بالمسح الجغرافيّ، ووضع أطلس لغويّ جزائريّ، وعقد مقارنات بين مختلف التّكلّمات المازيغية واستخلاص أوجه الشّبه، والتّحكّم إلى التّظريات اللغويّة المعاصرة والتي تراعي خصوصيات هذه اللغة، وبخاصّة تلك التّظريات المعتمدة في اللغات ذات الأرومة الحاميّة، والتّحكّم إلى القواعد العلميّة فقط دون إثارة بعض المتعلّقات الخاصّة بالعرق والعرقية، وعدم إقصاء اللغة العربيّة في دراسة خصائص المازيغية التي تشبهها في قواعدها وخصائصها والتّحكّم إلى التّظريات اللغويّة المعاصرة التي قدّمت نتائج نوعيّة في التّهيئة اللغويّة، والاستناد إلى التجارب النّاجحة لدول عملت على إيلاء لغاتها الوطنيّة المقام الأعلى.

- كتابتها بالحرف العربيّ وهو الذي يضمن لها جزأرتها وانتشارها وقبولها لدى كلّ الجزائريين. وهذه مسألة مهمّة جداً؛ لأنّ المازيغيين طيلة 1300 سنة كتبوا بخطّهم المغربيّ الشّهير، وكلّ مخطوطاتهم كانت في ذات خطّ العربيّة ونجد آلاف المخطوطات في الزّوايا وفي المكتبات في الدّاخل وفي الخارج مدوّنة بالخطّ العربيّ، إلى جانب عقود الزّواج والأملاك والمواريث وآلاف الدّواوين الشّعريّة، حتى المراسلات والمراسيم في زمن الإمارات والدّول

المازيغية الإسلامية مثل الأدارسة والرستمين والزيريين والمرابطين والموحدين والزيايين والمرينيين. وهذا ما يضمن لها الاستمرارية والثقله نحو الرقي؛

- تمتين علاقاتها اللغوية والعلمية بالعربية، ولا مستقبل للمازيغية دون العربية، فإذا تخلت عنها سوف تصبح عدماً، وتنقرض مع أول خريطة لغوية في القريب العاجل، وسيكتشف الجزائريون أنهم غدروا في لغتهم. والتمتين يكون في الأخذ والعطاء، وفي التسامح اللغوي، وما له علاقة بتقديم اللغة الكبيرة (العربية) سبل التهوض للغة مازيغية تعرف مبادئ التهيئة، وعدم نكران التاريخ المشترك، وعوامل التأثير والتأثر، أو نكران الفضل؛

- ضرورة استعمال المازيغية في المعاملات اليومية، وهذا من متطلبات الغمر اللغوي الذي يأتي عن طريق اللغة وضع واستعمال.

كل هذه الأمور نظرنا إليها من خلال تخطيط سياسة لغوية جادة تخرج منها سياسة لغوية تربوية عبر مراحل تدرجية؛ حيث تنال المازيغية تهيئتها المرحلية، ومن ثم تكون فيها اللغتان = العربية + المازيغية في تكامل علمي مصلحي بعيد عن الصراعات وحرب اللغات، والهدف هو الاستقرار اللغوي الذي يجعل الشعوب تفكر في البناء الذي يرسخه النظام التربوي الشامل، يقبل المراجعة، ولا يرضى بالتراجع، وخلالها تحصل فترات التنقية اللغوية/ الإصلاح اللغوي/ الإصلاح التربوي/ التقييس اللغوي/ تحديث المفردات/ وضع المصطلحات/ بناء القواميس العامة والمتخصصة...

إن اللغة المازيغية تشكو وتعاني الخطر من قبل بعض العاملين على تنميتها، بل من قبل الموجهين لها وجهة فرنكفونية على أن تحديثها وتهيئتها

يمرّ حتماً عن طريق (La Tour Eiffel). وإِنَّه لا يمكن لنا أن نذهب بعيداً إذا وقع إقصاء عامل من عوامل الهوية الوطنية السالفة الذكر وبالأخصّ الهوية اللسانية الوطنية، أو ما يمكن أن نعبر عنه في المصطلحات المعاصرة بالمواطنة اللغوية (La citoyenneté linguistique). وهذا هو العمل المطلوب في المرحلة الراهنة، والذي يعلو فوق كلّ الأعمال، لأنّه ينصرف إلى تأصيل الداتية الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية وتأمين الأجيال الحاضرة والقادمة ضدّ المؤثرات السلبية السالبة للقيم التي تكسب صاحبها القوة والقدرة والمتعة والتي تهزم في نفس الوقت دواعي اليأس وتطرّد أسباب الهزيمة. بل هذا هو الوعي الحضاريّ الذي يضيف إلى ثقافة السّابقين أبعاداً ثقافية جديدة، ويثري تلك الثقافة بأراء وإبداعات وإضافات عصرية تُذكر بإعجاب وتقدير. وما يمكن أن نقوله في هذه التّقطة، إنّ الحفاظ على الهوية للمرحلة الجديدة مشروطة بنجاح عملية التحديث نفسها، ومراعاة الثوابت والمتغيّرات في ظلّ الامتياز عن الأغيار في كافة التّواحي، وهكذا عرف مجتمعنا المغاربي الهوية الاجتماعية التي تكوّنت عبر عصور ضاربة في القدم، امتزج فيها السّكان بالفاتحين نسجاً محكماً، وطبع هذا النسيج الاجتماعي طابعاً خاصاً، انتموا إلى العروبة اللسانية فظلّوا أوفياء لقوميتهم الوطنية، وحين اقتبسوا الحضارة الغربية لم يقبلوا أن يخضعوا للنموذج الغربي بكلّ تفاصيله، بل حافظوا على التّقاليد والأنظمة التي اعتبروها تمثّل خصوصياتهم، وظلّ هذا المجتمع ملتزماً بنموذجه. وإنّ أكبر تهديد هو خلق هوية ذات مفاهيم وقيم هجينة، تغيب فيه مقومات الشّخصية الأصيلة، ولذا يجب أن تأخذ مسألة الهوية البعد الروحي في المقام الأوّل، وبه تتحصّن، ثمّ تأتي المعطيات الأخرى القابلة

للتغير مثل التأقلم والتطور حسب الأحوال، وهذا ما يجب أن يتجسد واضحاً في المنظومة التربوية، ولا ننظر إلى الهوية على أساس أننا نخاف من الدوبان في الغير، دون البحث في كيفية الوقوف في وجه كل التحديات وفرض الوجود الحقيقي أمام الصراع الذي يجب أن نخوضه من موقع التأثير فيه.

14- **المازيغية والعربية المستقبل المشترك:** إن ما ينتظر اللغتين أعمق بكثير من التحولات التي عرفتها ولم تعش الصدمات، ولكن المستقبل الآن للغات التي تعرف العلم، وللغات التي تُنتجه، فكيف يكون الإنتاج إذا اشتعلت حرب اللغات التي تبقينا على ذات نخلنا. وكان علينا أن نأخذ العبرة من نهوض أوروبا التي عرفت الخلافات التاريخية والجغرافية والإثنية واللغوية، وسادت فيها لغة إيطاليا في القرن VIX، ثم الفرنسية في القرن I وواقع الاهتمام أولاً بالعلوم الإنسانية، وركّزت على موضوعات: الحرية + التعصب + التسامح + الاهتمام بالتراث + خوض ميدان ثورة البخار وكان ذلك مفتاح التطور بإحياء التراث الكلاسيكي وموطنه إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرومان، وكان موقع إيطاليا الذي جعلها على اتصال بمحضارات البحر الأبيض المتوسط بهجرة العلماء اليونان إليها من كل أوروبا، ورعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنون، وإحياء الحركات الأدبية ذات العلاقة بالعلوم الإنسانية والنهضة المعاصرة بصورة عقلانية... وكان ذلك باب من أبواب ولوج العلوم الحديثة التي جعلت ثورة البخار تشتعل وتأتي بنهضة لغوية فاقت المتصور. لماذا البداية بالعلوم الإنسانية؟ لأنه إذا قومت الجانب الروحي/ الإنساني يصبح الإنسان مبدعاً لا آلة. وبذلك

تقوّت الإيطاليّة وتعوّلت، ثمّ تقوّضت، ثمّ انتشرت الفرنسيّة وتعوّلت وها هي تعرف أيامها الأخيرة. فما مصيرنا في عالم يعرف هذه التحوّلات اللغويّة التي لا تقرّ إلاّ باللّغة الأقوى؟ ومصيرنا مشترك بما نملك من تعدّدية لغويّة فهل يقع الثّبات اللغويّ في الزّمن القريب الذي يأتي على دحر لغات لا تنتج العلم وليس لها الإرث الحضاريّ ولا الآداب وما يجعلها (لغة الفيل) بميزان المنتج الضّخم. وإنّ التّهضة الأوروبيّة عبرة لنا وتجربة إنسانيّة جيّدة وفدّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل متوجهه الآليّ وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق الثّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافية أخضعتة للتّقّد، ووقع منه استلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوروبيّة، وهل نحن فعلنا هذا في لساننا المشترك؟ ولهذا نرى بأنّ مصير المأزغيّة في العربيّة التي لها مناعة الاندماج وقبول الإنتاج، وهي المؤهّلة لعالم الغدّ دون غيرها من اللغات الوطنيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون / Louis Massignon) "اللّغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرائق التّعبير العلميّ والفنّي" ويقول الإسباني (كاميليو جوزي سيلا / Camilio Gozy Silla) "إنّ لغات العالم تتّجه نحو التّناقص، وأنّه لن يبق إلاّ أربع لغات قادرة على الحضور العالميّ وهي: الإنكليزيّة+ الإسبانيّة+ العربيّة+ الصّينيّة. وعلينا إذاً استلهام تلك البدايات للتّهضة العربيّة التي كانت بالعلوم الإنسانيّة ومنطلقها الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرّعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكرية العربيّة العتيقة بفكر مستنير؛ عبر خلق توافق بين متطلّبات

الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدّين الإسلاميّ وقيمه السّمحة، وهذا الدّين مدنيّ يقبل المتغيّرات ويتفاعل معها، وكانت العربيّة تغرس الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعْر العربيّ واللغة العربيّة وذلك ما جعلها تستلهم الحضارة الشّرقيّة في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرياضيات والجغرافيّة وكان العقل مبدعاً منفتحاً على معارف متنوّعة بدل الدّوبان في فكر فارس/ تركمان/ هنود/ مازيغين. فما هي اللغة الاستثنائيّة التي يمكن أن تجد عمقها في المخاض القادم؟ لا شكّ هي اللغة العربيّة دون غيرها؛ لأنّها لم تعرف الدّوبان، بل صدّرت المعارف لأوروبا بمميّزاتها وبالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعية، ووصلت مع نهاية القرن X إلى نهايتها بعد أن استنفدت موادها وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد، وكان توسّع الفكر العلميّ متمشياً مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة/ (Franca Lingua) بامتداد كبير وصل إلى الصّين وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة والبيزنطيّة والرّومانيّة. إذا المصير المشترك للغتين الوطنيّتين يكون تحت (عباءة) هذه اللغة المشتركة التي تحمل الاستعدادات الدّاتيّة والخارجيّة لمعركة الغد؛ معركة التّهوض اللغويّ.

15- ما هي هويتنا التي ندخل بها هذا العالم، ونحتلّ موقعنا في ساحته؟

وهذا هو السّؤال المهمّ، فهل يكون انتمائنا إلى المجموعة الغربيّة، وهل نملك تلك المقومات التي نتطبّع بها في تلك المجتمعات؟ ومن المعروف أنّ كلّ حضارة تعبّر عن هويات واضحة، وأنّ الحضارة الغربيّة حضارة بعيدة عنّا قلباً وجسماً وهي التي أثارت التّعرات القبليّة باسم الحضارات القديمة

والتراث القومي للشعوب، وأكبر سبب أن تنتسب إلى مجتمع لا تحمل محدّداته وصفاته الجوهرية، وقد جربنا الاستعمار الذي يستهدف سلب الهوية ويستهدف تغيير الخريطة السياسية، كما أنه لا يترك لك حرية التفكير، بل يشدك إلى ما يريد أن تفكر فيه، ثم لا يمكن أن يقبلك بسهولة إلا على أساس أن تكون العبد الذي يؤمر فيطيع (الانسلاخ عن الإنية) أو ننتمي إلى المجموعة الشرقية (الإسلامية) وهل لنا مقومات هذه المجموعة، ومن هذا الانتماء في الحقيقة أو ذاك نكسب الهوية. وعلينا الاعتراف بالواقع، لأنّ التفاعل الإيجابي بين المازيغيين والعرب تطلب منا مواجهة المستقبل معاً ومسألة الأعراق مسألة يصعب البتّ فيها أمام التمازج الحاصل بين الشعبين اللذين لا يمكن الفصل بينهما بأيّ معيار كان، فقد حصلت المصاهرة والتداخل فلا يمكن إدراك الأثيل من الدّخيل ومن هنا تكون المواجهة بالعمل لمستقبل واحد ومصير مشترك. والحقيقة هذا ليس مصير التعايش، بل هو أمر واقع؛ لأنّ أصالة الدّم والسّاكن الأصيل واللغة الأمّ مسائل مبهمة فالباحث فيها مثله مثل الذي يبحث عن العنقاء في أرض الغول. ويؤسفي مرّة أخرى أن نبحت هذه المسائل؛ لأنّها أصبحت من الأبحاث التي لا فائدة من ورائها لعدم دقّة النتيجة، وأنّها لا تطرح على مستوى الشعوب المتقدّمة التي اندمجت في ما بينها رغم التّباعد الدّينيّ واللغويّ بينها (أوروبا بلا حدود مثلاً) لكنّها تطرح عندنا بشكل حادّ، أليس من باب الغيرة أن نبحت في فضح مخطّطات التنصير باسم استعادة الهوية المازيغية، وهي الأجدر أن نعطي لها أهميّة قصوى لما تمثّله من خطورة على كثير من المستويات. وهكذا نرى أنّ مسألة الهوية اللغوية مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين

هذه البلاد، فلقد تَخَصَّصت كلُّ لغةٍ بمجالٍ معيّن، وما حدث صراعٌ يمكن الإشارة إليه، فهنا نقول: إنّ المازيغيّة والعربيّة صنوان متكاملان غير متصارعين يكملان بعضهما البعض ويتوجّهان لمستقبلٍ مشترك، ووحدة المصير فأنعمّ به من تكامل!

ومرة ثانية لا نطرح خطاب وعظ، وإنّما نريد خطورة ما قد ينتج من بعض الخروقات من طفح الشّباب وقد يؤثّر على العلاقات بين الأفراد داخل المنظومة الاجتماعيّة الواحدة، وبذا نرى ضرورة استجلاء جوانبه والتزام فقه الدّعوة، إلى جانب وقفة جادة تُعيد الأمور إلى نصابها، وتضع الحدود الفاصلة بين ما يجوز البحث فيه، وما لا يجوز، وما يمكن أن نعمل على مراجعته، وما لا تجوز فيه المراجعة، وهذا عملنا جميعاً بدءاً من شيخ الكتاب، إلى معلم المدرسة، إلى التّاجر، إلى المسؤول، وإمام المسجد، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. ويجب أن يتجسّد الخطاب الدّينيّ والمدرسيّ والأدبيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ والعلميّ في أنّ المعطيات الجديدة والعولمة تفرض علينا التّعامل مع غيرنا، بله الحديث عن العلاقات بيننا، وتجبرنا على إقامة علاقات صحيّة مع الآخرين المختلف معهم لغةً وتاريخاً وحضارةً وتلحّ على فتح أبواب الحوار ورفع الحواجز، والقفز على حدود الزّمان والمكان، وإلغاء الخصوصيات وبناء علاقات إنسانيّة وحسن الحوار فالشّعوب تتقارب أو توشك على ذلك وتلتقي على أمرٍ قد قدر، كما تعولمّ التّسيج البشريّ رغماً عن الانعزال في حوزات مغلقة بعيداً عن تجارب الآخرين، فلا بدّ أن نفتح على بعضنا، ونقبل بعضنا البعض ونتكيّف بإرادتنا أفضل من أن تُفرض علينا أشياء ربّما لا تليق بمقاسنا ومقامنا.

16- اللغة العربية لغة جامعة: إنّ اللغة رابطة جماعية مجتمعية بامتياز، ولم توجد ليتفرّد بها شخص دون آخر (حتى حين يبدع فيها وبها) بل إنّها خير يعمّ جماعة المتكلمين بها والمتعلّمين لها، في نظام لغويّ عالميّ متحوّل، يتأسّس على التّواصل والتّبادل عبر اللغة قبل غيرها من الوسائط، وعلى علاقات متشابكة غير متكافئة وغير عادلة بين اللغات ودينامية تتحدّد فيها المواقع اللغوية، بحسب صعود اللغة في النّظام الهرميّ أو المجرّة أو الكوكبة، نتيجة صعوديّة عدد متكلميها ومستعمليها ومتعلّميها، أو ضمور قيمتها العددية أو التّوعوية، كلازمة لعزوف النّاطقين بها أو النّاطقين غيرها عن توظيفها واستعمالها، أو تثنّن قيمتها الهوياتيّة/ الرّمزيّة، أو ضمور إرادتهم في الحفاظ عليها وتعزيز بقائها. ولهذا يحتاج الأمر اللغويّ إلى حسن تدبير شؤون اللغة/ سياستها التي تتعلّق بالحكّام/ الشّعوب/ الهيآت/ التّخب/ المنهاج/ المنهج/ الكلفة الماليّة... ومن خلال ما نعرفه من وضع لغويّ تعدّديّ، إلّا أنّ السّياسات اللغوية تتطلّب إقامة التّوازنات بين الألسن، عبر قوانين استعمال اللغات، وعبر المراسيم. فنجد قانون تعميم استعمال العربية يقرّ بالعمل على تطوير العربية في التّبيي اللغويّ الهويّ، ويعني صدارة العربية في مجال التّعدّد وهذا ما كان يجب أن تعمل الحكومات على إقرار سياسة لغوية عادلة متماسكة ومواطنة. وعندما ننظر في العربية بما لها من عدد النّاطقين بها والمساحة الجغرافيّة في القارات الخمس، وفي الجانب الدّينيّ والرّتبة الأميّة وعدد مستعمليها في الشّابكة، والزّيادة البشريّة المتسارعة، وعدد الجامعات والحضارة الشّرقية والمكتسبات القبليّة، والآفاق الواعدة... وهذه بشائر خير ويعني العربية بخير، وليست مهدّدة في بقائها في المدى المنظور، وهي لغة

تواصل عالمية لكتلة بشرية مهمة تهيئ مستعملها للاستفادة من خيرات هذا الوضع اللغوي المتميز. وهذا ما يجعلها في بلدنا تأخذ معايير التدبير اللغوي المجتمعي، وتحمل بنى المجتمع المزوجي والعروبي في سياسة مقاربة إدماجية (inclusive) طوعية ديمقراطية، تتعايش فيها الألسن دون إقصاء، وتقام فيها توازنات معقولة يتبناها المواطنون، وتجد فيها المكونات اللغوية المختلفة مكانة تراعى فيها العدالة والتجاعة، وتمكّن المواطنين من تحديد الاختيارات والاستفادة من الفرص اللغوية الموضوعية بأن العربية هي اللسان اللغوي الجامع؛ بحيث يشترك فيه مختلف مستعملي التنوعات اللغوية، وأن لا تنافر مبدئياً بين هذا اللسان وألسن الهوية الأخرى التي يغتنى بها وتغتنى به، ولا تنافر بين تقوية اللسان العربي وتقوية تعلم اللغة/ اللغات الأجنبية. وهنا الوصفة النموذج التي نروم أن تقوم على تدبير لغوي يقوم على التماسك التنوع، التعدد، مع تحديد الخطط والطرائق والشروط التي تضمن النجاح، مع ما يصحب ذلك من قوانين تزيد من تمتين هذه الفوارق المتحدة. إذاً، اللسان العربي يجمعنا، وهذا ما تؤكد الممارسات اليومية التواصلية أن الجزائريين موحدون باللسان العربي بسجلاته وأساليبه وتنوعاته الفصيحة والدارجة والمتوسطة، وأن التداول الديمقراطي والتواصل الفعلي مع مختلف طبقات الشعب يتم بهذا اللسان المتنوع، ولا يتعدّر التواصل به إلا في حالات أقليات قليلة، ومن كبار السن. هو إقرار بالواقع وإنصاف للمواطن في عروبة مزوجية مركبة ذات رمزية متراكمة زادت من تمتين المصالح بلسان مشترك لسان التواصل عند الأغلبية الساحقة. ومن خلال هذا؛ نجد تشكّل العروبة اللغوية التي نالت الانتشار بسرعة مع الساكنة الذين تعربوا ولكنهم حافظوا

على لسانهم. ولكن العربية تحوّلت إلى اللغة الإدارية والأدبية والدينية وعمّت وانتشرت، فتبنت النخبة الثقافية اللغة العربية لغة للثقافة والعلم.

وهكذا انتشرت العربية في شمال أفريقيا على مراحل متسعة زمنياً انتشرت كلغة تواصل، وإن كان السكان الرُّحل احتفظوا بلغتهم المازيغية حتى القرن 11م، عندما دخلت قبائل بني هلال وبني سليم المغرب الكبير. "وهذه القبائل قدّمت من شمال الجزيرة العربية، ومن سوريا، ولحقت بها قبيلة ثالثة من أصل جنوبيّ، قبيلة معقل. وقد قدر عدد القبائل المهاجرة بمليون وعدد سكان المنطقة بـ 6 ملايين". والمهمّ في كلّ هذا أنّ التعريب مسّ بلاد المغرب بشكل شبه كلّّي، ولعبت فيه الدّول البربرية الصّنهاجية والمصمودية والزّناتية دوراً مهماً في تسهيل الاختلاط والاندماج، ابتداء من القرن 7م عبر المعسكرات والمدن، وهذا التعريب هو الذي حدّد الهوية اللغوية المغاربية في اختيار لغويّ تمّ بقناعة كبيرة. وها نحن في وضعنا نرى العربية في تاريخها القويّ برزت كلغة قويّة شاملة، وعاشت الكثير من الصّراعات وخرجت أكثر قوّة من ذي قبل، ونراها الآن تتصدّر الرّتب ضمن اللغات الكبرى، وتجعل منها سلعةً مُربحة لا بمخوسةً، وأنّ موجباتها أكثر من نواقصها، وأنها لغة الإعلام بفضائيات عربية واسعة الانتشار، والتأثير في الإعلام العربيّ والدوليّ، وما يتبع ذلك من الصّحف المعرّبة بأرقام مبيعات مدهشة، فهناك علامات قويّة تدلّ على أنّ اللغة العربية عملة يُطلب ودّها وهي سلعة مُربحة، ومتنوّج مستقبليّ صاعد في عالم المعلومات والاقتصاد المعرفيّ. مع ما لها من نقائص، وهذه موجودة في كلّ اللغات، وعلينا العمل على تجاوزها وتدبير شؤونها بجدية وبسهولة كبيرة يمكن تجاوز النّقائص عند

معالجة ضمور أدوات البحث فيها وإقامة معرفة لسانية متقدمة، بسدّ المنتظر من الدّخيرة اللغويّة والمعجم التّاريخي للغة العربيّة، ومشاريع المكانز الكبرى والمشاريع اللغويّة الطّويلة المدى. وهنا كان على المعرّبين أن ينهضوا ويعملوا، وأن يخرجوا من القول إلى الفعل، ومن (يجب الذي يجب) إلى المتوجّح الملموس. وماذا نقول إذا عجز المعرّبون عن تدبير شؤون العربيّة يعني العجز عن تدبير شؤونهم الخاصّة. ولا يمكن أن ترتقي العربيّة وتبقى لها سلطة اللغة الجامعة إلّا بالتغلّب على المشاكل التي تحول دون تطويرها ويكون بمرجعيات ديداكتيكية منضبطة في علاج علمي يربط التّراث بالحدّاثه ويخلق ديناميات تفاعليّة من مرجعيات اللغات المتقدّمة بما يجعلها تصمد في المتديّات العلميّة الدّوليّة. وعلى النّخبة المعرّبة أن تكون على وعي أنّنا بحاجة إلى نخبة تخدم العربيّة بأدوات تعليميّة جدّابة، وبمناطق معاصرة وتطبيقات بسيطة تحلّ مشكل المعاجم المدرسيّة وتسدّ نقص المصطلحات العلميّة وتعمل على إقامة بنوك التّصوص / التّصوص المحلّلة، ووضع ضوابط المدقّقات اللغويّة... ولننهض بلغتنا في مشروعها الحضاريّ علينا خوض ثورة هوجاء على الممارسات المتحرّجة وغير المنتجة التي تجدّرت عند النّخبة المعرّبة، ولا بد من تكوين نخبة معرّبة جديدة تبتعد عن الأساليب المتجاوزة وعلى رأسها التّباهي بالعلم من أجل تميّعه والسّعي إلى الكسب بدون عمَلٍ فعليّ. ونحتاج كذلك إلى إقامة محتوى عربيّ ومرجعيات عربيّة ومراتب معرفيّة عربيّة، إسهاما في بناء اقتصاد معرفيّ عربيّ، وتقوية فرص الشّغل للمعريين. وإنّ كثيراً من المعرّبين يمكن أن يفيدوا في ارتقاء اللغة العربيّة، إن هم ابتعدوا عن الأنانيّة من أجل خدمة هذه اللغة، بما وهبهم الله من معرفة

أو تقنية دون أن يلجوا مجالات لا يقدرّون عليها، وإنّ لمن شروط التعريب المواكب أن تثبت قيمته في التعجيم، وأن يتمّ ذلك عبر الجماعة في شبكات اتّصال وتعاون خدمة لهذه اللغة. اللغة العربية لغة جامعة، بالفعل، فهل يمكن أن نواجه العولمة بغيرها، وهل اللغات الوطنية الأخرى يمكن أن تبقى في مرتبة التّديّة؟ هنا التّموّج الذي يجب أن نعلّمه في إطار التّغول اللغويّ الذي لا يمكن أن يكون إلاّ بالعربية، وهي المؤهّلة للبقاء والتّجاور والتّعايش والتّمّد في النّظام اللغويّ العالميّ وموقع الكوكبة اللغوية الجيوستراتيجي. واللغات كما نعلم تتحرّك في أنظومة لغوية عالميّة محكمة بعلائق وضوابط بعيداً عن أن تكون وليدة الصّدفة/ الاعتباط وهي أنظومة هرميّة أسفلها لغات الجماعات الصّغيرة أو الهامشيّة أو الرّبضيّة (Peripherale) وهي بالآلاف وإن كان عدد مستعملها لا يتعدّى 10% من البشريّة وقوتها أنّها لغات ذاكرة وزارية وسرديات وأحاديث شفوية بالأساس، وليست لغات تدوين أو كتابة أو قراءة، وقليل أن يحدث الاتّصال بين جماعات متكلّمها بل إنهم يضطّرون من أجل التّجارة والإدارة والتّبادل أن يتعلّموا لغة مركزيّة (Centrale) تربط بين جماعات أكبر فكأنّ الرّبضيات أقمار تلتفّ حول كوكب هو المركز، وهناك حوالي 100 لغة في النّظام العالمي تحتلّ المواقع المركزيّة ويستعملها حوالي 95% من البشر، وهي لغات التّعليم الأساسيّ على الخصوص، وربّما الثّانويّ أو العالويّ، وهي لغات الصّحف والمنشورات والكتب المدرسيّة والأدب، والإذاعات والفضائيات وجلّها تستعمل في السّياسة والإدارة والمحاكم وتعدّ لغات (وطنية/ رسميّة) وتستعمل في التّدوين والأرشفة وكتابة التّاريخ وفي أمّات الكتب والقصص والوسائط

الإلكترونية حديثاً. والعربية من هذا النوع الأخير، علماً أنّ اللغات الرّسميّة عالمياً جدّ محدود، وموقع العربية في كوكبات اللغات المركزيّة ثابت، ولا تتجزأ من النّظام اللغويّ لكبرى اللغات الرّسميّة/ الأميّة. وهذا ما يجب علمه أنّ بقاءنا يرتبط بالكوكبيّة اللغويّة المعاصرة التي تُعطي صفة التّديّة التي لا نجدّها حالياً في المزوغة، ونجدّها في الفرنسيّة ولكنّها منقوصة؛ بحكم عدم نيل المقام بما لنا من تاريخ غير لاتينيّ، ومنشأ غير عربيّ، ودين غير كاثوليكيّ... كما لا نجد هذا المقام في اللهجات والدّوارج، ولا في لغات العلم الأخرى التي ليست متناً، فهي لن تقبل بنا، ولو أنفقنا عليها ما أنفقنا فتكون عوناً لها لصالحها وليس لنا. ولهذا؛ فإنّ تعميم استعمال اللغة المشتركة هي سبيلُ الثّبات وفرض الوجود وطريق الإبداع، ولا يكون إلاّ بالعربيّة وعلينا العمل بالتماسك والتّعريب الشّامل الأفقيّ والعموديّ في سجل لغويّ لكافة المواطنين، وهذا لا ينفي المازيغيّات على أنّها لسان حال بعض السّاكنة، ولكن لا تكون المازيغيّة اللغة الوحيدة في سجلّهم اللغويّ بل تكون بعروبة اللسان أيضاً.

وللخروج من عنق الزّجاجة تجدر العناية بمواصلة تعميم استعمال العربيّة في الإدارة وفي التّعليم العالي، فذلك ما يزيل فتيل الحروب اللغويّة/ الصّراع اللغويّ، لوجود خلاف فكريّ بسبب عامل اللغة ونخبوية المشرّع/ المسؤول. وإنّ تعميم استعمال العربيّة كان عليه أن يكون شاملاً؛ يشمل جميع المواد بما في ذلك المواد العلميّة والتّقنيّة، دون انغلاق تدريس هذه المواد في بعض الوحدات باللغات القطب في حدود المعارف الأوّليّة ذات العلاقة بالمحدّدات المصطلحيّة، وأن تكون لغة الشّرح هي العربيّة. ولا بدّ أن نخرج من مرحلة

الشك/ عدم جاهزية العربية لتدريس العلوم بها، فهل الفنلندية/ الرومانية/ اليونانية/ المجرية/ الكورية/ الهنغارية... أفضل من العربية في هذا المجال؟ وهذه اللغات غير مصنفة في الترتيب العالمي، والعربية أعلى منها في كل شيء، لكن أين الخلل؟ بعد بداية التعميم ستظهر فجوات ضعف كمية مفردات المعاجم المتخصصة+ نقص المدرّس+ ضعف المراجع العربية+ غياب لغة العلم في العربية... هي من الطبيعي أن تكون لأنّ العربية لم توضع في الاستعمال، فكيف بها أن يتربى فيها المصطلح ويستعمل وينال الانتشار وهي لم توضع في الحمام الاستعمالي. ستعالج هذه الثغرات، والمهم أن نبدأ والطريق تصنعه الأقدام.

وما يجب أن نكون على دراية به هو أنّ هذا الضمور في المعارف التواصلية للعربية كان بسبب الإقصاء والقهر اللغوي الذي مورس عليها منذ الاحتلال الأجنبي، ولم تنل حظها ومكانتها في العلوم وأصبحت لغة غير علمية لعدم تنامي العلوم فيها، وهذا أمر بدهي، وربما يدخل هذا في حرمان المواطن من نيل العلوم بلغته، ولذلك ينظر لها بعين الانتقاص وعلى ذلك يتأسس عنده منطق تصنيف لغته في خانة، واللغات الأخرى في خانة، بمبدأ التفعية العلمية لغة أدبية= لغة متخلفة. لغة علمية= لغة راقية. وتكون لغته في سلم لغات الرّبض، فلا فائدة من ضياع الوقت في تعليمها، وفيها سجل التماهي مع دينيها وهذا يكفي. وإنّ ضمور المعارف التواصلية جزء من قيمة اللغة في مقارنتها باللغات الأخرى، وجزء من قياسها ومقارنتها مع لغات التدريس/ وسائل التواصل اليومي/ لغات الحضارة، وهذا ما يعطي القيمة الحقيقية لمقام أية لغة، وهذا يتنافى مع الديمقراطية والحقوق اللغوية

التي يجب أن تؤدّى للمواطن بلغته الأمّ التي هي مناعته وملجؤه وبيته وحصنه الممانع. ويتأسّف المتعلّم لما يرى أنّ لغته لم تنل المكان في القرار السياسيّ/ الاقتصاديّ/ سوق العمل، غياب الهوية العروبيّة اللغويّة/ الهوية العربيّة الإسلاميّة/ نقص الثّقة في اللغة الأمّ/ عدم شموليّة التّعميم الأفقيّ والعموديّ... كلّها مثبّطات تعمل على إذكاء مواطن السّلبية لدى أهلها وماذا نقول عند غير أهلها. ومن غير المعقول أن نسير في مجال العلم دون الرّجوع إلى الواقع ونبتعد عن التجارب العالميّة وإلى العدالة وتكافؤ الفرص بين الشعب ونخبه المسيّرة بتبنيّ نظام لغويّ مفروض في التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ تكون اللغة الأجنبيّة فيه هي لغة التّدرّس أو البحث الوحيدة في مختلف العلوم، وهذا غير مقبول، وليس من الطّبعيّ أن تكون العربيّة هي لغة كلّ المجالات بل أن تنال حصصاً في كلّ سنة، وعبر مراحل تدرّجية لغاية التّعميم الذي لا يعني الانغلاق، وذلك خطير أكثر، بل أن تكون وصفاً التّفنّح على تعدّدية لغويّة أجنبيّة مدروسة للانتفاع من كلّ لغات العلم.

وما يجب أن نعلّمه أنّه لا نهضة ولا منفعة مع التّبعيّة اللغويّة، وأنّ الحجر اللغويّ ضمن لغة واحدة لا يلبسنا طاقم التّقدّم. وعليه، ندعو إلى سياسة لغويّة عربيّة ربيعيّة تكون تكملة للاستقلال الاقتصاديّ بقرار وطنيّ ينفي الرّشد اللغويّ الذي وقف حجر عثرة في وجه التّحرّر الثقافيّ والعلميّ واللغويّ. وعلينا واجب التّهوض باللغات الوطنيّة بما لها من عدّة وما سوف تكسبه من عتاد ذاتيّ، وما سوف تكسبه من لغات أخرى، وهذا ليس بالأمر الصّعب. وعلينا واجب التّهوض بالقوّة والفعل تجاه اللغة المشتركة التي

تعمل على توحيدنا والدفع بمقامنا مع الشعوب الأخرى ومع اللغات التي لا ترحم اللغات الضعيفة. وإن سبُل التهوض باللغة المشتركة تمكّن الخروج من طوق الفرنكفونية التي جعلتنا دون صفة لغوية ماثرة وعلينا تعميم لغتنا في التعليم العالي والتقني في إطار تعددي نفعي، واتخاذ سياسة تعددية في التعامل مع اللغات الأجنبية، وفسح المجال أمام لغة أجنبية ثانية بدءاً من المرحلة المتوسطة، ولغات أجنبيات أخرى في المرحلة الثانوية وفي الجامعة والافتتاح على المازيغيات درساً وتدریساً إلى جانب الحق في اختيار اللغة الأجنبية تكون لغة التدريس من بين اللغات الثمانية (8) لغات العلم المعاصر.

وكان علينا تأكيد الحق اللغوي للعربية في الإشهار والإعلام والإدارة وتأكيد تمتع المواطن بانتشار لغته المشتركة في كل المجالات، وفي فرص العمل ولا يكون كل هذا في صميم العربية إلا إذا أتقنا فن أدائها في التدريس وفي التبليغ، وهو المدخل الرئيس لكل النجاحات؛ باعتبارها لغة التماسك الهوي. وعليها أن تكون في مستوى هذا التماسك بما لها من حمولة ثقافية وتاريخ طويل، وماضٍ مُغدق، وحاضر مُشرق، وما لها من أثر في الدّاخل والخارج وما تعرفه من تبادل علمي مع المؤسسات ذات العلاقة. وعلينا بناء مشاريع التطوير اللغوي بما يستجيب لتطلّعات الواقع اللغوي بالعربية وفي ذاتها واستغلال إمكانيات هذه اللغة في بزوغ أكبر الفضائيات العربية وأجودها وأكثرها مصداقية في نقل المعلومة، إلى جانب التنظير الشبكي لشبكات التواصل الإلكتروني، وهذا العقد شهد ارتفاعاً منقطع النظير لمستعملي الشبكة باللغة العربية. فهذه اللغة لها إمكانات عديدة هائلة. وإن آفاق

التّهوض اللغويّ من جديد واعدة، وعلينا فقط الوعي بما يسرّع الخطو، وما يوصل إلى الهدف بأقلّ جهد وتكلفة وعندما تُسند الأمور لأهلها أبشر خيراً بأنّ المسائل العالقة سترى سبل الخروج من التّفق. وأنعمّ به من تنوع لغويّ عربيّ مزوغيّ! ونروم من الذين يهتمّهم أمر المواطنة اللغويّة أن يقدّموا لنا أفكار تدبير الحقل اللسانيّ الجزائريّ في تعددية مضيّفة متماسكة تُخرجنا من الإلغاء والسلبية إلى باب التّكامل الذي تُرسّخه الممارسات الاصطلاحية والمعجمية والتوليدية وإقذارهما على التّرجمات البيئية؛ بالرفع من حيويتهما ووظيفيتهما الحيائية. ومن الضّروريّ دعم جهود الباحثين في اللغتين نظيراً وتطبيقاً من أجل خدمة المواطنين المتعلّمين بها، من أبناء الشعب والنخبة ليعمّ الخير بهما في مختلف المستويات الاتصالية والحضارية والاقتصادية والسياسية والهوياتية.

- **الخلاصة:** لقد سعينا من خلال هذه المقاربة تأكيد ذلك التمتين والتفاعل الحاصل بين العربية والمازيغية عبر التاريخ؛ لأن ثقافتنا مشتركة نحن الجزائريين، وقد انبنت في الأصل على الثقافة المازيغية المركبة من المازيغية والعربية، ومن ثقافة الإسلام، وهذه الروابط كثيرة وكبيرة. وهذا ما تُظهره الدراسات التي أبانت عن تجاوز بُعد التثاقف / (Acculturation) التي تعني الاقتباس لبعض السمات اللغوية/ الثقافية/ العادات والتقاليد، فقد تجاوزت صورة الأخذ، لدرجة المزج والتصاهر والتبادل، وهذا ما حصل لدى الفاتحين العرب وساكنة شمال أفريقيا، والذي تحول بعد هذا الزمان الطويل إلى المزج الكلي الذي لا يمكن التفريق بين الساكنة؛ من التفاعل الإيجابي في كل القضايا، فتكاد الفروق تنعدم في بعض المقامات. وكان علينا الوعي بمسألة مهمة، وهي المازيغيون/ البربر هم الذين تبنوا العربية عن قناعة فمازيغيون كثر تعربوا، وبقيت الخصوصيات اللغوية قائمة في مقاماتها المناسبة، وذلك ما أعطى للسجل اللغوي التعددية المفتوحة التي تضع كل وسيلة اتصال في محله، وتجسد ذلك في أطالس جغرافية مناطقية في أديارات مازيغية، ولغة عربية مشتركة تُعد اللغة الأم الجامعة. وكان ذلك عنصراً من عناصر الوحدة المتكاملة غير المتنافرة. وهو نوع من التكامل اللغوي الطبيعي، الذي أعاد اللغتين إلى مكوّناتهما التحوّية والصرفية والدلالية والمعجمية، هذا ما تظهره طبيعة اللغتين من حيث الأرومة والنشأة والتبادل اللساني؛ لأن المنطلق واحد، والتكامل كان موجوداً في أصل وضع اللغتين. ومن هنا يجب الوعي بأن المسألة اللغوية لم تكن محلّ صراع بتاتا؛ فقد حدثت وضعيات تعايش تامة. وصاحبها الرأي القائل بأن حضارتنا حضارة شرقية

لا غربيّة، كما أنّ أيام الشّدة حدثت هجرات إلى المشرق لا إلى الغرب، وهو شعور العودة إلى الأصل. كما أنّ هناك مباحث الاعتزاز الكثيرة التي يجب الافتخار بها على غرار كتاب (مفاخر البربر) فكيف كان أجدادنا أسوداً في الحروب، وكيف عملوا على حبّ العربيّة، والاعتزاز بالمازيغيّة، وكيف عمل ملوك البربر على إنزال العربيّة المقام العالي، وعملوا بها في دولهم ولم ينسوا التّمزيغ/ الممازيغيّة؛ فكانت لغتهم الوظيفيّة التي يستعملونها في مناسبات تليق بها وهذا مبعث الاعتزاز الذي كان عند السّلف، فكيف لا يتكامل أو يتعزّز أكثر عند الخلف، فلمّ لا يكون للسّابق فضل التّأسيس، وللاحق فضل التّطوير. ولهذا علينا الوعي بالمطلب الهويّاتيّ عند بعض العناصر التي تعمل على تغييب هذه المكوّنات لإحداث قلاقل تشقّ المواطنة اللّغويّة وهذا يستلزم مرّة ومرّات الدّعوة إلى مزيد من التّأديّة الجماعيّة لتعميق التّكامل وتصحيح الوضع اللّغويّ الإلغائيّ، والتركيز على التّعايش اللّسانيّ وإظهار مواطن القوّة في هويّاتنا، وتكون قراءاتنا قراءات مضيئة لا تحريضيّة، وعدم القياس على الظّواهر الانعزاليّة الفرديّة والإقرار الحقيقي بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبوّأوا الإسلام عن قناعة وتعلّموا الدّين الإسلاميّ بتدبّر ورويّة ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تنال الصّدارة، مع ما تلاها من حصول الوثام والتّناسق والتّجاور بفعل الإسلام الموحد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه.

وفي الحقيقة بأنّ العربيّة والممازيغيّة ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم، وما ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطنيّ كإسمنت حديديّ يُقوّي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال (Schnaper) ومع ذلك

يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التثنية الاجتماعية، وتغذية المدرسة مهما تعددت ألسنة تلاميذها، وتضفيها جمالاً مؤسّسات الدولة ذات العلاقة وتسعى إلى ثبّت المكونات الوحدوية المُجسّدة في السلوك الاجتماعي؛ لأنّه عندما ترتبط اللّغة بهويّات وطنيّة لا يمكن أن تحصل الفرقة ولا الضّعينة ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجيّ لكن الهدف واحد. ومن هنا يبدو لنا بأنّه يجب أن نستثمر في المطلب الوطني المازيغيّ بإجراء تكييفيّ يؤدّي إلى التوازن والانسجام مع الرّاهن والمستقبل. ومن الضّروريّ المحافظة على الخريطة اللّغويّة المعاصرة بتكييف نفعيّ غرضه توزيع استعمال لغويّ نفعيّ يتمشّى وتطلّعات السّاكنة. وفي كلّ هذا لا بدّ أن نصنع الكثير من التّسامح اللّغويّ وصولاً إلى حسن التّأديّة بغية التّكامل والحذر من ميكيافيلية عدو الأمس التي تسعى إلى إيجاد الفواصل والتّباعد اللّغويّ والدينيّ، وإعطاء أمثلة/ نماذج ضيقة لمعاملات الأفراد على أنّها نماذج ثابتة ومعاملات يوميّة احتقاريّة للسّاكنة، وهذا ما رسّخته هذه الميكيافيلية = التّمييز + تعدّد الأعراق + التّزوح + عرب + بربر + أقليات + مهاجرون + بدو... ومع كلّ هذا، فإنّه لا بدّ من الخروج من فكر الانغلاق القوميّ/ الهويّاتيّ، وعدم القفز على الحقائق والإقرار بالهوية الوطنيّة المازيغيّة، والتفتّح على اللّغات الأجنبيّة، وهي ضرورة قصوى تُملئها علينا آليات الانسجام الجمعيّ الوطنيّ؛ سعياً إلى بناء مستقبل يتجاوز العقبات اللّسانيّة.

المصادر:

- 1- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربيّ: بين التماسك والتنوّع والتعدّد. مقالة في الشّابكة 16 جويلية 2021.
- 2- صالح بلعيد، المازيغية في خطر. مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر. الجزائر 2012، منشورات المخبر، جامعة تيزي-وزو.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية



إعلان عن جائزة المجلس للغة العربية 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم (جائزة المجلس للغة العربية لسنة 2022) التي تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية والإبداعية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها.

1 . شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية؛
- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية؛
- أن يكون العمل موثقاً وأصيلاً، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية؛
- أن يكون العمل المقدم لا يتجاوز خمسمائة (500) صفحة (مكتوبة بخط simplified arabic حجم 14)؛
- ألا يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية؛
- ألا يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شريفي، يحمل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربية، أن يتقدم بعمل آخر إلا بعد مرور دورتين من حصوله عليها.

- تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذوي الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 - مبلغ الجائزة: حدّد مبلغ الجائزة بـ 2.000.000 دج، يوزّع بمقدار 500.000 دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

- 1/ 2 - جائزة المجلس في علوم اللسان.
- 2/ 2 - جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربية.
- 3/ 2 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربية.
- 4/ 2 - جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاتّصال والتّواصل الاجتماعيّ باللغة العربية.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقية- تشجيعية؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربية على النحو التالي:

- 70% لجائزة الاستحقاق؛
 - 30% للجائزة التّشجيعية.
- وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التحكيم أن تقترح جائزة تشجيعية، تقطعتها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها 50% من مبلغ الجائزة الثانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التّشجيعية التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربية، ومجلة معالم للتّرجمة؛ للتداول بشأن إمكانية نشرها في عدد من أعدادهما.

- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس ملكاً للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلّفها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (03) سنوات من نشر العمل.

3. طلب الترشح: يتكوّن طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية:

- طلب خطي؛
- تصريح شرعيّ بعدم نشر هذا العمل، يحمل من موقع المجلس؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)؛
- السيرة العلميّة للمشارك؛
- نسختين/02 من البحث المقدم لنيل الجائزة:
- ❖ النسخة الأولى / مسجّلة على قرص؛
- ❖ والنسخة الثانية / توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. للتذكير؛ إنّ باب الترشح مفتوح إلى غاية 31 مارس 2022.

للاستفسار: الاتّصال بالروابط: الهاتف: 09 07 23 021 /

021 23 88 99.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com

5 — يوجّه ملف الترشح إلى العنوان الآتي:

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربيّة 2022).

تم إخراج وطبع بـ :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 021.68.86.48-021.68.86.48-05.42.72.40.22

البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr